

اعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية

السر سائل
حاسة داسا
البحر مجمع
حاسة داسا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

المسارات الوسطية في فكر الامام علي دراسة في نهج البلاغة

أطروحة تتقدم بها

أمرؤى عبد الواحد مرحيم

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة البصرة

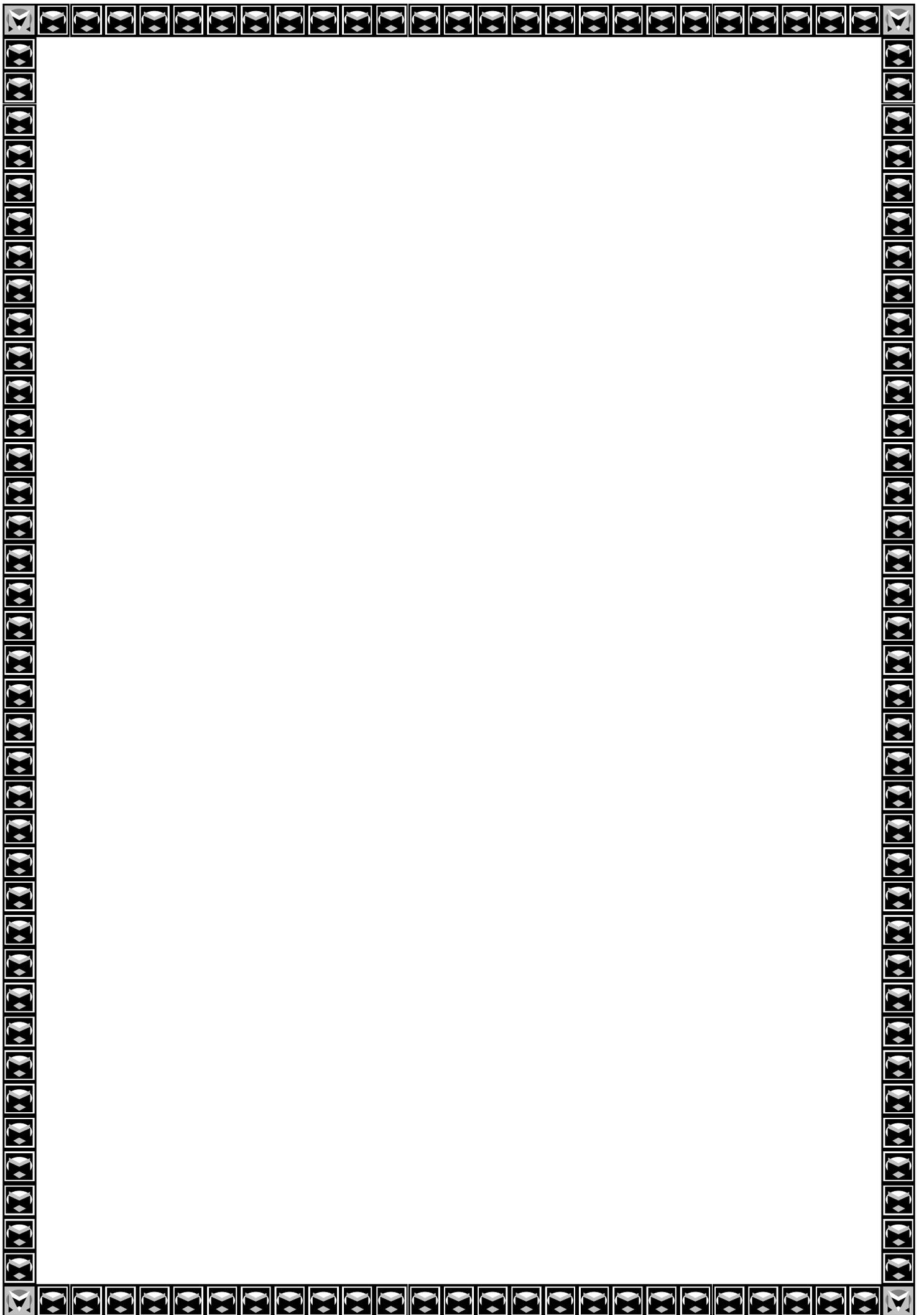
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراة في التاريخ الإسلامي

إشراف

الأستاذ الدكتور

حميد سراج جابر

م ٢٠١٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

مصداق الله العظيم

الإهداء

الى . . . من له في قلبي منزلاً و متربع

الى . . . ضياء الله المشرق ونورة المتألق

الى . . . من اخفى فضائله فظهر منها ما ملئ المغرب والمشرق

سيدي ومولاي علي بن أبي طالب عليه السلام

والى . . . المشكاة . الكوثر بنت النبي الأظهر

سيدتي ومولاتي فاطمة الزهراء عليها السلام

اهدي ثمرة جهدي المتواضع

مراجعة القبول

الباحثة

الشكر والتقدير

بسم الله الذي له الحمد والمجد ، وبرحمته تدوم الصالحات وبتسديده وتوفيقه
تتحقق لنا المقاصد والغايات ، وبشكرة تزيد وتكثر النعمات . فله الحمد والشكر على
ما انعم من جزيل النعم .

أوجه شكري الى كل من كان له الفضل علي أو امدني بنصيحة أو مشورة
لإكمال أطروحتي، وانطلاقاً من تلك الكلمات اقدم خالص تقديري وشكري عرفاناً
وامتناناً الى أستاذي الدكتور حميد سراج الذي تفضل بالإشراف على هذه الأطروحة
إذ كان مشرفاً وموجهاً ومرشداً لي فجزاه الله خير الجزاء ، وأتقدم بالشكر الى أساتذتي
في قسم التاريخ لاسيما الذين تتلمذت على أيديهم .

واخص بالشكر من شجعتني على إكمال دراستي وكانت عوناً لي في كل مرحلة
ولم تتسني من دعائها مهجة قلبي والدتي مع أن الشكر في حقها قليل ، والشكر
موصول لوالدي وإخوتي ، وسندي وساعدي زوجي العزيز . داعية المولى سبحانه
وتعالى أن ينعم على الجميع بالسلامة والعافية انه سميع مجيب .

وأخيراً أسدي خالص الشكر والمودة الى كوادر مكتبة كلية التربية للعلوم الإنسانية
لاسيما قسم المراجع .

توصية الأستاذ المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الأطروحة الموسمة بالمسارات الوسطية في فكر الإمام علي عليه السلام دراسة في نهج البلاغة والمقدمة من الطالبة أروى عبد الواحد رحيم تمّ تحت إشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة البصرة وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراة فلسفة في التاريخ الإسلامي .

التوقيع :

المشرف : د.حميد سراج جابر

المرتبة العلمية : استاذ

التاريخ :

توصية رئيس القسم

إشارة إلى التوصية المقدمة من الأستاذ المشرف أُحيل هذه الأطروحة إلى لجنة المناقشة لدراستها وبيان الرأي فيها .

التوقيع :

رئيس القسم : د.نوفل كاظم مهوس

المرتبة العلمية : أستاذ مساعد

التاريخ :

اقرار المقوم العلمي

اشهد إن أطروحة الدكتوراه الموسومة (المسارات الوسطية في فكر الإمام علي ؑ دراسة في نهج البلاغة) والمقدمة من الطالبة (اروى عبد الواحد رحيم) في قسم التاريخ - كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة البصرة قد قومتها فوجدتها سليمة من الناحية العلمية .

التوقيع :

الاسم : أ.د جابر رزاق غازي

التاريخ :

اقرار المقوم اللغوي

اشهد إن أطروحة الدكتوراه الموسومة (المسارات الوسطية في فكر الإمام علي عليه السلام دراسة في نهج البلاغة) والمقدمة من الطالبة (اروى عبد الواحد رحيم) في قسم التاريخ - كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة البصرة قد قومتها فوجدتها سليمة من الناحية اللغوية

التوقيع :

الاسم : أ.م.د علي مطشر نعيمة

التاريخ :

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٧-١	المقدمة
٢٩-٨	التمهيد : مفهوم الوسطية ومدلولاتها الفكرية
١٤-٩	أولاً : معنى الوسطية ودلالاتها اللغوية والاصطلاحية
٢١-١٤	ثانياً : التوظيف والتكيف الفكري لمفهوم الوسطية
٢٩-٢١	ثالثاً : المفهوم النامي للوسطية في المنظور الإسلامي
٩٤-٣٠	الفصل الأول : المسارات التكاملية في الاعتقاد والفكر
٦١-٣٢	المبحث الأول : الفكر العقائدي ومساراته الوسطية
٤٢-٣٣	١- الاعتقاد المعرفي في سياقة التكاملية
٥٠-٤٢	٢- الوسطية التشريعية في التوظيف العقائدي
٦١-٥٠	٣- بناء قواعد تثقيفية في المسارات العبادية
٨٤-٦٢	المبحث الثاني : المسارات الوسطية في الاعتقاد بمقام الإمامة وأبعادها الولائية
٩٤-٨٥	المبحث الثالث : مسارات الفكر الحضاري والعلوم التطبيقية
١٤٨-٩٥	الفصل الثاني : المسارات التنظيمية والتوجيه الاستراتيجي
١٠٦-٩٦	المبحث الأول : المسار التنظيمي للاطار الاجتماعي وفلسفته النوعية
١٢٩-١٠٧	المبحث الثاني : مسار الاستراتيجية الاقتصادية والتنظيم التنموي الكسبي
١١٣-١٠٨	الاستراتيجية السياسية وأبعادها الاقتصادية
١٢٩-١١٣	معيار التنمية الاقتصادية وفلسفتها الواقعية
١٤٨-١٣٠	المبحث الثالث : مسار تنظيم وتوجيه الاطار السياسي وأبعاده العملية
١٤١-١٣٢	تنظيم الشخصية الحاكمة وبنائها ومسار التعامل مع المحكومين
١٤٨-١٤١	توجيه وتنظيم الاطار العسكري وعلاقته بالقيادة
١٨٥-١٤٩	الفصل الثالث : المسارات التثقيفية وطابعها الشمولي
١٥٩-١٥٠	المبحث الأول : مسار القواعد الوقائية

١٦٠-١٨٠	المبحث الثاني : مسار القواعد الإرشادية
١٨١-١٨٥	المبحث الثالث : الغاية الفلسفية وطابعها الشمولي
١٨٦-١٨٧	الخاتمة
١٨٨-٢١١	قائمة المصادر والمراجع
A-c	Abstrac

الْقَدَمَةُ

الحمد لله رب العالمين على إفضاله ، والشكر على نواله ، والصلاة والسلام على خير الأنبياء

والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين .. أما بعد ..

في خضم ما تمر به الأمة الإسلامية في عالمنا المعاصر من تحديات جمة أَلقت بظلالها القائمة على وجود المجتمعات ومستقبلها برزت الوسطية بوصفها منهجاً مهماً ينبغي الاستجابة له مع أن ضمان النجاح والاستمرارية لأي علاج ومنهج فكري يعتمد على صفاء المنبع، وسلامة المصدر فيدوم نفعه ويرتقي إلى منهج وعلاج لا يستغنى عنه ولا يُستعاض بغيره كيفما تحولت المتغيرات الزمانية والمكانية ، فمثلت رؤى أمير المؤمنين عليه السلام والمسارات الوسطية ذلك العلاج الفاعل الذي يطور الواقع الحياتي، ويهدف لتقنين الوسطية بوصفها مرتكزاً ومنهجاً ومساراً لا يستقيم بناء المجتمعات بدونَه فضلاً عن اتخاذها منهجاً سلوكياً يمارسه المجتمع بما فيه من أفراد وجماعات بغض النظر عن توجهاتهم العقائدية لتطلع إلى مجتمع يعي متطلبات المرحلة ويسعى نحو الرقي والازدهار، فكان لا بد من انتهاج الوسطية لتلافي النقص والتقصير السائد في المجتمع ، لهذا كان لا بد من وقفة تصحيحية تستمد جذورها من هذا البحر الزاخر والدر المنثور الذي لا يتوقف عن العطاء وفي كل الأفكار والمضامين.

الوسطية من حيث كونها مصطلحاً لم يتجاوز إلا بضع عقود أخذ في التداول والانتشار وبدأت جهود المفكرين وُعِدَت المؤتمرات ، ولكن كواقع عملي وممارسة وتأصيل معنى ممتد إلى مئات السنين فالإضاءات القرآنية تكشف عن تجذر الوسطية والاعتدال، ومن ثم دعا إليها الرسول محمد ﷺ ومارسها ومن بعده الإمام علي عليه السلام ، ومع أن المجتمعات في كل زمان ومكان كانت دائماً ما تأخذ جانبي الإفراط والتفريط، والغلو، والانحراف في مختلف مفاصل الحياة

ومرافقتها فكان ذلك يستدعي إعادة تغليب ثقافة التوسط والاعتدال على الغلو والانحراف بمفهومه الواسع الذي طغى على كل المحاور والمفاصل .

لذلك جاء هذا البحث لزاماً عن صيغ الحلول لتوسيط واعتدال أفعال الأمة الإسلامية ولتدراك ما تيسر من بنى تحتية أخلاقية بعد التصدع وإيجاد معالجات لتأصيل الحالة الوسطية للإسلام على أساس كونها حالة ينتمي إليها الجميع ، وأنت الفرصة لتجذير التوسط في كل المسارات التي طالها الانحراف من ذلك الوقت حتى الآن بالرؤى العلوية التي تخفف عن الأمة عناءها وغلواءها وتتوجه للبناء والنهوض وتؤسس لمجتمع صالح يبتعد فيه الإنسان عن مختلف أنواع العدوان على الغير، سواء جسدي أو مالي أو أي عدوان اعتباري آخر ، ولعل دراسة هذا الموضوع في نهج البلاغة يوجه الفكرة ويزيد من وضوحها وتأثيرها ذلك الكتاب الذي جمعه الشريف الرضي رحمته الله (ت ٤٠٦هـ) والذي يضم بين دفتيه كلمات ابلغ الخطباء علي بن أبي طالب عليه السلام ، التي أحدثت ثورة تصاعدية في الفكر ولا تزال آخذه بالتصاعد ، وكان الأبداع النصي ماثلاً الحضور في خطبه عليه السلام فلا يسرد سرداً ولا يجتر اجتراراً كما نفعل نحن وإنما يجسد ويبدع، وكذا التسلسل المنطقي المتين وتولد الأفكار من الأفكار التي تمسك بالقارئ لها للتأمل فيها .

انتظم هذا البحث بعد مقدمته في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة في محاولة لاستجماع عنوانه (المسارات الوسطية في فكر الإمام علي عليه السلام دراسة في نهج البلاغة) ، جاء التمهيد بعنوان (مفهوم الوسطية ومدلولاتها الفكرية) الذي عني ببيان معنى الوسطية ودلالاتها اللغوية والاصطلاحية وكذلك بيان التوظيف والتكييف الفكري لمفهوم الوسطية ومن ثم دراسة المفهوم

النامي للوسطية في المنظور الإسلامي وبيان إصالته وإطاره الفكري الذي يعتمد بالأساس على القرآن الكريم والسنة النبوية وترجمته عند أئمة أهل البيت عليهم السلام .

أما الفصل الأول فحُصِّص لدراسة (المسارات التكاملية في الاعتقاد والفكر) بما فيه من صفة التكامل سواء في الفكر العقائدي الذي اشتمل على معلومات في غاية الأهمية عن الوسطية في الثوابت الإسلامية العلمية والعملية التي يؤمن بها المؤمن ومن ثمَّ عن أثر الوسطية في العقائد ، والاعتقاد المعرفي أو التشريع أو القواعد التثقيفية التي يبينها الإمام عليه السلام في المسارات العبادية لكي تتجه إلى طريق التكامل والكمال عن طريق الوسطية، وحُصِّص المبحث الثاني لدراسة أهمية الوسطية في الاعتقاد بمقام الإمامة وأبعادها الولاية ولم يعد هذا الفصل بيان نتيجة الوسطية وفلسفتها في مسار الفكر الحضاري والعلوم التطبيقية الذي تناوله المبحث الثالث .

وتضمن الفصل الثاني الذي كان بعنوان (المسارات التنظيمية والتوجيه الاستراتيجي) والذي عد بمثابة المسار الذي تسترشد به المؤسسات سواء السياسية أم الاقتصادية أم المؤسسة الاجتماعية ثلاثة مباحث كان المبحث الأول عن المسار التنظيمي للإطار الاجتماعي وفلسفته النوعية والمبحث الثاني الذي تناول المسار الاقتصادي وما يحققه من تنظيم تنموي كسبي، وجاء المبحث الثالث لتناول تنظيم الإطار السياسي فحققت الوسطية رؤى ونتائج تنظيمية وتوجيهاً استراتيجياً ينظم الحياة الاجتماعية والعلاقات مع الآخرين وتوجه الاقتصاد وتحقق التوازن الاقتصادي فضلاً عن تنظيم أداء المؤسسة السياسية بما فيها متعلقاتها العسكرية وتوجيهها وتطويرها .

في حين استعرض الفصل الثالث (المسارات التثقيفية وطابعها الشمولي) إذ يضع الإمام علي عليه السلام قواعد وقائية وهو ما تناوله المبحث الأول وقواعد إرشادية جاءت في المبحث الثاني وكذلك الغاية الفلسفية التي تؤكد مفهوم التثقيف الشامل ليأخذ مساحته المناسبة في المجتمع ويُعتمد إطاراً ومنهجاً يترسخان في الذهنية الفردية في المبحث الثالث .

ثم خاتمة الأطروحة التي تضمنت أهم النتائج التي خرجت بها الدراسة .

واعتمدت الدراسة العديد من المصادر أغنتها بالمعلومات الكافية والمفيدة في جوانبها المختلفة ، وكان كتاب نهج البلاغة هو الأساس والمصدر الرئيس وتم اعتماد النسخة التي ضبطها صبحي الصالح .

ويلحقه شروحات نهج البلاغة :- منها شروحات القدماء ، جاء في مقدمتها حسب الأهمية للمبحث شرح نهج البلاغة (الكبير) واختيار مصباح السالكين أو الشرح المتوسط لابن ميثم البرحاني (ت ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م) ، ومعارج نهج البلاغة لمؤلفه بيهقي فريد خراساني (ت ٥٢٢ هـ/ ١٢٢٨ م) ، وكتاب منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للراوندي (ت ٥٧٣ هـ/ ١١٧٧ م) وشرح ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) وشرح حدائق الحقائق لكيزري بيهقي(ت القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) وكتاب أعلام نهج البلاغة للسرخسي (ت ٤٨٣ هـ) فضلاً عن شروحات أخرى.

وتم الاعتماد على شروح المتأخرين وأهمها ، كتاب شرح نهج البلاغة للموسوي وكتاب توضيح نهج البلاغة لحسيني شيرازي، فقد كانت شروحاتها مميزة وغنية اعتمدنا عليها كثيراً، وكتاب منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للخوي، وكذلك كتاب في ظلال نهج البلاغة لمحمد

جواد مغنية وشرح نهج البلاغة لدخيل، ، ونهج البلاغة لمحمد عبده، وشرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار لعلي أنصاريان، و بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة للتستري .

هذا فضلاً عن شروحات نهج البلاغة باللغة الفارسية التي تم الاعتماد عليها كثيراً في الدراسة سواء القدماء منهم أو المتأخرين وحسب الأهمية ، تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين لفتح الله الكاشاني (ت ١٥٨٠/٩٨٨م) ، وترجمة وشرح نهج البلاغة لعز الدين الآملي (ت بعد ٩٤٤هـ - ١٥٣٧م) ، وكتاب منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة لمولى عبد الباقي التبريزي (ت ١٠٣٩هـ - ١٦٢٩م) ، أما شروحات المتأخرين فيأتي في مقدمتها شرح نهج البلاغة للاردبيلي ، وشرح نهج البلاغة للقمي، و فرهنگ معارف نهج البلاغة للدشتي ، وكتاب شرح نهج البلاغة لمحمد علي الشرقي .

ولا يُغفل دور التفاسير بوصفها مصدراً مهماً للدراسة لما حوته من تفسير آيات كثيرة جاءت في الوسطية، فضلاً عن الاستفادة منها في تمهيد البحث ومنها حسب الأهمية للبحث، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيرازي، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (ت ٩٢٢/٣١٠م) ، وتفسير الرازي لفخر الدين الرازي(ت ٦٠٦هـ/١٢١٠م) ، وتفسير القمي للقمي (ت نحو ٩٤٠/٣٢٩م) وكتاب تفسير الميزان للطباطبائي، والعديد من التفاسير الأخرى التي تم الاعتماد عليها .

واعتمدت الدراسة على كتب الحديث، وبأتي في مقدمتها مسند أحمد ابن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م) وكتاب الصحيح للبخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م).

وكان للمعاجم اللغوية دور في توضيح كلام الإمام عليه السلام الذي ورد في طيات الدراسة ومنها حسب الأهمية للبحث لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ/١٣١١م) والعين للفراهيدي (ت ١٧٥هـ/٧٩١م) ومختار الصحاح لأبي بكر الرازي (ت ٧٢١هـ/١٣٦٩م) .

وقد أفاد البحث من الدراسات الحديثة العامة كبحث الوسطية في التصور الإسلامي لإبراهيم النعمة، والوسطية في ضوء السنة الشريفة لمحمود خلف جراد العيساوي، وبحث الوسطية من منظور إسلامي ل.ل.م.د. حسين علي احمد فضلاً عن الوسطية في القرآن وعلومه كمفهوم الوسطية ومضمونها في القرآن الكريم لوضاح كافي حلومي وتفسير آية الوسطية لاحتراس شاد فندي، والوسطية القرآنية بين الإفراط والتفريط لعلاء صالح القيسي .

ختاماً لا ادعي لهذه الأطروحة الكمال ولا لمباحثها الإحاطة التامة ولا لمفرداتها الشمول لكنها ألق من أضواء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من ناحية، ومحاولة لوضع المسارات الوسطية حيز التطبيق بما يهيئ للبحث العلمي أن يأخذ مداه في الاصطلاح من ناحية أخرى . وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم عليه توكلت واليه أنيب .

الباحثة

التمهيد

مفهوم الوسطية ومدلولاتها

الفكرية

أولاً: معنى الوسطية ودلالاتها اللغوية والاصطلاحية

الوسطية هي مفهوم شمولي عام لا يتحدد بجانب معين وإنما ينسحب على الجوانب كافة وذلك لتطابق معناه اللغوي والاصطلاحى ، فعن المعنى اللغوي يرى الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) أن الوسط : موضعاً للشيء فإذا نصبت السنين صار اسماً لما بين طرفي كل شيء ، و وسط فلان جماعة من الناس ، وهو يسطهم ، إذا صار في وسطهم، و الوسط من الناس وكل شيء : أعدله ، وأفضله ، ليس بالغالي ولا المقصر^(١)، ولم يختلف الجوهرى (ت ٣٩٣هـ) كثيراً عنه إذ قال إن الوسط يعني العدل، و شيء وسط أي بين الجيد والردىء^(٢) ، أما ابن فارس (٣٩٥هـ) فيرى في تعريف كلمة (وسط) أن الواو والسين والطاء هي بناء صحيح يدل على العدل والنصف وأعدل الشيء أوسطه ووسطه^(٣)

وتوسع ابن منظور (ت ٧١١هـ) في الإحاطة بكل معاني الكلمة ومفرداتها حينما قال إن الوسط ، بالتحريك اسم لما بين طرفي الشيء، وقد يأتي الوسط صفة وإن أصله أن يكون اسماً من جهة أن أوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى خير من طرفيه ، وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها لتمكن الراكب، وأما الوسط ، بسكون السين ، فهو ظرف^(٤) .

وأوسط قوم أي خيارهم، ووسيطاً أي حسيباً في قومه، ووسط في حسيبه وساطة وسطة ووسط ؛ ووسطه حل وسطه أي أكرمه، والتوسيط أن تجعل الشيء في الوسط ، والتوسيط قطع الشيء نصفين، والتوسط من الناس من الوساطة ، ومزعى وسط أي خيار ؛ ووسط الشيء

١ - العين ، ٢٧٩/٧ .

٢ - الصحاح ، ١١٦٧/٣ .

٣ - معجم مقاييس اللغة ، ١٠٨/٦ .

٤ - لسان العرب ، ٤٢٧/٧ - ٤٢٨ .

وأوسطه : أعدلُه ، ورجل وسط ووسيط : حسن من ذلك .، وصار الماء وَسِيطَةً إِذَا غَلَبَ الطين على الماء ؛ ويقال أيضاً : شيء وسط أي بين الجيد والرديء^(١) . ومن كل ما مر من تعاريف اللغويين يمكن أن نخرج بما يلي :

١- إن المعنى اللغوي للكلمة وسط وما يتصرف منها يؤدي إلى معانٍ متقاربة تدور جميعها حول الأفضلية، والعدل، والتميز والمثالية .

٢- من تعاريف اللغويين يمكن أن نخرج بنتيجة مفادها أن الوسطية هي وسيلة الوصول إلى الغاية المحمودة .

٣- كذلك تؤدي إلى منع انحدار الاختيار بين ذات اليمين وذات الشمال .

وقد تأتي الوسطية بمعنى القصد فالقاف والصاد والذال في اللغة تعني استقامة الطريقة ، و القصد في المعيشة لا إسراف ولا تقتير^(٢) فهي عكس الإسراف الذي يعني مجاوزة القصد، وعجل في ماله اسرف من غير قصد^(٣) ، إي من غير توسط واعتدال .

وأيضاً من المدلولات الأخرى للوسطية: الرفق الذي هو ضد العنف ، والرفق لين الجانب ولطافة الفعل^(٤) .

والحال ينطبق على المعنى الاصطلاحي فالوسطية هي واحدة من سمات الأمة المحمدية وخصائصها لذلك فهي ليست مصطلحاً أو مفهوم حديث إذ ورد المصطلح في القرآن الكريم أكثر

١- ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٣٠/٧ .

٢- الفراهيدي ، العين ، ٥٤/٥ - ٥٥ .

٣- ابن منظور ، لسان العرب ، ١٤٨/٩ .

٤- ابن منظور ، لسان العرب ، ١١٨/١٠ .

من مرة بألفاظ متعددة كوسطاً^(١) والوسطى^(٢) وأوسطهم^(٣) ووسطن^(٤) ، وتناولها العلماء القدامى والمحدثون بالتعريفات التي تقود غالبيتها إلى مضامين متقاربة لا تبتعد كثيراً عن المعنى اللغوي بل تدور في فلكه ، فالوسطية لدى ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) وسطية عقدية بين طرفي التقصير والعلو وقد اقتبسها من القرآن الكريم فيرى أنّ الوسطية أو الوسط في الآية القرآنية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٥) هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي بين الطرفين ، مثل وسط الدار ، وأن الله تعالى وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين ، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقولهم في عيسى ما قالوا فيه ، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه ، فوصفهم الله بذلك ، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها^(٦) .

فيما يرى الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) أنّ الوسطية تأتي ، من وسط الشيء وهو ما له طرفان متساويا القدر ويقال ذلك في الكمية المتصلة كالجسم الواحد إذا قلت وسطه صلب، وضربت وسط رأسه بفتح السين . ووسط بالسكون ، ويقال في الكمية المنفصلة كشيء يفصل بين جسمين نحو وسط القوم كذا، ويقال تارة فيما له طرفان مذمومان يقال هذا أوسطهم حسبا إذا كان في واسطة قومهم ، وأرفعهم محلا كالجود الذي هو بين البخل والسرف فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط ، فيمدح به نحو السواء والعدل والنصفة ، نحو ((وكذلك جعلناكم أمة وسطا)) وعلى ذلك ((قال أوسطهم)) وتارة يقال فيما له طرف محمود وطرف

١ - ينظر قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ، البقرة / ١٤٣ .

٢ - ينظر قوله تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ، البقرة / ٢٣٨ .

٣ - ينظر قوله تعالى ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ ، القلم / ٢٨ .

٤ - ينظر قوله تعالى ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ ، العاديات / ٥ .

٥ - البقرة / ١٤٣ .

٦ - جامع البيان عن تأويل اي القرآن ، ١١/٢ .

مذموم كالخير والشر ويكنى به عن الرذل نحو قولهم فلان وسط من الرجال تنبئها أنه قد خرج من حد الخير^(١) .

وقد استخلص الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) من هذا المفهوم معنى (الخيار الحسن) معللاً ذلك بان الوسط هو الجزء المحمي قياساً بالأجزاء الأخرى فقال بمعنى الوسط ((خياراً وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، ونحوه قوله عليه الصلاة والسلام " وأنطوا الثبجة "^(٢) يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر ، إلا أنه ألحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف، وقيل للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأعوار ، والأوساط محمية محوطة))^(٣) .

في حين استوعب الرازي (ت ٦٠٦هـ) آراء سابقة القائلة بالعدل أو الخيرية أو الوسطية العقدية بين طرفي التقصير والغلو وزاد عليهم معنىً كلامياً مفاده أن الأشاعرة رأوا في هذه الآية تأييداً لمذهبهم حينما قال ((احتج الأصحاب بهذه الآية على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى لأن هذه الآية دالة على أن عدالة هذه الأمة وخيريتهم بجعل الله وخلقه وهذا صريح في المذهب ، قالت المعتزلة : المراد من هذا الجعل فعل الألفاظ التي علم الله تعالى أنه متى فعلها لهذه الأمة اختاروا عندها الصواب في القول والعمل))^(٤) ، ولا يعيننا أن يكون رأي الأشاعرة أو المعتزلة هو الأرجح في هذا الجعل بقدر اهتمامنا بان مفهوم الوسطية موحد في الرأيين وهو العدل أو العدالة وهو الحالة المتوازنة المنتجة .

١ - المفردات في غريب القرآن ، ص ٥٣٣ .

٢ - الزيلعي ، تخريج الأحاديث والآثار ، ٩١/١ .

٣ - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ص ٣١٧ .

٤ - تفسير الرازي ، ١١٠/٤ .

وقد مثل بعض العلماء لهذا المفهوم العادل ببعض المصاديق فقد اقترب **القرطبي** (ت ٦٧١ هـ) من سابقة حينما رأى أنّ الوسط يعني العدل ، وأصل هذا أنّ أحمد الأشياء أوسطها^(١) ، في حين ذكر ابن كثير أنّ الوسط هو الخيار والأجود ومثل لذلك بمصاديق من ارض الواقع الإسلامي كالقول أنّ قريش أوسط العرب نسبا وداراً أي خيرها وكان رسول الله ﷺ وسطا في قومه أي أشرفهم نسبا، ومنه الصلاة الوسطى^(٢) التي هي أفضل الصلوات ، ولما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج، وأوضح المذاهب^(٣) .

ويستعرض **المنائي** (ت ١٠٣١ هـ) أمثال الوسط كالسخاء الذي هو وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة بين الجبن والتهور ، لأنه يرى أن الوسط يكون بين طرفين مذمومين إذ كل خصلة حسنة لها طرفان مذمومان، وأبعد الجهات والمقادير من كل طرفين وسطهما فإذا كان في الوسط فقد ابتعد عن المذموم بقدر الإمكان^(٤) .

في حين نجد أن من العلماء من ربط بين الجانب المادي والمعنوي وبشكل هادف لبيان الخصوصية والمركزية فقد قيل أنّ ((الوسط في الأصل هو اسم للمكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب في المدور ومن الطرفين في المطول كمركز الدائرة ولسان الميزان من العمود ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط))^(٥) ، ولعلنا حينما نخصص هذا الجزء المادي الوسطي في المكان نجده يمثل المركزية القيادية والمحور المنتج من المادة .

١ - الجامع لأحكام القرآن ، ١٥٣/٢ .

٢ - «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَفُؤَمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ» ، البقرة / ٢٣٨ .

٣ - تفسير ابن كثير ، ١٩٦/١ .

٤ - فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ٥٠٧/٤ .

٥ - الكفوي ، الكليات ، ص ٩٣٨

في نهاية المطاف نخلص إلى أنّ الوسطية في التعريف الاصطلاحي جاءت بمعان عدة: مرة بمعنى الاعتدال والتوسط، ومرة بمعنى الخيرية والأفضلية، وثالثة تعبر عن حالة التوازن بين التطرف والمحمودية، وأخرى عن الجزء الذي بين طرفي الإفراط والتفريط ، ومن هذه المعاني كلها يمكن أن نخرج بتعريف أو نتيجة جامعة ومفسرة لمعنى الوسطية وهي أنّ الوسطية قد تأتي بالمعنى المادي الصرف كون الشيء في الوسط وله طرفان ، أو تأتي بالمعنى المادي كون الشيء أفضل شيء وأعدله وأجوده أو تأتي بمعنى الحالة المثالية في الشيء أو التي عليها الشيء .

ثانياً : التوظيف والتكييف الفكري لمفهوم الوسطية

لقد وظفت الوسطية لتلائم مع بعض النظريات والطروحات وكان هذا التوظيف يمثل استغلالاً للمفهوم بما يحقق ويوافق الطرح الفئوي أو المذهبي أو الديني على وجه العموم بحسب التفسيرات التي يراها أصحابها موافقة للمبدأ فابن تيمية(ت٧٢٨هـ) مثلاً يقرر قاعدة للوسطية تتناغم مع اعتقاده إذ يرى أن ((الانحراف عن الوسط كثير في أكثر الأمور في أغلب الناس . مثل تقابلهم في بعض الأفعال يتخذها بعضهم ديناً واجباً أو مستحباً أو مأموراً به في الجملة . وبعضهم يعتقدونها حراماً مكروهاً أو محرماً أو منهيّاً عنه في الجملة))^(١) .

ثم يخلص إلى نتيجة مفادها أنّ أهل السنة والجماعة هم أهل الوسط كما أنّ الأمة وسط بين الأمم فيقول ((إن الفرقة الناجية -أهل السنة والجماعة - يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه العزيز من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ؛ بل هم الوسط في فرق الأمة كما أنّ الأمة هي الوسط في الأمم . فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى

^١ - مجموعة الفتاوى ، ٣/٣٥٧ .

بين أهل التعطيل الجهمية^(١) ؛ واهل التمثيل المشبهة^(٢) . وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين بين القدرية^(٣) والجبرية^(٤) ، وفي باب وعيد الله بين المرجئة^(٥) والوعيدية: من القدرية، وغيرهم

١ - وهم اتباع جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمز وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرور في آخر ملك بني أمية وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء حيث قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلها وان الجنة والنار تبيدان وتفنيان وان الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط والكفر هو الجهل به فقط، كما أن لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وإنما تتسبب الأعمال إلى المخلوقين وزعم أيضا أن علم الله تعالى حادث وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو عالم أو مرید وقال لا أصفه يجوز إطلاقه على غيره كشيء وموجود وحي وعالم ومرید ونحو ذلك ، البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ١٩٥-١٩٦ ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ٨٦/١ .

٢ - وهم صنفان صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف منهم السبئية الذين سموها عليها وشبهوها بذات الإله ولما أحرق قوما منهم قالوا له الآن علمنا انك إله لان النار لا يعذب بها إلا الله ، و البيانية اتباع بيان بن سمعان الذي زعم أن معبوده أنسان من ثور على صورة الأنسان في أعضائه وانه يفنى كله إلا وجهه ، و المغيرية اتباع المغيرة بن سعيد العجلي الذي زعم أن معبوده ذو أعضاء وأن أعضائه على صور حروف الهجاء ، ومنهم المنصورية اتباع أبي منصور العجلي الذي شبه نفسه بربه وزعم أنه صعد إلى السماء وزعم أيضا أن الله مسح يده على رأسه وقال له يا نبي بلغ عني ، و الخطابية الذين قالوا بإلهية الأئمة وبإلهية أبي الخطاب الأسيدي، ومنهم الذين قالوا بإلهية عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر ، و الحلولية الذين قالوا بحلول الله في أشخاص الأئمة وعبدوا الأئمة لأجل ذلك ، ومنهم الحلولية الحلمانية المنسوبة إلى أبي حكمان الدمشقي الذي زعم أن الإله يحل في كل صورة حسنة وكان يسجد لكل صورة حسنة ، و المقنعية المبيضة بما وراء نهر جيحون في دعواهم أن المقنع كان إليها وانه مصور في كل زمان بصورة مخصوصة ، و العذاقرة الذين قالوا بإلهية ابن أبي العذاقر المقتول ببغداد ، البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٠٦ .

٣ - وهم الذين يقابلون المجبرة مقابلة النقيض لنقيضه ويقولون بأن أفعال العباد مخلوقة لهم ، من دون أن يكون لله أية دخالة في خلقها من قريب أو بعيد . أن القدرية هؤلاء ، قد شنوا - ممثلين في شخصي مؤسسي فكرتهم غيلان الدمشقي ، ومعبد الجهني - حربا لا هوادة فيها على الأمويين بالخصوص ، حتى أن معبدا المذكور ، قد اشترك مع عبد الرحمن بن الأشعث ، عندما ثار على الأمويين ، فقتله الحجاج . في حين أذعن غيلان الدمشقي ، في سب الأمويين وشتيمهم ، شمس الدين ، دراسات في العقيدة الإسلامية ، ص ٣٦ .

٤ - الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى والجبرية أصناف فالجبرية الخالصة هي التي تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا فإما من أثبت للقدرة الحادثة اثرا ما في الفعل وسمي ذلك كسبا فليس بجبري ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ٨٥/١ .

٥ - الأرجاء على معنيين أحدهما بمعنى التأخير كما في قوله تعالى (قالوا أرجه وأخاه) ، الأعراف/ ١١١ . أي أمهله وأخره والثاني إعطاء الرجاء إما اطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا

وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية^(١) والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروافض والخوارج^(٢)، ولعل الملاحظ أنّ ابن تيمية قد كيف ووظف هذا المفهوم الاعتدالي المتوازن ليحوّله إلى مفهوم تطرف وتكفير حتى أصبح أداة عزل وتمييز سلبي تعكس النظرة القاصرة المتطرفة التي أحرزت الآثار الكارثية على المجتمعات الإسلامية حيث استغل مفهوم الوسط استغلالاً فكرياً وتطوعياً لايدلوجية الشخص دون التركيز على حقيقة الطرح القرآني في هذا المجال فهو يركز على وصف كل مخالفه بحالة التطرف ويجعل نفسه وما يعتقد هو الوسط والغرض منه تحقيق المكاسب وإرساء ركائز المقبولية لما يعتقد وهو في نفس الوقت ينم عن حالة تطرفية لا تنتمي للوسطية .

في حين حاول البعض تحقيق مكاسب إثباتية لمبادئه العقائدية من خلال تكيف وتوظيف الوسطية وهم الأشاعرة والمعتزلة إذ جعلوا من آية الوسطية دليلاً آخر على حجية الإجماع فشرح الرازي هذه الآية وبغض النظر عن صوابه فانه يلفت الانتباه إلى الاستثمار المذهبي الواسع لمفهوم الوسطية ووظيفتها التاريخية^(٣) وفي هذا الاطار يقول ((احتج جمهور الأصحاب وجمهور المعتزلة بهذه الآية على أن إجماع الأمة حجة فقالوا : أخبر الله تعالى عن عدالة هذه الأمة، وعن خيريتهم فلو أقاموا على شيء من المحظورات لما اتصفوا بالخيرية وإذا ثبت أنهم لا يقدمون على شيء من المحظورات وجب أن يكون قولهم حجة ، فإن قيل : الآية

يؤخرون العمل عن النية والعقد وإما بالمعنى الثاني فظاهر فإنهم كانوا يقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تتفع مع الكفر الطاعة ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ١٩٣/١ .

١ - وهم الخوارج سموا حرورية لانهم انحازوا إلى حرورا بعد أن رجع الإمام علي عليه السلام من صفين إلى الكوفة وكان عددهم اثنا عشر الفاً وكان قائدهم وقتئذ عبد الله بن الكواء وشبث بن ربعي ، البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٨٠ .

٢ - ابن تيمية ، مجموعة الفتاوى ، ١٤١/٣ .

٣ - محمد جبرون ، نحو فقه جديد لمفهوم الوسطية .

http://tawary.com/article_ar_impr.php?id_article=2095 .

متروكة الظاهر ، لأن وصف الأمة بالعدالة يقتضي اتصاف كل واحد منهم بها وخلاف ذلك معلوم بالضرورة ، فلا بد من حملها على البعض فنحن نحملها على الأئمة المعصومين ، سلمنا أنها ليست متروكة الظاهرة لكن لا نسلم أن الوسط من كل شيء خياره والوجه التي ذكرتموها معارضة بوجهين . الأول : أن عدالة الرجل عبارة عن أداء الواجبات واجتناب المحرمات وهذا من فعل العبد وقد أخبر الله تعالى أن جعلهم وسطاً فافتضى ذلك أن كونهم وسطاً من فعل الله تعالى ، وذلك يقتضي أن يكون كونهم وسطاً غير كونهم عدولاً وإلا لزم وقوع مقدور واحد بقادرين وهو محال . الثاني : أن الوسط اسم لما يكون متوسطاً بين شيئين ، فجعله حقيقة في العدالة والخيرية يقتضي الاشتراك وهو خلال الأصل ، سلمنا اتصافهم بالخيرية ولكن لم لا يكفي في حصول هذا الوصف الاجتناب عن الكبائر فقط ، وإذا كان كذلك احتل أن الذي اجمعوا عليه وإن كان خطأ لكنه من الصغائر فلا يقدح ذلك في خيريتهم))^(١) .

أن الصراع الفكري انسحب حتى على مفهوم الوسطية ذلك المفهوم الشفاف الذي لا يحتمل تلك التأويلات المذهبية التي أخرجته عن محتواه فمسألة العدالة هي ترجمة للوسطية من حيث التناغم والدلالة وينبغي الانطلاق من هذا التناغم في طرح المسائل العقائدية وليس الانطلاق من التصورات المذهبية وقياس العدالة والوسطية عليها .

ونجد هناك من عدّ الوسطية درجات ومراتب واعي هذه المراتب مرتبة الأولياء العارفين بالله التي تخول لهم الشهادة على علماء الظاهر فيقول ابن عجيبة وهو احد رجالات التصوف المغاربة (فكما أن الأمة المحمدية تشهد على الناس ، والرسول يشهد عليهم ويزكيهم ، فكذلك العلماء يشهدون على الناس ، والأولياء يشهدون على العلماء ، فيزكون من يستحق التزكية ،

^١ - تفسير الرازي ، ٤ / ١١٠ .

ويردون من لا يستحقها؛ لأن العارفين بالله عالمون بمقامات العلماء أهل الظاهر ، لا يخفى عليهم شيء من أحوالهم ومقاماتهم ، بخلاف العلماء ، لا يعرفون مقامات الأولياء ، ولا يشمون لها رائحة^(١) . وقد انطلق المتصوفة في هذا التفسير من منطلق التوجيه الفكري الذي يتبنى مقياس الزهد والتصوف والذي ربما ينطبق على العلماء شأنهم شأن الأولياء مما يدل على التكيف والتوظيف المقصود .

وخصص البعض الأمة الوسط بأمة أهل البيت عليهم السلام لان الوسط الوارد في الآية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٢) يعني عدلاً وواسطة بين الرسول والناس^(٣) ، حتى قيل ((إن الوسط هو العدل والخيار، والعدل والخيار لا يصدر عنه إلا الحق ، والإجماع صادر عن هذه الأمة ، العدول الخيار فليكن حقا وهذه الدلالة لو تمت للآية ، فهي لا تزيد على أكثر من أثبات العدالة لهم لا العصمة ، والذي ينفع في المقام إنما هو أثبات العصمة لهم لا العدالة ، ليتم حكايتها عن الحكم الواقعي . إذ العدل لا يمتنع صدور غير الحق منه ولو فرض فإنما يلزم صدور الحق منه بطريق الظاهر فيما طريقه الصدق والكذب ، وهو نقل الأخبار وأداء الشهادات ، أما فيما طريقه الخطأ والصواب في استخراج الأحكام والاجتهاد فيها فلا))^(٤) .

وربما يتناغم هذا الطرح مع المفهوم المعنوي الذي يخرج عن اطار الجانب العبادي فقط ويدخل في المفهوم والمعنى الذي ذكرناه والذي يميز الوسطية كمفهوم للعدالة الذي انسجم هنا مع مقام العصمة كدلاله تعبيرية حاسمة لمقام الوسطية .

١ - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، ١/١٧٥ .

٢ - البقرة / ١٤٣ .

٣ - الكاشاني ، التفسير الصافي ، ١/١٩٦-١٩٧ .

٤ - الحكيم ، الاصول العامة للفقهاء المقارن ، ص ٢٦٠ .

وقد نجد أنّ الترجمة الفعلية لهذا المنطق هو ما طرح من أنّ الوسطية هي وضع كل شيء في محله في قول الغزالي : ((قيل الجود عطاء على رؤية أنّ المال لله تعالى ، والعبد لله عز وجل ، فيعطى عبد الله مال الله ؟ ... فالإمساك حيث يجب البذل بخل ، والبذل حيث يجب الإمساك تبذير ، وبينهما وسط وهو المحمود ، وينبغي أنّ يكون السخاء والجود عبارة عنه ، إذ لم يؤمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا بالسخاء . وقد قيل له ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾^(١) وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٢) . فالجود وسط بين الإسراف والافتقار ، وبين البسط والقبض . وهو أنّ يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب ، ولا يكفي أنّ يفعل ذلك بجوارحه ، ما لم يكن قلبه طيبا به ، غير منازع له فيه . فإن بذل في محل وجوب البذل ، ونفسه تنازعه ، وهو يصابرها فهو متسخ . وليس بسخي . بل ينبغي أنّ لا يكون لقلبه علاقة مع المال ، إلا من حيث يراد المال له ، وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه))^(٣) .

ما طرحه الغزالي هو الجانب الذي يعيننا من المفهوم لأنه خرج عن الاطار العقائدي البحت ليرسم صورة الوسطية الشمولية التي تتحكم فيها المعاني من الموازنة بين الإمساك والتبذير وبين البسط والقبض ، والجود والبخل وغير ذلك .

و نجد أنّ الوسطية أُضِيفَتْ لها مصطلحات ومعاني حديثه فقد توسع سيد قطب في دلالة الوسط بإضافة المفردات والمعاني الحديثة حينما أشار إلى الشمولية الوسطية فالوسطية عنده بمعنى الحسن والفضل ، أم من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد ، أم من الوسط بمعناه المادي

١ - الاسراء / ٢٩ .

٢ - الفرقان / ٦٧ .

٣ - احياء علوم الدين ، ١٠/٥١-٥٢ .

الحسي^(١) ويرى أيضا ضرورة فهم الوسطية على إنها الوسط في المفاهيم المعنوية كافة والتي يمكن أن نجملها بما يأتي :

أولاً: الوسطية هي الموازنة بين التصور والاعتقاد فلا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي وإنما تتبع الفطرة^(٢) .

ثانياً: التوازن والوسطية في التفكير والشعور ، وعدم التعصب وغلق منافذ التجربة والمعرفة^(٣) .

ثالثاً: التوازن في التنظيم والتنسيق والوسطية في المشاعر والضمان^(٤) .

رابعاً: تحقيق الوسطية في الارتباطات والعلاقات التي لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته ، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة؛ ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعاً لا هم له إلا ذاته وإنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء ، وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه . ثم تضع من الكواجح ما يقف دون الغلو^(٥) .

خامساً: الوسطية المكانية والزمانية والتي مثلتها الأمة الإسلامية فهي أمة وسط في المكان في سرّة الأرض ، وفي أوسط بقاعها وما تزال هذه الأمة إلى الآن هي الأمة التي تتوسط أقطار الأرض بين شرق وغرب ، وجنوب وشمال وأمة وسط في الزمان^(٦) .

١ - في ظلال القرآن ، ١٣١/٢ .

٢ - في ظلال القرآن ، ١٣١/٢ .

٣ - في ظلال القرآن ، ١٣١/٢ .

٤ - في ظلال القرآن ، ١٣١/٢ .

٥ - في ظلال القرآن ، ١٣١/٢ - ١٣٢ .

٦ - في ظلال القرآن ، ١٣١/٢ - ١٣٢ .

وقد عدت الوسطية مثلاً للتقابل والتضاد في بعض المفاهيم كالربانية والإنسانية، الروحية والمادية، الآخروية والدينيوية، الوحي والعقل، الماضوية والمستقبلية، الفردية والجماعية، الواقعية والمثالية، الثبات والتغير^(١) ، غير أن هذه المفاهيم لا تتقابل وتتضاد في كل الأحوال وإنما هي امر نسبي فمثلاً الفردية والجماعية قد تخضع للقلّة المؤمنة على حساب الكثرة المنحرفة ، والأمر ينطبق على الماضوية والمستقبلية ومستوى الإنجاز وتوافر المقومات .

ثالثاً: المفهوم النامي للوسطية في المنظور الإسلامي

أن دراسة المفهوم النامي للوسطية في المنظور الإسلامي هو لبيان الحاكمية على ما ذكرناه من رؤى وتصورات سابقة ومن ثم جعل هذا المنظور المقياس التفاضلي الحقيقي أمام كل الدعوات والنظريات التي تبنت الوسطية واتخذت لديها تعريفات متعددة إذ نجد أن القرآن الكريم قد رسم المنهج ووضع أسسه وجميع جوانبه سواء كان عقيدة أم عملاً وسلوكاً ، فليس هناك اختلاف في أن القرآن الكريم جامع ذاك لكل شيء ، ومنها الوسطية حيث ذكرت كلمة وسط ومشتقاتها في القرآن الكريم في العديد من الآيات التي نستطيع من خلالها التعرف على معاني ومدلولات الوسطية .

ومن هذا المنطلق فحينما يصف القرآن الكريم الأمة بالوسط فهو في الحقيقة يبين غاية الوسط وإرجاعه إلى معناه ودلالاته وهو العدل فيقول سبحانه وتعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٢) وبغض النظر من هي الأمة المقصودة بالوسط فهي ليست موضوع بحثنا إلا أن

^١ - القرضاوي، كلمات في الوسطية ، ص ١٣ .

^٢ - البقرة / ١٤٣ .

معنى الوسط هنا هو العدل كما جاء عن لسان الرسول محمد ﷺ في تفسير الآية قال الوسط العدل^(١) ،

أحد معايير أو معاني الوسطية أو معانيها في الفهم القرآني هو الاعتدال بدون إفراط وتفریط ، ويمكن القول أن ما جاء من معنى للوسطية هنا الاعتدال يقابل المعنى المادي لها أي الوسط بعينه الذي تشير إليه الآية «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ»^(٢) .

كما أن الأفضلية مدلول ومعنى آخر للوسطية في القرآن الكريم في قوله تعالى «قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ»^(٣) ، الذي اتفق فيه المفسرون على أن المقصود بأوسطهم اعدلهم وافضلهم^(٤) ، وعلى هذا فان الوسط هنا حمل معنى العدل والأفضلية والخيرية وهو المدلول والمفهوم الآخر الذي يمكن أن نخرج به لمعنى الوسطية في التصور القرآني .

كذلك قوله تعالى «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ»^(٥) الذي يحمل ذات الدلالة، فالصلاة الوسطى أي المتوسط سواء المقصود بها صلاة الظهر لتوسطها بين صلاة الغداة أم العصر^(٦) أم صلاة العصر المتوسطة بين صلاتين من النهار وصلاتين من الليل^(٧) أو الراي الثالث القائل أنها صلاة الفجر المتوسطة بين صلاتي الليل والنهار التي تؤدي

^١ - ابن حنبل ، مسند أحمد ، ٣٢/٣ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ١٥١/٢ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٤/٢ .

^٢ - البقرة / ٢٣٨ .

^٣ - القلم / ٢٨ .

^٤ - القمي ، تفسير القمي ، ٣١٨/٢ ؛ الرازي ، تفسير الرازي ، ٩٠/٣٠ ؛ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤٣٣/٤ ؛ الكاشاني ، التفسير الصافي ، ٢١٢/٥ ؛ الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ٣٧٥/١٩ .

^٥ - البقرة / ٢٣٨ .

^٦ - ينظر : العياشي ، تفسير العياشي ، ١٢٧/١ ؛ الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ٢٥٨-٢٥٩ .

^٧ - الطبري ، جامع البيان عن تأويل اي القرآن ، ٧٥٤/٢ .

قبل طلوع الصبح وقبل طلوع الشمس فلا تكون الظلمة تامة ولا الضوء تام^(١) ، من ثم فإن جميع الآراء تؤدي إلى نتيجة ومعنى أن الوسطى هنا هي المتوسطة بين طرفين، وهذا الوسط أفضل بدليل أن الآية القرآنية ذكرت تعميماً بالمحافظة على الصلوات، وتخصيصاً الصلاة الوسطى.

في حين كان المفهوم المكاني الدلالة والمعنى الآخر للوسطية قوله تعالى ﴿فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾^(٢) التي ذكر المفسرون أن معناها التوسط في المكان^(٣) وسطن بركبانهم العدو أو جمع القوم، وهذا المدلول أو المفهوم المادي للوسطية التوسط أو الوسط المكاني بين طرفين .

ثم ينقلنا القرآن الكريم إلى مرحلة أخرى من الوسطية وهي مرحلة تطبيقاتها في مختلف المجالات ومنها المجال العبادي في الاعتقاد والتشريع إذ قال تعالى ﴿هُدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٤) ، فالصراط المستقيم وسط بين الطرفين اليمين والشمال المضلين، وهم المغضوب عليهم والضالين ، وهما منهجان دائران بين الغلو والجفاء لأن المغضوب عليهم تفريط، والضالين إفراط^(٥) ، ومن ثم فإن الانحراف عن طريق الوسط والاعتدال تكون النتيجة أحد هذين السبيلين وكما يقول تعالى مصداقاً لذلك ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٦) .

كما يؤكد القرآن الكريم على التزام الوسط بين الإفراط والتفريط في فهم العبادة فينقض الفهم السلبي الأحادي ويؤكد على المفهوم الوسطي في قوله تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ

١ - الرازي ، تفسير الرازي ، ١٥٨/٦ .

٢ - العاديات / ٥ .

٣ - الصنعاني ، تفسير القرآن ، ٣٩٠/٣ ؛ الطبري ، جامع البيان عن تأويل اي القرآن ، ٣٥٢/٣٠ ؛ القمي ، تفسير القمي ، ٤٣٩/٢ ؛ البغوي ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، ٥١٨/٤ .

٤ - الفاتحة / ٦-٧ .

٥ - الصلاحي ، الوسطية في القرآن الكريم ، ص ١٦٣ .

٦ - الانعام / ١٥٣ .

وَلَا تَتَسَّ نَصِيْبِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴿١﴾ ، فهذه الآية توضع أسس المنهج الوسطي لا ترك الدنيا واتباع الرهينة والتزهد، ولا استغراق في طلب ملذات الدنيا إنما التوسط بينهما، كما أن هذه الآية دليل على أن ترك التوسط والاعتدال يؤدي إلى فساد في الأرض (٢) .

ويقدم القرآن الكريم تطبيقاً آخر للوسطية في العبادة في قوله ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (٣) ، إذ أن الأساس هو ابتغ بين ذلك سبيلاً، من غير زيادة ولا نقصان في القراءة في الصلاة ، أي الموازنة وعدم الميل على الطرف اليمين أو الشمال وإنما جادة الوسط وبها تتحقق النتائج الإيجابية المرجوة .

ولم يكتف القرآن الكريم ببيان الوسطية في العبادة بل أشار إلى نواحي الحياة الأخرى للفرد بما في ذلك التزام منهج التوسط والاعتدال في الطعام وعدم تجاوز الحد إلى الإفراط والإسراف في الأكل والشرب، قال تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٤) ، وكذلك التوسط في المشي بين الطرفين المذمومين الإسراع والديب (٥) في قوله تعالى ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ أَنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ﴾ (٦) ، فالقصد في اللغة بين الإسراف والتقتير (٧) .

١ - القصص / ٧٧ .

٢ - بازمول ، أدلة الوسطية من القرآن العظيم والسنة النبوية ، ص ٨ .

٣ - الإسراء / ١١٠ .

٤ - الأعراف / ٣١ .

٥ - ينظر : الرازي ، تفسير الرازي ، ١٥٠/٢٥ ؛ الكاشاني ، التفسير الصافي ، ١٤٦/٤ .

٦ - لقمان / ١٩ .

٧ - ينظر : الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٢٧٧ .

والأمر ينطبق على أمور المعاملات التي لم يغفلها القرآن الكريم بل أشار إلى المعاملات المادية الاقتصادية فمنه قوله تعالى في كتابة ﴿الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١) ، وقوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٢) ، بالنتيجة أن المفهوم القرآني يقدم مجالاً آخر من مجالات تطبيق الوسطية وهو الجانب الاقتصادي مع العلم أن شمول الوسطية لكل المجالات بما فيها الاقتصادية ليس اعتباطاً وإنما قائماً على فلسفة يذكرها القرآن في قوله المتقدم ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ، فالمقصد قد أخذ بالوسط وعدل عن طرفيه الإسراف والتقتير^(٣) المذمومين ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤) ﴿وَأَتِذَا الْقُرْآنَ يُعْرَفُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذَّرُ تَبْذِيرًا﴾^(٥) إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾^(٥) ، وكلها ملامح قرآنية تأسيسية الهدف منها خلق نوع من الموازنة في مجالات الحياة كافة .

والسنة النبوية شأنها شأن القرآن الكريم وضحت في البداية معنى الوسطية سواء المعنى المعنوي عندما سئل الرسول محمد ﷺ عن معنى كلمة وسطا قال تعني العدل^(٦) ، أم المعنى

١ - الفرقان / ٦٧ .

٢ - الإسراء / ٢٩ .

٣ - بازمول ، أدلة الوسطية من القرآن العظيم والسنة النبوية ، ص ٨ .

٤ - الحشر / ٩ .

٥ - الإسراء / ٢٦-٢٧ .

٦ - ابن حنبل ، مسند أحمد ، ٣/٣٢ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ٢/١٥١ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ،

٤/٢ .

المادي للكلمة في قوله ﷺ ((فإذا سألتم الله عز وجل فسلوه الفردوس فإنها أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوق عرش الرحمن عز وجل ومنه تفجر أنهار الجنة))^(١).

أما فيما يتعلق بتطبيقات الوسطية فإننا نجد النصوص الشرعية تؤطر معنى الوسطية وتؤكد أهميتها ودورها في كل ما يتعلق بالفرد لان الوسطية كما عرفنا هي البوصلة التي تحدد اتجاه الفعل الإنساني، وتسدد الفكر والسلوك كما يقول الرسول محمد ﷺ ((فسددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشئ من الدلجة)^(٢) والقصد القصد تبلغوا))^(٣) والقصد العدل وهو الوسط في الأمور^(٤)، ويوضح الرسول محمد ﷺ الفلسفة من التأكيد على سلك مسلك القصد في كل الأمور سواء قولاً أم فعلاً لأنها تؤدي إلى النتيجة المحمودة الوصول إلى المقصود، والانتهاى إلى المطلوب بالابتعاد عن طرفي الإفراط والجفاء ، ويقول ﷺ أيضاً في ذات المعنى ((إذا أراد الله تبارك وتعالى بأهل بيت خيراً ، فقههم في الدين ، ورزقهم الرفق في معاشهم ، والقصد في شأنهم))^(٥).

ولأهمية المسألة وهي القصد بالاعتدال والتوسط في كل الأمور دون إفراط أو تفريط نجد أن الرسول محمد ﷺ يكرر التأكيد على القصد ثلاث مرات عندما رأى رجلاً يكثُر الركوع والسجود^(٦) فقال له: عليكم هدياً قاصداً (ثلاث مرات) فإنه من يشاد الدين يغلبه^(١) ، ونظير ذلك

١ - ابن حنبل ، مسند أحمد ، ٣٣٩/٢ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ٢٠٢/٣ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ١٧-١٦/٩ .

٢ - الدلجة : سير السحر ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٧٢/٢ .

٣ - ابن حنبل ، مسند احمد ، ٥١٤/٢ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ١٨٢/٧ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٣٥٦/١٠ .

٤ - ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٥٣/٣ .

٥ - القاضي النعمان ، دعائم الاسلام ، ٢٥٥/٢ ؛ وينظر : الراوندي ، النوادر ، ص ٢٧٦ ؛ النوري الطبرسي ، مستدرک الوسائل ، ٣٩٢/٨ .

٦ - ربما يسأل سائل أن أهل البيت عليهم السلام وفق هذا الحديث قد عارضوا قول الرسول محمد ﷺ لانهم وكما عُرف عنهم كانوا كثيرون السجود والركوع حتى اطلق على الإمام موسى الكاظم عليه السلام صاحب السجدة الطويلة ،

قوله عليه السلام (ثلاث منجيات فذكر الثالث القصد في الغنى والفقير)^(٢)، في مقابل الأمر المعاكس وهو الإسراف إذ ذكر الرسول عليه السلام أَنَّ المسرف لا يستجيب الله له دعاءه بالرزق لأنه لم يقتصد^(٣).

أما فيما يخص الأئمة عليهم السلام فنجد أَنَّ أهل البيت عليهم السلام ولا سيما الإمام علي عليه السلام و الإمام الصادق عليه السلام كان لهم دور في توعية المجتمع وتنقيفه للوسطية وفوائدها، والإفراط والتفريط كالبخل مثلاً أو الإسراف ومضارهما من ناحية وبيان حد كل منهما من ناحية أخرى ، فنجد مثلاً أَنَّ أبا عبد الله عليه السلام بين ذلك في إحدى المناسبات كسؤال من احدهم ((إنا نكون في طريق مكة فنريد الإحرام فنظلي ولا تكون معنا نخالة نتدلك بها من النورة فنتدلك بالدقيق وقد دخلني من ذلك ما الله أعلم به ، فقال : أمخافة الإسراف ؟ قلت : نعم ، فقال : ليس فيما أصلح البدن إسراف ، إني ربما أمرت بالنقي فيلت بالزيت فأنتدلك به ، إنما الإسراف فيما أفسد المال وأضر بالبدن قلت : فما الاقتار ؟ قال : أكل الخبز والملح، وأنت تقدر على غيره ، قلت : فما القصد ؟ قال : الخبز واللحم واللبن والحل والسمن مرة هذا ومرة هذا))^(٤). وهنا حدد الإمام عليه السلام حدود الإسراف وحدود الاقتار ومتى يكون التوسط قصد لا إسراف ولا اقتار، لذا نجده في مناسبة أخرى

لكن يمكن القول أَنَّ ما عرف عنهم من كثرة الركوع والسجود صحيحه لكن بدون إفراط أو تفريط أي بالمعنى أَنَّ مع كثرة صلاتهم وركوعهم وسجودهم مارسوا الحياة اليومية من زواج، وتربية الأولاد وغيرها من الأمور التي تتطلبها الحياة الدنيوية من غير أن يطغى جانب لديهم على الآخر فيوسموا بالأفراط والتفريط .

١ - ابن حنبل ، مسند أحمد ، ٤/٤٢٢ ؛ ابن خزيمة ، صحيح ابن خزيمة ، ٢/١٩٩ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣١٢/١ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ٣/١٨ .

٢ - الكليني ، الكافي ، ٤/٥٣ ؛ وباختلاف في الألفاظ لكن في المعنى نفسه ينظر : الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، ١/٥٢٤ ؛ الهيتمي ، مجمع الزوائد ، ١٠/٢٥٢ ؛ السيوطي ، الجامع الصغير ٢/٤٨٠ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٣/٢٨ .

٣ - ينظر : الكافي ، الكليني ، ٥/٦٧ .

٤ - الكليني ، الكافي ، ٤/٤٥-٥٥ ؛ الطبرسي ، مكارم الاخلاق ، ص ٥٨ .

يقول عليه السلام ((أدنى ما يجيئ من حد الإسراف ؟ فقال : إبدالك ثوب صونك وإهراقك فضل إنائك وأكلك التمر ورميك النوى ههنا وههنا))^(١) ، وهذا المنطلق هو رسم للضوابط والمحددات التي يمكن أن يكون الفرد متفاعل معها وفق ثقافته التي أراد الإمام عليه السلام تتميتها .

وكان لأهل البيت عليهم السلام دور في توعية المجتمع للفوائد المترتبة على الوسطية والاقتصاد فعن علي بن الحسين عليه السلام انه قال : ((لينفق الرجل بالقصد وبلغه الكفاف ويقدم منه فضلا لآخرته فإن ذلك أبقى للنعمة وأقرب إلى المزيد من الله عز وجل وأنفع في العافية))^(٢) ، فالإقتصاد، والتوسط، والاعتدال في النفقة تؤدي إلى تحقيق ثلاثة أبعاد كما في قول الإمام عليه السلام وهي :

١- بعد مادي : الإقتصاد في الإنفاق من دون إسراف أو اقتار يؤدي إلى تحقيق تنمية مستدامة للأموال .

٢- بعد عبادي : أن الإقتصاد يؤدي إلى القرب من الله عز وجل فهو يؤدي به واجبه في الدين والدنيا من ناحيتين: الأولى أن الله سبحانه وتعالى أمر بالإقتصاد وبذلك فإن المقتصد طبق المنهج الإسلامي والأوامر الإلهية، و الثانية أن المقتصد أعطى حق الله في أمواله لم يسرف، ولم يقتصر حتى يمنع الحقوق المترتبة على الأموال .

٣- بعد صحي : بيينه الإمام عليه السلام في قوله أن الإقتصاد والكفاف انفع في العافية .

الفائدة الأخرى التي يمكن أن تتحقق من الإقتصاد في الإنفاق تجنب الافتقار كما يقول أبي عبد الله عليه السلام : ((ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر))^(٣) ، وعن الإمام أبي الحسن موسى الكاظم

١ - الكليني ، الكافي ، ٦٥/٤ ؛ المجلسي ، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، ١٨٧/١٦ .

٢ - الكليني ، الكافي ، ٥٢/٤ ؛ الكاشاني ، الوافي ، ٤٩٥/١٠ ؛ المجلسي ، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، ١٨٣/١٦ .

٣ - الكليني ، الكافي ، ٥٣/٤ ؛ الصدوق ، الخصال ، ص ١٠ .

عليه السلام ((الرفق نصف العيش وما عال امرء في اقتصاده))^(١) ، وفي العكس من ذلك فإن الإمام أبا عبد الله عليه السلام يوضح أنّ الإفراط والتفريط في الأموال وإسرافها يؤديان إلى الفقر يقول عليه السلام: أنّ السرف يورث الفقر، وإنّ القصد يورث الغنى^(٢) .

وبذلك فإن الرفق والاقتصاد يحققان مفهوم الوسطية لأنهما لا إفراط ولا تفريط فيمنعان الفقر، وبهذا فإن أهل البيت عليهم السلام قدموا نتائج و ضمانات للمجتمع أنّ من يطبق مفهوم الاقتصاد لا تتوقف عنده عجلة تنمية الأموال واستدامتها ، مع العلم أنّ زيادة الأموال واستدامتها هي ليست بقضايا الاعتباطية وإنما نتائج الهية حتمية إن صح القول، دليل ذلك القول الذي ينقله أبو عبد الله عليه السلام عن الرسول ﷺ ((من اقتصد في معيشته رزقه الله ومن بذر حرمة الله))^(٣) ، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : أربعة لا يستجاب لهم ، أحدهم كان له مال فأفسده فيقول : يا رب ارزقني فيقول الله عز وجل : ألم أمرك بالاقتصاد^(٤) ، فعدم استجابة الدعاء بالرزق هو نتيجة حتمية للتقصير والإفراط .

لقد ترجم الإمام علي عليه السلام مفهوم الوسطية بمعناها الإسلامي النامي الهادف وقدمها بصورتها الشفافة التي تتناغم مع الطرح القرآني والنبوي والتي تترتب عليها آثار تثقيفية وإصلاحية تمثل الفلسفة الواعية للدين كما سنرى في الفصول اللاحقة .

١ - الكليني ، الكافي ، ١٢٠/٢ ؛ المجلسي ، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، ٢٤١/٨ .

٢ - الكليني ، الكافي ، ٥٣/٤ ؛ الكاشاني ، الوافي ، ٤٩٧/١٠ ؛ المجلسي ، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، ١٨٤/١٦ .

٣ - الكليني ، الكافي ، ٥٤/٤ .

٤ - الكليني ، الكافي ، ٥٦/٤ ؛ المجلسي ، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، ١٨٨/١٦ ؛ البروجردي ، جامع احاديث الشيعة ، ١١٣/١٧ .

الفصل الأول

المسارات التكاملية في الاعتقاد والفكر

تمثل المسارات الاعتقادية في فكر الإمام علي عليه السلام مصداقاً مميزاً للوسطية التكاملية التي تتبلور في العديد من الجوانب المتعلقة بهذا الاطار، فمن الجلي والمسلم به أنّ العقيدة الإسلامية تمثل قمة المسار الوسطي، فهي وسط بين الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط، والزيادة والنقصان ، وإذ ما عرفنا أنّ الوسطية في الإسلام ليست مجرد طرح نظري أو نظرية قابلة للتطبيق أو عدمه خاضعة للأهواء بل هي قانون ومنهج ونظام إسلامي متكامل لا بد من العمل به ﴿ وَأَبْتَعِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(١) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٢) ادركنا إن التطرف والتعصب أمران يعارضهما الدين الإسلامي بأي شكل من الأشكال أو لأي سبب كان .

ومن خلال نهج البلاغة يمكن فهم الوسطية الاعتقادية في فكر الإمام علي عليه السلام ، فالإمام عليه السلام يبرز فهما سليماً شاملاً تكاملياً لمسارات الوسطية الاعتقادية من أجل إعادة صياغة الفكر الإسلامي التوحيدي بسبب تسرب الأفكار الدخيلة والصراع الفكري، ولكونها منطلقاً لبناء الإنسان، فركز على الوسطية الاعتقادية بل أبرزها بشكل جلي لأن كل ما يصون الإنسان من الانحراف والشطط ويدفع به إلى ملكوت الله تتخذ عند الإمام نسقا فلسفياً متكاملماً منظماً لبناء الإنسان القريب من الكمال ، وإذا ما درسنا جزئياتها وجدنا أنها تكاملية ولها آثار ونتائج هذا من ناحية، وليست مرحلية محدودة الزمان والمكان لأنه كما قلنا أنّ الوسطية منهج، من ناحية أخرى وهي ذاتها في النظام الإسلامي أي بمعنى أنّ فكر الإمام علي عليه السلام لا يعارض أو يخالف الثابت الإسلامي بل هو ذاته من ناحية ثالثة .

١ - القصص/ ٧٧ .

٢ - المائدة/ ٧٧ .

المبحث الأول

الفكر العقائدي ومساراته الوسطية

الفكر العقائدي عند الإمام علي عليه السلام لا يقل منزلة وأهمية عن الجانب الاعتقادي بل نال حيزاً كبيراً في نهج البلاغة لارتباطه بالانحراف الذي حصل في فكر الأمة ولشموليته لجميع مباني العقيدة التي بُني عليها الإسلام، لأن الناحية التشريعية المرتبطة بحياة الإنسان هي التي جعلته ذا مكانة مهمة واهتمام الإمام علي عليه السلام بها لأن الانحراف عنها له نتائج خطيرة جداً، والتمسك فيها أيضاً له نتائج الإيجابية وهذا مصداقه في قوله تعالى في خطابه إلى الجن، ولكن يستفاد من سياق الآية أنه للجن والأنس لاسيما أنه خاطب به النبي صلى الله عليه وآله (١) ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١١﴾ وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (٢). فالاستقامة على الإيمان والتقوى اللذين هما أساس العقيدة الإسلامية من غير انحراف لهما نتائجها الإيجابية في الثواب الدنيوي، فوجود الماء يعني وجود كل شيء (٣)، في مقابل الذين انصرفوا عن الطريق المستقيم الذي يمثل الطريقة المثلى فكونهم حطباً لجهنم نتيجة انحرافهم عن الطريق المستقيم أو الطريق الأمثل من بين الطرق المنحرفة، فالإمام علي عليه السلام ينطلق ويتوقف المجتمع البشري على هذا الأساس، أساس الطريق الأمثل الطريق المستقيم المتوسط بين الطرق المضلة، ليس في الجانب العقائدي فحسب وإنما في كل الجوانب، ويتمحور الفكر العقائدي ومساراته الوسطية في فكر الإمام علي عليه السلام بمحاور عدة:

١ - ينظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، ٣٧/٢٠-٣٨.

٢ - الجن / ١٤-١٦.

٣ - الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٩٣/١٩.

١ - الاعتقاد المعرفي في سياقة التكاملي

إنَّ الله سبحانه وتعالى أودع في كل البشرية عن طريق فطرتهم معرفة الله^(١) ، فالمعرفة بالله قرينة وجود الإنسان بدليل قول الرسول ﷺ ((كل مولود يولد على الفطرة ، يعني المعرفة بأن الله عز وجل خالقه))^(٢) ، ثم تأتي المرحلة الثانية من المعرفة بالله سبحانه وتعالى عن طريق الفكر والتفكير إلا أنَّ مقدار هذه المعرفة يختلف من شخص لآخر فتظهر عليه آثارها العملية .

فتم مسار مفتوح بين الله سبحانه والإنسان، رحلة معرفية وتعبدية تجمع الله والعبد في علاقة ترتفع خلالها ذات الإنسان من بشريته إلى حيث الذات الإلهية اللامتناهية المقدسة وهذا مرة بهدي وفعل وتأثير مرتبة إيمانه ومعرفته، وأخرى بدرجة إذعانه وتسليمه، مقدمة هذه الذات لما يرد عليها من الله سبحانه وتعالى في كل مرحلة من مراحل رحلتها ، وقد يبلغ الإنسان مرحلة العبودية بعد التسليم والإذعان والانقياد إلى الله سبحانه وتعالى فتبلغ درجة الإيمان أقصاها فتنحقق كامل عبودية الإنسان ومرتبته إذعانه لربه فلم يعد هناك ما مملوكاً إليه بل مملوكاً لربه^(٣).

وقد وصل الملائكة إلى هذه المرحلة التكاملية وهي المعرفة بالله والإذعان والانقياد له سبحانه عن طريق البراهين الموجبة فكانت تلك الحقائق الإيمانية وسطاً تكاملياً أو وسيلة أوصلت الملائكة إلى معرفته سبحانه وتعالى يقول الإمام علي عليه السلام في هذا المعنى: (و مِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تَحُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى ، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بَيْضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ ، وَ تَحَنَّتْهَا رِيحٌ هَفَافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ ، قَدْ اسْتَقَرَّعَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ ، وَ

١ - «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» ، الروم / ٣٠ .

٢ - الكليني ، الكافي ، ١٣/٢ ؛ الصدوق ، التوحيد ، ص ٣٣١ .

٣ - مجيلس ، الله والإمام (بحوث فكرية في الأسلوب الالهي لإقامة الدين في الأرض) ، ص ١٩-٢٠ .

وَصَلَّتْ [وَسَلَّتْ-مَثَلَتْ] حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، وَ قَطَعَهُمُ الْإِيْقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلِهِ إِلَيْهِ ،
وَ لَمْ تُجَاوِزْ رَغْبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ . قَدْ دَأَفُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَ شَرَبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ
مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَ تَمَكَّنَتْ مِنْ سُؤْبِدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشَيْجَةُ حَيْفَتِهِ...^(١) .

وبذلك اتضح أنَّ حقائق الإيمان أعطت نتيجة عملية إذ أصبحت معرفتهم في سياقها
التكاملي، فهي الوسط بين الملائكة وبين الله سبحانه وتعالى ومعرفة الملائكة بها أو العمل بها
هي ما أوصلهم إلى معرفة الله تعالى الكاملة ، ومن المعلوم أنَّ حقائق الإيمان تحتاج فكرياً تحتاج
معرفة من ثم فإن الملائكة امتلكوا هذا الفكر الذي هو الوسط بينهم وبين الله سبحانه وتعالى ومن
ثمَّ حصلت الاستقامة لانهم اتبعوا الوسط وعملوا به .

أن حقائق الإيمان هي العقائد اليقينية أو البراهين الموجبة له وكونها وصلة بينهم وبين معرفته
من حيث أنَّ التصديق بوجود الشيء الواجب تحصيله أقوى الأسباب الباعثة على طلبه فصار
الإيمان والتصديق الحق بوجوده جامع بينهم وبين معرفته^(٢) .

ومما مر يمكن القول أنَّ حقائق الإيمان كانت هي الوسيلة بين الملائكة والله سبحانه وتعالى،
أو بمعنى آخر فهي وسط إجرائي أو غائي أو وسيلة تكاملية وإذ صح قد ينطبق عليه معنى
عملي فحقائق الإيمان كانت هنا وسطية أو وسطاً هدفاً بحيث أوصلت الملائكة إلى معرفة الله
سبحانه وتعالى المعرفة الكاملة ، فمُلئ قلبهم بحب الله تعالى، من ثم أنَّ حقائق الإيمان هي
الوسط بين الملائكة وبين الله سبحانه وتعالى، وأوصلتهم إلى معرفته كذلك البشر لان أمير
المؤمنين عليه السلام لا يهدف من كلامه لبيان الملائكة وصفاتهم فحسب وإنما هو أيضاً لترغيب الناس

^١ - نهج البلاغة ، ص ١٧٨-١٧٩ .

^٢ - الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣٨٩/٦ .

وتعليمهم ليس على الوصول إلى الكمال وإنما أقرب للكمال لاسيما وان معرفة الله سبحانه وتعالى تقوم على التصديق بوجدانية واعتبارات أسمائه وصفاته التي هي أساس حقائق الإيمان فعن أبي عبد الله عليه السلام يقول جاء خبر من اليهود إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : ((يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته ؟ فقال : وبلك ما كنت أعبد ربا لم أره ، قال : وكيف رأيتَه ؟ قال : وبلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان))^(١).

مع العلم أن الملائكة مؤهلون للوصول إلى مرتبة معينة وهي حقائق الإيمان لأنهم ملائكة مصطفين أي الوسطية هي عدم الخوض في المسألة حتى تكون معرفتهم معرفة متكاملة لا إفراط فيها وهذا ما ينطبق على البشر ، مع الأخذ بنظر الاعتبار الخوض في الجزء الثاني من معرفة الله هو الخوض في الغيب^(٢) لذلك هو إفراط وخروج عن التكامل وهذا ما يفسر لنا قول الإمام علي عليه السلام في مناسبة أخرى عليه السلام (...فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ (رَحِيٌّ قَيُّومٌ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ))^(٣). لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظْرٌ، وَ لَمْ يُدْرِكْكَ

١ - الكليني ، الكافي ، ٩٨/١ .

٢ - هناك وسائط بيننا وبين الله سبحانه وتوصل إلى معرفته ، ولابد من القول أن كل مخلوقات الله سبحانه وتعالى توصل إلى معرفته وتضعنا أمام قدرة عظيمة ولا سبيل لتفسير ذلك وفلسفته إلا لقدرة الله المطلقة لهذا النظام ، لكن مع ذلك فان معلومات البشر ناقصة لان الأمور المستحيلة عقلاً خارجة عن القدرة البشرية فما لا يعلمه الإنسان اكثر مما يعلمه وهو الذي يصطلح عليه الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ولا طريق لمعرفة إلا بواسطته، وان علمه أحد إنما هو بوحى من الله تعالى وهذا ما يستشف من العديد من الآيات القرآنية منها قوله ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمَنَّهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، آل عمران / ٤٤ ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مَنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمَتُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ، آل عمران / ١٧٩ ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفُطُ مِنْ رِزْقٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ الانعام / ٥٩ . ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ النمل / ٦٥ .

٣ - إشارة لآية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ، البقرة / ٢٥٥ .

بَصَرَ. أَدْرَكَتِ الْأَبْصَارَ، وَ أَحْصَيْتِ الْأَعْمَالَ [الاعمار]، وَ أَخَذَتْ «بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ»^(١).
 وَ مَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَ نَعَجِبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَ نَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ [شأنك]، وَ مَا
 نَعْيَبُ عَنَّا مِنْهُ، وَ قَصَّرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَ انْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَ حَالَتْ سُئُورُ الْعُيُوبِ بَيْنَنَا
 وَ بَيْنَهُ أَعْظَمَ. فَمَنْ فَرَعَ قَلْبَهُ، وَ أَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَ كَيْفَ دَرَأْتَ خَلْقَكَ،
 وَ كَيْفَ عَقَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ، وَ كَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ، رَجَعَ طَرْفُهُ
 حَسِيرًا، وَ عَقْلُهُ مَبْهُورًا، وَ سَمْعُهُ وَالْهَاءُ، وَ فِكْرُهُ حَائِرًا^(٢).

إن سواتر الغيب هي الوسط بيننا وبين الله سبحانه وتعالى وحاجبة لنا من الوصول إليه
 فسواتر الغيب مثلت الوسطية ، وهذا المسار الوسطي تظهر الفلسفة الهادفة لإدراك البشر
 عجزهم فإن عقولنا محدودة، وأبصارنا محدودة، وطاقاتنا محدودة وهذه المحدودية لا تطيق
 كل قدرة الله وسلطانه، وإن الإنسان مهما صفا نفسه دقق وحقق في بعض جزئيات خلق الله
 سوف يعجز ويرجع مبهوراً فما لا يدركه العقل من أسرار خلقه ، هذا من ناحية ، ولمعرفة
 قدرة الله سبحانه وعظيم سلطانه من ناحية أخرى^(٣) .

ولاريب أن هذه المسارات الوسطية لها حيثيات وأبعاد وهي عدم التوغل لأنه كما قلنا أن
 التوغل يؤدي إلى التفريط والخروج عن المسار التكاملي ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى
 أن هذه المسارات الوسطية بمفهومها العام تؤدي إلى تغيرات في الشخصية من خلال تكوين
 أو خلق التقوى والإيمان والطاعة لدى الإنسان ، من المفهوم الذي تكون لديه أو الحد الوسط
 في الوصول إلى معرفة الله سبحانه وتعالى في مقابل الإفراط والتفريط وعدم الخوض في

١ - الرحمن / ٤١ .

٢ - نهج البلاغة ، ص ٣٢٩ .

٣ - ينظر: الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣/٣٨-٣٩ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ،
 ٣٥٣/٩ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢/٤٢٥ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٥-١٦ / ١٠ .

تفاصيل وجزئيات خلق الله سبحانه وتعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١) وهذا ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام أيضاً في نهج البلاغة (وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ افْتِحَامِ السُّدِّ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةٍ مَا جَهَلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللَّهُ -تَعَالَى- اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنِ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَ سَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيهَا لَمْ يُكْفِهِمُ الْبَحْثَ عَن كُنْهِهِ رُسُوحًا، فَاقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَ لَا تَقْدَّرُ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)^(٢).

وبما أن الإقرار بالعجز، وعدم التعمق في الغيب يدلان على الوصول الى الحد المطلوب من معرفة الله سبحانه وتعالى ويدلان على الإيمان والطاعة أذن فهو تحقق للمسار التكاملي في الاعتقاد، ولما كانت هذه المسئلة (العجز يؤدي إلى مسار الكمال) لأنها غيبية فكل ما هو على درجتها يؤدي إلى النتيجة ذاتها .

هذا مع التسليم بأن المعرفة البشرية تبقى ناقصة، لذلك فهم بحاجة إلى وسيلة وأدوات معرفية حتى تتكامل المعرفة لدى البشرية ولا تبقى لديهم حجة أو عذر لانعدام وجود ما يدل على تلك المعرفة وأحد مصاديق هذه المعرفة الحجج على العباد الناطق المعرفي الموكل بنقل المعارف الإلهية الذين يوصلون إلى معرفة الله سبحانه من غير إفراط أو تفريط فهم الوسائط بين البشر وبين الله جلا وعلا ويتجسد ذلك في قول الإمام عليه السلام : (فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ، وَ أَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ، وَ جَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ وَ أَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَ أَرْعَدَ فِيهَا أَكْلَهُ، وَ أَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ وَ أَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، وَ الْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ؛ فَاقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ - مُوَافَقَةً [مُوافقة] لِسَابِقِ عِلْمِهِ - فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَ

١ - الأنعام / ٨٢ .

٢ - نهج البلاغة ، ص ١٦٩-١٧٠ .

لِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَ لَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ، وَ يَصِلُ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَ مُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ، قَرْنَا فَقرْنَا؛ حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه واله - حُجَّتُهُ، وَ بَلَغَ الْمُفْطَعُ عُذْرَهُ وَ نُذْرَهُ^(١) .

فالرسل والأنبياء هم الوسط والوسيلة بين البشر وبين الله جل وعلا فهم على صلة دائمة بالله وشريعته ومنذرين ومبشرين للخلق ولم يخلُ زمان من الحجج المؤكدة لأدلة ربوبيته والموصلة للخلق إلى معرفته بما يحملونه من الحجج والبيانات ومما زدوهم به من التعاليم والأحكام^(٢) . ولعلنا حينما نتعمق بهذه الأجزاء من الطرح العلوي نجد الفلسفة والغاية من الوسطية فيها واضحة إذ أن الحجج أو حقائق الإيمان في النص المتقدم هي مسارات وسطية ، وتبرز من خلال فكر الإمام علي عليه السلام أهمية هذه المسارات وأدوارها في أنها توصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، و أن هذه المسارات هي التي تؤدي إلى الاستقامة والعدل كونها مصدراً للناحية التشريعية والتكوينية، وهذه هي فلسفة الوسطية .

ومن الجدير بالإشارة أن الحجج على العبادة الموصلة إلى معرفة الله سبحانه وتعالى والمدلة على الأصول والفروع والمرشدة إليها لا تتمثل فقط في الرسل والأنبياء فحسب كما يشير إليها الإمام علي عليه السلام حينما قال: (وَ أَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ فُذْرَتِهِ، وَ عَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَ اعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ قُوَّتِهِ، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارٍ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، فَظَهَرَتِ الْبِدَائِعُ الَّتِي أَحَدَتْهَا آثَارُ صَنَعَتِهِ، وَ أَعْلَامُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ

١ - نهج البلاغة ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

٢ - ينظر: البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٣٨٠/٢ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤٠/٢ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٠٨/٢ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٤٢/٧ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٨٠/٢ .

وَ دَلِيلًا عَلَيْهِ؛ وَ أَنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا، فَحَجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةً، وَ دَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ^(١) فكل ما في هذا العالم من آثار وما أَرانا سبحانه وتعالى من ملكة العظيم يدل ويوصل إلى معرفته ، مع الأخذ بنظر الاعتبار أَنَّ هناك حدوداً للمعرفة لا يمكن اجتيازها وهو ما يصطلح عليه بالغيب .

أَنَّ حدوث خلل أو نقص في المعرفة البشرية أو الانحراف سبب بعث الأنبياء ، وهذا ما أكده الإمام علي حينما قال : (وَ اصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ [إيمانهم]، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَ اتَّخَذُوا الْأُنْدَادَ مَعَهُ، وَ اجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَ اقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ، وَ وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْذُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ...)^(٢) .

و يشير الإمام علي عليه السلام إلى أَنَّ تكامل المعرفة والاعتقاد ومن ثم حصول التقوى يقوم على قاعدة وهي أَنَّ طاعة الله لا تكون في المظاهر أي لا تأخذ جانباً مادياً فحسب حركات وأقوالاً بل أَنَّ يكون مكانها في السرائر لكي تتحقق نتائجها وأبعادها الإيجابية فيقول عليه السلام في هذا المضمون: (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وَ إِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وَ بِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ، وَ إِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ، وَ نَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ، وَ إِلَيْهِ مَرَامِي مَفْرَعِكُمْ. فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءٌ دَاءٍ قُلُوبِكُمْ، وَ بَصَرٌ عَمَى أَعْيُنِكُمْ، وَ شِفَاءٌ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ [أجسادكم]، وَ صَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَ طُهُورٌ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَ جِلَاءٌ عَشَا [عشا] أَبْصَارِكُمْ، وَ أَمْنٌ فَرَعِ جَاشِكُمْ، وَ ضِيَاءٌ بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ وَ أَمِيرًا [أمراً] فَوْقَ أُمُورِكُمْ، وَ مِنْهَلًا لِحِينِ وُرُودِكُمْ، وَ شَفِيعًا

١ - نهج البلاغة ، ص ١٧٠-١٧١ .

٢ - نهج البلاغة ، ص ٢٦ .

لِدْرِكِ طَلِبَتِكُمْ وَ جُنَّةً لِيَوْمِ فَرَعِكُمْ، وَ مَصَابِيحَ لِيُطَوِّنَ قُبُورِكُمْ، وَ سَكَنًا لِيُطَوِّلَ وَحْشَتِكُمْ، وَ نَفْسًا لِيَكْرِبَ مَوَاتِنِكُمْ. فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفِ مُكْتَنَفَةٍ، وَ مَخَافَةٌ مُتَوَقَّعَةٍ وَ أَوَارٍ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ. فَمَنْ أَخَذَ بِالنَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوهَا، وَ اِحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا، وَ انْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَائِكُمَهَا، وَ أَسْهَلَتْ لَهُ الصَّعَابُ بَعْدَ انْصَابِهَا، وَ هَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ فُحُوطِهَا، وَ تَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وَ تَقَجَّرَتْ عَلَيْهِ النَّعْمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا، وَ وَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبِرْكَةُ بَعْدَ إِزْدَادِهَا. فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَفَعَّلَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، وَ وَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ، وَ اْمْتَنَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ. فَعَبَّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَ اٰخْرَجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ (١).

فجعل التقوى شعاراً الذي هو وسط بين الدثار والجسد أو دخيلاً الذي هو أقرب من الشعار ملاصقة للبدن أو لطيفاً بين الأضلاع أي في القلب الذي هو وسط الأضلاع وذلك اسى بالإنسان من الدخيل فقد يكون الدخيل في الجسد وإن لم يخامر القلب، فهذه الوسطية ليست اعتباطية إنما تدخل في إطار الفلسفة السببية وهو أن تكون طاعة الله في السرائر لا في المظاهر كي تكون كاملة في القلب خشوعاً وخضوعاً لا في الحركات والأقوال (٢). وأن كلام الإمام علي عليه السلام في النص السابق يتضمن عدة محاور يمكن إدراجها بما يلي :

١- المحور الترغيبية: الذي يتمثل بحث الإمام عليه السلام وترغيبه المجتمع في التقوى من

خلال ذكر منافعها وثمارها .

١ - نهج البلاغة ، ص ٤٧٠ - ٤٧١ .

٢ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٩٠/١٠ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الصغير) ، ص ٣٨٨ ؛ شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٤٤٨/٣ ؛ الارديلي ، شرح نهج البلاغة ، ص ١٩٨ (فارسي) ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٤٠٥/٣ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ١٩٤/٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢١-٢٢/١٤ ؛ التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٥٢٦/١٢ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢٧٧/١٢ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٦٥/٣ ؛ الدشتي ، فرهنك معارف نهج البلاغة ، ٥٢٨/١ (فارسي) ؛ الشرقي ، شرح نهج البلاغة ، ص ٧٨ (فارسي).

٢- المحور المادي: ويتمحور حول المنافع المادية للتقوى وكونها سببا للرزق بمفهومها

المادي والمعنوي وفي الدنيا والآخرة لقوله ﷺ (وبه نجاح طلبتكم واليه منتهى رغبتكم

... تفجرت عليه النعم بعد نضوبها ووبلت عليه البركة بعد إرذاذها) .

٣- المحور الطبي النفسي: الذي يتمثل بقول الإمام ﷺ (فإن تقوى الله دواء داء قلوبكم

... وشفاء مرض أجسادكم وصلاح فساد صدوركم وظهور دنس أنفسكم) فالتقوى

تؤدي إلى الوقاية من الأمراض القلبية والرذائل النفسية من حسد وبغض ونميمة.

٤- المحور العلمي والفكري : بين الإمام علي ﷺ آثار التقوى العلمية والفكرية

وظيفتها الإنسانية التكاملية (وبصر عمى أفندتكم ... وجلاء عشا أبصاركم)

فعندما يمتلك الإنسان التقوى فإنه يمتلك الرؤية العلمية الصحيحة والنظرة العميقة

والسليمة للأمر .

٥- محور الأمن والسكينة : أن من ثمار التقوى على الإنسان أنها تكون حاجزاً وحصناً

يبعثان في نفسه الطمأنينة من مخاوف متوقعة في قوله ﷺ (فإن طاعة الله حرز

من متالف مكنتفة ومخاوف متوقعة واوار نيران موقدة) فلا يمكن الخلاص من تلك

المخاوف المتوقعة إلا التقوى، و أن من ثمارها الدنيوية إنها تزيح الهموم التي تتراكم

على الإنسان (وانفجرت عنه الأمواج بعد تراكمها) .

واخيراً فإن الإمام ﷺ يضع أبعاداً إيمانية وترسيخ مبادئ في الاعتقاد للوصول إلى مرحلة

أقرب للكمال ويتمحور ذلك في منهج وطريقة التعاطي مع الحياة الدنيا دون الإفراط فيها فيقول

ﷺ (فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَ بَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَ ابْتَاَعُوا مَا بَيَّغَى لَكُمْ بِمَا يُرْوَلُ عَنْكُمْ، وَ

تَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ، وَ اسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُمْ، وَ كُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وَ عَلِمُوا أَنَّ

الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بَدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى وَ مَا بَيْنَ

أَحَدِكُمْ وَ بَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ، إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ. وَ أَنْ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ، وَ تَهْدِمُهَا السَّاعَةُ، لَجْدِيرَةً بِقِصْرِ الْمُدَّةِ. وَ أَنْ غَايَةً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ : اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ، لَحَرِيٍّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ. وَ أَنْ قَادِمًا يَفْدُمُ بِالْفُوزِ أَوْ الشُّفُوفَةِ لِمُسْتَحِقٍّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ. فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا، مِنْ الدُّنْيَا، مَا تَحْرُزُونَ [تَجُوزُونَ] بِهِ أَنْفُسَكُمْ عَدًا...^(١) ، فالموت هنا هو الوسط بيننا وبين الجنة أو النار ، اذ أن غرض الإمام عليه السلام هو التأسيس لفهم وثقافة التعاطي مع الحياة الدنيا كمعبر للأخرة فالنتيجة هي الآخرة وهي المستقر أما جنة أو نار ومن ثم الالتفات إلى الابتعاد عن جانب الإفراط والتفريط في الدنيا من لهو ولعب لان الموت هو مجرد وسط يترتب عليه أما شقاء أو نعيم^(٢) .

٢-الوسطية التشريعية في التوظيف العقائدي

من البديهي القول أن حدوث تغير في سلوك الإنسان سواء أكان سلبياً أم إيجابياً لابد أن يحدث تغيراً في أفكاره واتجاهاته لذلك جاء الدين الإسلامي ونزل القرآن الكريم لتغيير أفكار المجتمع السلبية وتغيير ما هم فيه من ضلال وانحراف وتوجيهه إلى الاتجاه الوسطي الإصلاحية ومدهم بأفكار وأساليب جديدة ، ولما كانت الخلافة مكملة للنسوة فإنها أكملت هذا الطريق في وضع أسس لنظام حياة الإنسان أو إعادة وتذكير بالأسس التشريعية التي جاء بها الرسول ﷺ ونزل بها القرآن الكريم من اجل تكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة.

وكما قلنا أن أهداف الدين إحداث التغير، فشرائع الدين الإسلامي مستقيمة في جوانبها ومقاصدها لا إفراط فيها ولا تفريط ، واضحة تختصر الطريق إلى الغاية المنشودة ﴿أَنَّ هَذَا

١ - نهج البلاغة ، ص ١١٢ .

٢ - ينظر: البحراني ، شرح نهج البلاغة ، (الكبير) ١٦٤/٢ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٨٨/١ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢-٤/٤ .

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^(١) وفي ثمارها ونتائجها «أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا»^(٢) ، فالشريعة الإسلامية تمثل قمة الاستقامة والاعتدال، ولو استقام عليها بنو البشر لأصبحوا في المسار التكاملي ونالوا ثماره ونتائجها ، لكن الخلل يكمن في كيفية تعاطي الإنسان معها ومصادر أخذها حتى تكون في الجانب الإصلاحي التكاملي المنشود والمتجول عبر سبر التاريخ سيدرك لا محالة هذه الحقيقة .

فمن استسقاها ومن مصادرها الموثوقة فقد سلك الطريقة الوسطى لا وكس فيها ولا شطط ومن تخلف عنها ضل وانحرف ، وخير مصداق على ذلك قول الإمام علي عليه السلام في هذا السياق (تَاللَّهِ لَقَدْ عَلَّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ، وَ إِثْمَامَ الْعِدَاتِ، وَ تَمَامَ الْكَلِمَاتِ، وَ عِنْدَنَا - أَهْلُ الْبَيْتِ - أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَ ضِيَاءُ الْأَمْرِ. أَلَا وَ أَنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَ سُبُلُهُ قَاصِدَةٌ. مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَ غَنِمَ، وَ مَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَ نَدِمَ)^(٣) فشرائع الدين الإسلامي بما فيها من قواعد وقوانين قاصدة أي متوسطة معتدلة لا إفراط فيها ولا تفریط، ومن ثم من أخذ بهذه القواعد والقوانين ومن مصادرها الموثوق وهم الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام كان على الطريق المستقيم المؤدي إلى الفوز والسعادة والنجاة ومن انحرف عنها كان على طريق الضلال والانحراف والندم. أما فيما يخص آراء الشارحين فقد انقسموا إلى رأيين :

الرأي الأول: والذي يرى أن هدف الإمام عليه السلام من قوله شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة بمعنى قريبة وسهلة واستعانوا بقول بيننا وبين الماء ليلة قاصدة أي هينة المسيرة لا تعب فيها ولا

١ - الانعام / ١٥٣ .

٢ - الجن / ١٦ .

٣ - نهج البلاغة ، ص ٢٥٧ .

بطء لأنها قريبة^(١) ، وهذا الرأي بعيد بعض الشيء عن مقصد الإمام عليه السلام والفلسفة من قوله لأن النص يقصد الوسطية بجل مفهوما في كلمة قاصدة أي متوسطة معتدلة^(٢) بين طرفي الإفراط والتفريط .

في حين أن الرأي الثاني هو الرأي الأصوب الذي يرى أن الإمام عليه السلام يهدف من قوله ، مستقيمة أي متوسطة لا إفراط فيها ولا تفريط وهي ما دل عليها أهل البيت عليهم السلام فمن اخذ هذه الشرائع ومن المصدر الموثوق وهم أهل البيت عليهم السلام فقد ربح وغنم المثوبة لأنه لحق بالإسلام وبأهل الإيمان والسابقة وريح الدنيا والآخرة ومن وقف عنها ولم يأخذ بها ضل وندم لما يلحقه من الإثم والعقاب لأنه انحرف عن العدل والحق^(٣) .

بالنتيجة فإن قول الإمام عليه السلام يتضمن أبعاداً مهمة وخطيرة لها آثارها على الأمة وهي سلامة الطريق المؤدي الى الأهداف والذي يؤمن للامة الخير والكمال ، لان الشرائع لا تؤخذ الا من أهل البيت عليهم السلام واذا أخذت من غيرهم يحدث الخلل والانحراف الى اقصى اليمين والشمال ، ومصداق هذا قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (حب أهل بيتي وذريتي استكمال الدين)^(٤) ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (من أحب أن يتمسك بالعروة الوثقى فليتمسك بحب علي وأهل بيتي)^(٥) كذلك أراد إن يبين إن فكر واعتقاد وكلام وتشريع أهل البيت عليهم السلام هو الحالة الوسطية في كل شيء لا المتطرفة ، وإنما

^١ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٨٩/٧ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٢٣٢/١ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، ٢٦٠/٢ .

^٢ - ينظر : الفراهيدي ، العين ، ٥٤/٥-٥٥ ؛ ابن منظور لسان العرب ، ١٤٨/٩ .

^٣ - ينظر: الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢٥/٢ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ١١٣/٣ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٤٠/٢ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٢٤/٢ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٢٦/٨ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١١-١٢ / ٣٤ ؛ التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٣٢٨-٣٢٩ ؛ مغنية ، في ضلال نهج البلاغة ، ٢١٣-٢١٤ .

^٤ - الصدوق ، الامالي ، ص ٢٥٩ .

^٥ - الصدوق ، عيون اخبار الرضا (ع) ، ٦٣/٢ .

الحالة المثالية المقدر عليها من قبل الأنسان والتي يمكن لأي فرد إن يسير عليها اذا ما أراد ذلك دون إن يكون أمام سلوكه أي حواجز وموانع .

ومثل القرآن الكريم مصداقاً آخر في فكر الإمام علي عليه السلام فلا يخفى على أحد أن القرآن الكريم يتسم بالوسطية والمرحلية فلا يختص بمرحلة معينة من الزمن وإنما يصلح لكل زمان ومكان كما أن اتباع القرآن الكريم والالتزام بما جاء فيه يؤدي أيضاً إلى تغير وبناء المجتمع ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(١) ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) .

فلا يوجد شيء سواء ديني أم اجتماعي أم غيرهما من الجوانب والمجالات إلا وهناك آية أو سورة في القرآن الكريم تدل عليه فهو جامع لكل شيء^(٣) ، لذلك نجد أن طرح الإمام علي عليه السلام واختياره للوسطية دقيق جداً إذ إن ميزان التغير والاستقامة والاعتدال يكمن في الاستدلال واستنباط الحلول لجميع المشاكل من القرآن الكريم ويمكن أن نطلق عليها نظم الحياة ، هذه النظم هي الوسط أو الوسطية بين علم المستقبل الذي يتضمنه القرآن الكريم وعلم الماضي يقول عليه السلام (أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينٍ فَنَزَرَهُ مِنَ الرُّسُلِ، وَ طَوَّلَ هَجْعَةَ مِنَ الْأُمَّمِ، وَ انْتِقَاضِ مِنَ الْمُبْرَمِ؛ فَجَاءَهُمْ

١ - الإسراء / ٩ .

٢ - البقرة/ ٢ .

٣ - ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ، الانعام / ٣٨ ، وقوله ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل / ٨٩ ،

﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الإسراء/ ٨٢

بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَ النُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ. ذَلِكَ الْقُرْآنَ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَ لَنْ يَنْطِقَ، وَ لَكِنْ أُخْبِرْكُمْ عَنْهُ: أَلَا أَنْ فِيهِ عِلْمٌ مَّا يَأْتِي، وَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ، وَ نَظْمَ مَّا بَيْنَكُمْ^(١).

فالقُرآن الكريم يتضمن ثلاثة محاور: المحور الأول، المحور العلمي المستقبلي من أخبار الغيب، قيام الساعة، والحساب، والعذاب، والجنة، والنار وغير ذلك مما يحدث في المستقبل، محور الماضي، المبدأ وأحوال الأنبياء وقصصهم والأمم الماضية كالفراعنة والقيصرية، والقرون الخالية، وأخبار العباد، وكل حركة الحياة من خلق السماء والأرض والشجر والحجر والنبات والأنسان والحيوان، أما المحور الثالث فهو المحور الوسطي المتضمن القوانين الشرعية، والحكمة السياسية التي بها نظام العالم، واستقامة أموره، فهذه القوانين هي الوسطية التشريعية بين علم المستقبل، والحديث عن الماضي وهي التي تؤدي إلى الاستقامة والاعتدال بحيث لا إفراط ولا تفريط بضبط حقوق الناس وأحكامها وجعل لكل فرد حقه بالعدل والإنصاف لا زيادة ولا نقصان لا يظلم ولا يُظلم^(٢)، ولا يخفى أن الإمام عليه السلام أراد من هذا الطرح ترغيب المجتمع من ناحية، وتنقيفهم من ناحية أخرى على الالتزام بتعاليم القرآن الكريم وقيمه وأحكامه وجعله دستوراً للحياة لشمولية المعرفة القرآنية^(٣).

^١ - نهج البلاغة، ص ٣٢٥-٣٢٦.

^٢ - ينظر: كيزري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٦٩٨/١؛ البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢٧٣/٣-٢٧٤؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢٦/٣-٢٧؛ الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣٣٦/٩-٣٣٧؛ الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤١٨/٢؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤٢٠/٢؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٥-١٦/٤.

^٣ -، في هذه المناسبة يقول الإمام الصادق عليه السلام (ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل ولكن لا تبلغه عقول الرجال)، البرقي، المحاسن، ٢٦٨/١؛ الكليني، الكافي، ٦٠/١؛ الطوسي، تهذيب الاحكام، ٣٥٧/٩؛ المجلسي، بحار الانوار، ١٠٠/٨٩.

و أن قول الإمام عليه السلام ذلك القرآن فاستنطقوه لا يقصد النطق المادي (اللفظي) فهو مخالف للعقل والنقل ومنتفٍ إلى القرآن وربما يعترض معترض في القول أن الإمام علي عليه السلام قال في موضع آخر من نهج البلاغة أن القرآن ناطق (وَ كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيًا لِسَانُهُ)^(١)؛ ، ويمكن الرد على ذلك بالقول انه حتى هذا القول يقصد به الإمام عليه السلام النطق المعنوي المجازي وهذه هي الفلسفة من قول الإمام عليه السلام والتي تتوضح في قوله الآخر (فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ، وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ)^(٢) فهو صامت مادياً ناطق معنوياً ببيان الأحكام ، ويظهر أن الإمام عليه السلام أراد كذلك بيان العلاقة بين القرآن والإمام عليه السلام نفسه فالقران صامت والإمام ناطق عن القرآن (هذا القرآن إِنَّمَا هُوَ حَظٌّ مَسْنُونٌ بَيْنَ الدَّقَّتَيْنِ، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ. وَ إِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرَّجَالُ)^(٣)، هذا فضلاً عن أخباره عليه السلام باختصاصه بالمعرفة القرآنية وإمامه بها، وهو جزء من فلسفة الإمام عليه السلام في الإعداد للخلافة أو مؤهلات خليفة الله .

ويجب أن نأخذ بنظر الاعتبار أن الأخذ واتباع غير مصدرية القرآن الكريم يعني انحرافاً وتفريطاً لان القرآن الكريم مستقيم معتدل^(٤) ليس كغيره من القوانين الوضعية التي تحتاج تعديل، وبدليل قول الإمام علي عليه السلام في مناسبة أخرى مخاطباً أهل البصرة (وَ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ وَ إِنَّهُمَا لَا يُقَرَّبَانِ مِنْ أَجْلِ، وَ لَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ. وَ عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ . ((فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَ النُّورُ الْمُبِينُ))، وَ الشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَ الرَّيُّ النَّاقِعُ، وَ الْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَ النَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ. لَا يَعْوَجُ فَيَقَامُ، وَ لَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ،)) وَ لَا تُخْلِفُهُ

١ - نهج البلاغة ، ص ٢٧٩ .

٢ - نهج البلاغة ، ص ٣٩٦ .

٣ - نهج البلاغة ، ص ٢٦٦ .

٤ - ينظر قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ، الكهف/ ١ .

كَثْرَةُ الرَّدِّ) وَ وُلُوجُ السَّمْعِ . ((مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَ مَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ)) (١) ، فالقران لا يعوج فيحتاج إلى من يعدله ويصححه ويجعله مستقيماً، ولا يميل فيطلب منه الانصراف عن زيغهِ والرجوع إلى الجادة والصواب وإنما معتدل لا انحراف فيه ولا خلل (٢).

بالنتيجة فالقران الكريم منهج متكامل يتفوق على كل المناهج ووسطيته التشريعية لا إفراط فيها ولا تفريط ولا تؤدي إلى الضلال والانحراف، وفي المناسبة نفسها من كلام الإمام عليه السلام الهادف لبلورة مقاييس ومميزات المصدر الموثوق المتمثل بالقران الكريم وتحكيمه في كل الشؤون الثقافية والفكرية... الخ لأنه كتاب مستقيم يقول عليه السلام (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تَطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَ سِرَاجًا لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ، وَ بَحْرًا لَا يَدْرِكُ قَعْرُهُ، وَ مِنْهَاجًا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ، وَ شُعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ، وَ فُرْقَانًا لَا يُخَمَدُ بُرْهَانُهُ، وَ تَبْيَانًا لَا تُهْدَمُ [تتهدم] أَرْكَانُهُ وَ شِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَ عِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَ حَقًّا لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ. فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَ بَحْبُوحَتُهُ، وَ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَ بُحُورُهُ... (٣)) ، فالمنهاج هنا كما انفق الشارحون هو الطريق الواضح المستقيم والنهج والسلوك، ومن ثم فإن من أخذ بالقران الكريم فإنه سلك المسار المستقيم المتكامل الذي لا تيه فيه أو انحراف فلا يضل السائر عليه (٤) ، ومما مر يستفاد ما يأتي:

١ - نهج البلاغة ، ص ٣٢٠-٣٢١ .

٢ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٠٤/٩ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٢٦٤/٣ ؛ التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٥٢-٥١/١٣ ؛ الكاشاني ، تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين ، ٧٢١/١ (فارسي) ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٠٥-٤٠٤/٢ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٢/٣ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢٩٠/٩ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة واسانيده ، ٣٥٢/٢ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٣-٨٤/١٤ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٦٤/٢ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤٠٤/٢ ؛ المحمودي ، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ، ٤٢١/١ .

٣ - نهج البلاغة ، ص ٤٧٥ .

٤ - ينظر: البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٤٥٨/٣ ؛ التبريزي ، منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة ، ٥١٥/١ (فارسي) ؛ الانصاري ، شرح نهج البلاغة منظوم ، ١١٨/٥ (فارسي) ؛ الشيرازي ، توضيح نهج

- ١- الوسطية التشريعية في القرآن الكريم تؤدي إلى الاستقامة ويبعد عن الانحراف .
 - ٢- إن الإمام علي عليه السلام استخدم مميزات ومقاييس معنوية اتصف بها القرآن للإشارة إلى مساله مادية وهي أنّ القرآن مدون كامل من جانب ولا زيادة فيه ولا نقصان من جانب آخر .
 - ٣- كما يستفاد أيضاً من كلام الإمام عليه السلام أنّ القرآن الكريم ليس شأنه شأن بعض الكتب والمؤلفات التي تؤدي إلى الانحراف والغزو الفكري وإنما عكس ذلك يؤدي إلى بناء الفكر.
 - ٤- إن القرآن الكريم السهل الممتنع يخاطب الناس على قدر عقولهم كلاً يستفاد منه من موقعه واختصاصه فضلاً عن الجانب المهم والاهم وهو الارتباط روحياً بالله سبحانه .
- ومن كل ما مر يمكن القول إن الإمام علي عليه السلام حاول إن يجلي ويظهر حالة الوسطية في كتاب الله والتعريف بحقيقتها فالذي يبدوا إن هذه النقطة حساسة ومهمة للغاية عند الإمام عليه السلام لمجموعة أمور :

- ١- إن الانحراف الإسلامي قد وصل الى مرحلة مريبة في فهم القرآن والابتعاد عن حقيقة مضامينه وتعاليمه .
- ٢- إن قصور الفهم الإسلامي قد انتج حالة من التقييم اللا حقيقي لما جاء في القرآن من مضامين .

البلاغة ، ٢٧٣/٣ ؛ الموسوي شرح نهج البلاغة ، ٤١٣/٣ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٢٠٢/٢ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢٩٩/١٢ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢١-٢٢/٢٥ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، ٧٠/٣ ؛ الوحيد، شرح نهج البلاغة ، ٢٢٤/١٢ (فارسي) .

٣- إن تركيز الإمام عليه السلام جاء لمعالجة للأمر الواقعي الذي عاصره إذ إن الإمام عليه السلام قد عاصر من الأفكار التطرفية العجبية والغريبة وحالة من اللا وسطية في أفعال الأمة وأفكارها .

٤- إن الإمام عليه السلام أراد إن يدرك الجميع إن لا احد يستطيع إن يضع القرآن في مكانته الصحيحة إلا هو .

٣- بناء قواعد تثقيفية في المسارات العبادية

إن المجتمعات وعلى مر الزمان لا يستوي أناسها في فهم العبادات بل أن البعض منهم يتجه فيها إلى طرفي الإفراط والتفريط ، سواء في الأداء أم في الفهم المعنوي وهذا ما يمكن ملاحظته وفي جميع المراحل التاريخية، إذ يرى بعضهم أن العبادات هي بمثابة عمل يؤجر عليه الإنسان بالمقابل، والآخر يرى أن العبادات مجرد حركات بدنية، وذهب ثالث إلى طريق التصوف والانقطاع عن العالم^(١) في حين أن الإسلام ينافي ذلك ويرفض الغلو أو الجفاء ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^(٢).

١ - جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فأني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا افطر وقال آخر أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله اني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وافطر واصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ، البخاري ، صحيح البخاري ، ١١٦/٦ ؛ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ٢٠/٢ .

٢ - القصص/٧٧ .

وهذا التصور الجاهل والخطئ عن العبادة ناشئ في بعض الأحيان عن الجهل في العبادات والمسار الوسطي فيها بدون زيادة أو نقصان^(١)، لذلك نجد أن الإمام علي عليه السلام اخذ على عاتقه مهمة تثقيف المجتمع على الوسطية والاعتدال في العبادة حتى تأخذ طريقها إلى الكمال اللانهائي ، فقال عليه السلام في احدي حكمه: (إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَ أَنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَ أَنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ).^(٢) فعبادة الراغبين والمستريحين التجار الذي يعطون الشيء بقصد العوض والثواب وطمعاً في جنته، وعبادة الراهبين خوفاً من النار وفراراً من العذاب، تذهب بهم إلى طرفي المغالاة أو التقصير لكن الاستقامة والاعتدال والحصول على أعلى درجات العبادة هي عبادة الشكر والمعرفة عبادة الأحرار التي هي الوسط لا زيادة فيها ولا نقصان^(٣) .

ومن ثمَّ فإن النتيجة المستفادة أنَّ عبادة الأحرار هي المسار الوسطي بين جانبي أقصى اليمين والشمال ، الفلسفة من ذلك الشكر والتحرر دون التقيد بقيد مادي أو معنوي .

^١ - تفق الرسول محمد ﷺ لهذا الأمر وهو التوسط في العبادات وعدم الإفراط أو التفریط فيها أو الزيادة أو النقصان بحيث تؤدي إلى أن ينفرد الناس منها فيقول ﷺ كما نقله الإمام الصادق عليه السلام : (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تكهروا عبادة الله إلى عباد الله ، فنكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى) ، الكليني ، الكافي ، ٨٦/٢ ؛ وبألفاظ أخرى لكن في ذات المعنى ينظر : ابن حنبل ، مسند أحمد ، ١٩٩/٣ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٦٢/١ ؛ السيوطي ، الجامع الصغير ، ٣٨٤/١ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ٧٧٥-٧٧٦ .

^٣ - ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٦٨/١٩ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الصغير) ، ص ٦٣٣ ؛ شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٣٦٠-٣٦١/٥ ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ٣٧٣ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٣٧١/٤ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٨٩/٥ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٣٥٨/٤ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣٠٦-٣٠٧/٢١ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٥-٣٦/٢٩ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٢٠٥-٢٠٦/٣ ؛ انصارين ، شرح نهج البلاغة المقطف من بحار الأنوار ، ٤١٥/٣ .

وضمن منهجية التكامل في العبادة باتباع المسار الوسطي فيها حتى تتقدم في مدارج الكمال يتقف الإمام علي عليه السلام أيضاً للرفق في العبادة دون المبالغة فيها أو الجفاء^(١) حتى تأخذ نتائجها ومردوداتها الإيجابية على الشخصية، ومصدق ذلك في قوله إلى الحارث الهمداني^(٢) (وَ أَطِعُ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا. وَ حَادِعُ نَفْسِكَ فِي الْعِبَادَةِ، وَ أَرْفُقْ بِهَا وَ لَا تَقْهَرَهَا، وَ خُذْ عَفْوَهَا وَ نَشَاطَهَا، إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَ تَعَاهُهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا.)^(٣) ، فالوسطية هنا تكمن في قوله عليه السلام ارفق بها (النفس) أي أن يكون معتدلاً متوسطاً في العبادات المستحبة من دون إفراط فيها فيقهرها بالعنف والشدة ، والفلسفة من ذلك لان العنف والشدة والإفراط في القيام بالعبادات موجب لكبت النشاط و عدم الإقبال و حضور القلب ماعدا الفرائض والعبادات الواجبة فانه لا بد من قضائها في وقتها دون التوسط والرفق سواء كانت النفس نشطة أم لا^(٤) .

والنتيجة المستخلصة هي : العبادات الواجبة لا بد من الآتيان بها بحدودها وكيفياتها إما المستحب من العبادات التي لها نتائج إيجابية على الشخصية وبنائها التكاملية فان الرفق هو

^١ - لقد أشار الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته عليهم السلام إلى قضية الرفق في العبادة المستحبة والتوسط فيها حتى لا تأخذ طريق الانحراف ومن ثم الأضرار بالعبادات الواجبة فيقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (خذوا من العبادة ما تطيقون فإن الله لا يسأم حتى تسأموا) ، الطبراني ، المعجم الكبير ، ٢٤١/٨ ؛ السيوطي ، الجامع الصغير ، ٦٠٠/١ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٢٩/٣ ، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا علي أن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك ، [ف] أن المنبت - يعني المفرط - لا ظهرا أبقى ولا أرضا قطع ، فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرما واحذر حذر من يتخوف أن يموت غدا) ، وقوله عليه السلام (لا تكرهوا إلى أنفسكم العبادة) ، الكليني ، الكافي ، ٨٦/٢-٨٧ .

^٢ - وهو الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد بن نخلة بن حارث بن سبع بن صعب بن معاوية الهمداني المعروف بالحارث الأعور صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ، ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٥٢/٤ ؛ الأمين ، اعيان الشيعة ، ٣٦٦/٤ .

^٣ - نهج البلاغة ، ٧٠٥ .

^٤ - الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٤٢/٤ .

الطريق الأمثل في العبادات المستحبة وسيرها التكاملية وما يعزز ذلك قول الرسول محمد ﷺ (خذوا من العبادة ما تطيقون ، فان الله لا يسأم حتى تسأموا)^(١) وعن الإمام الصادق عليه السلام (لا تكرهوا إلى أنفسكم العبادة)^(٢) .

ولعل من الأمور الأخرى المهمة التي أخذت البعد التنقيفي في المسار العبادي في فكر الإمام علي عليه السلام وانتهاج الوسطية والاعتدال فيها لأنها أخذت طرفي التطرف عند الناس هي الزهد^(٣) ، إذ يحصل سوء الفهم في فلسفة الزهد فقد اتجهت لدى البعض إلى الرهينة^(٤) التي تتنافى مع الفلسفة الإسلامية وقد رأينا فيما سبق موقف الرسول ﷺ وتشخيصه للأسلوب الخاطيء في الزهد الذي يتعارض مع فلسفة الإسلام ، ولا بد من القول أنّ النقص والقصور ليسا في المنهج وإنما في تطبيقه ، إذ أنّ تعاليم الإسلام وشعائره العبادية تحت على الورع والتقوى والزهد، إذ حقق منهجاً وسطاً معتدلاً عماده التوازن بين النوازع الدينية ومطالب الحياة الدنيوية بمعنى أنّ مجمل

١ - المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٢٩/٣ .

٢ - الكليني ، الكافي ، ٨٦/٢ .

٣ - الزهد : خلاف الرغبة والتزهيد في الشيء خلاف الترغيب فيه ، وهو العزوف عن الدنيا طلباً للأخرة و في حديث الزهري سئل عن الزهد في الدنيا فقال : هو أنّ لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره ؛ أراد أنّ لا يعجز ويقصر شكره على ما رزقه الله من الحلال ، ولا صبره عن ترك الحرام ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١٩٧/٣ - ١٩٨ .

٤ - ولعل الأمثلة على الشخصيات التي اتجهت إلى هذا الطريق كثيرة ومنها على سبيل المثال عثمان بن مظعون الذي اتخذ بيتاً جلس يتعبد فيه فبلغ الرسول ﷺ ذلك فاتاه فاخذ بعضادتي باب البيت الذي هو فيه فقال: يا عثمان أنّ الله عز وجل لم يبعثني بالرهبانية قالها مرتين أو ثلاثة وان خير الدين عند الله الحنيفة السمحاء ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣٩٥/٣ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٥٨/١ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ٢١٤/٤ ، بالتالي فان كل إفراط أو تفريط إلا وفيه حق مضيع وما تقدم دليل على ذلك فضلاً عن ذلك قول الرسول محمد ﷺ (إلى عبد الله بن عمرو عندما بلغه انهماكه في العبادة حتى أنساه حق أهله فقال له يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل فقال: بلى يا رسول الله قال فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا ، البخاري ، صحيح البخاري ، ٢٤٥/٢ ؛ ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ٧٤/٥٤ .

تعاليمه وأحكامه تهدف لسعادة الدارين وتقوم على الطريق الوسط وتجنب الغلو والتقصير وينهي اتباعه عن الإفراط والتفريط والجنوح إلى الدنيا والثراء^(١) .

ويقول الإمام علي عليه السلام فيما يخص ذلك : (الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ، وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^(٢) وَ مَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَىٰ الْمَاضِي، وَ لَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي، فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ.)^(٣) فالزهد هو الاعتدال والتوسط في حب الدنيا وعدم التوغل فيها بعدم الحزن على ما يفوت من المنافع سواء كانت متحققة أم لا وعدم الفرح بالقدام أي بمعنى الإعراض المعنوي عن الدنيا، الإعراض بالقلب بحيث تصبح وسيلة وليست غاية فيصبح وجود الشيء وعدمه على حد سواء وهذا هو الزهد الحقيقي ومن اخذ به فقد اخذ به من كل جهاته وادركه بحقيقته^(٤) ، لان الذين يأسون على ما فاتهم ويفرحون بما آتاهم (أي المبالغة أو التهاون) لا يستطيعون شكر الله على نعمه بأفعالهم وعلى عكس ذلك هي النظرة الواقعية بين موقف المتهالكين على الدنيا على نحو جنوني وموقف المتباعدين على نحو مرضي^(٥) ، فالزاهد لا يرى انه ترك شيئاً ولا أخذ شيئاً^(٦) .

^١ - الحسيناوي ، البعد التاريخي لحركة الزهاد ، ص ١١ وما بعدها .

^٢ - الحديد / ٢٣ .

^٣ - نهج البلاغة ، ص ٨٣١ .

^٤ - ينظر: البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٤٥٤/٥ ؛ الاربيلي ، شرح نهج البلاغة ، ص ٤٠٤ (فارسي) ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ٣٩١ ؛ الأنصاري ، شرح نهج البلاغة ، ص ١٢٠٤ (فارسي) ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٧٢/٤ ؛ التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٣٠٨/٦ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٥٢٢/٥ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٧-٣٨/٧٨ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤٧٠/٤ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٥١٤/٢١ ؛ الشرقي ، شرح نهج البلاغة ، ص ٤٠٩ ؛ الدامغاني ، جلوه تاريخ در شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ، ٢٢٥/٨ (فارسي) .

^٥ - شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ، ص ٢٥٥ .

^٦ - رزاق ، العرفان الشيعي ، ص ٣٥٨ .

ومن هنا فان تثقيف الإمام علي عليه السلام على الزهد هو لضمان السير التكاملي وأخذ الطابع الإسلامي فقول الإمام علي عليه السلام ليس قولاً عشوائياً أو اعتباطياً ولا يقصد به التثقيف فحسب وإنما هناك فلسفة معينة ورسالة في الوقت ذاته أراد إيصالها إلى المجتمع والمحيط الاجتماعي المتواجد فيه الذي أغرته الماديات بسبب الفتوحات وأخذت الثروة مأخذها في بعض الشخصيات، وقد وظف الإمام عليه السلام القرآن الكريم وتفسيره في ذلك فقد اتخذ الآية ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا أَنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ لكيلاً تأسوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ^(١) كشاهد تطبيقي .

وبذلك فان الإمام علي عليه السلام قد عالج الفهم السيئ للعبادات وأوضح المبدأ والقاعدة التي تقوم عليها وهي الوسطية ومسارها التكاملي ولم يقتصر الأمر على التثقيف لنوع العبادات والزهد بل ثقف أيضاً للقضاء والقدر وهو امر لا يخلو أهمية من التثقيف السابق بسبب الانحرافات التي حدثت من ناحية^(٢) ولأنه يتعلق بسلامة الاعتقاد من غير إفراط أو تفريط وحتى يستقيم المنهج من ناحية أخرى لان الإيمان بالقدر هو احد عناصر الإيمان بالله يقول الرسول ﷺ الإيمان (إن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)^(٣) ، لهذا ثقف الإمام علي عليه السلام لذلك عندما سأل رجل من أهل الشام^(٤) عند المسير إلى معركة صفين : أكان مسيرنا

١ - الحديد / ٢٢ - ٢٣ .

٢ - للتفاصيل عن الفرق المنحرفة التي ظهرت والتي قال بعضها بالجبر وان أفعال العباد مخلوقة وليس للعباد فيها صنع وقال اخرون بالتفويض بان أفعال العباد مفوضة اليهم لا صلة لها بالله سبحانه والرد عليهم ، والمذهب الصحيح وهو لا جبر ولا تفويض وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام ينظر : السبحاني ، لب الاثر في الجبر والقدر .
٣ - مسلم النيسابوري ، صحيح مسلم ، ٢٩/١ ؛ أبي داود ، سنن أبي داود ، ٤١٢/٢ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٤٠٣/٩ .

٤ - عن عكرمة قال: لما قدم علي عليه السلام من صفين قام إليه شيخ من أصحابه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن مسيرنا إلى أهل الشام بقضاء وقدر فقال علي والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما قطعنا واديا ولا علونا تلعة إلا بقضاء وقدر فقال الشيخ عند الله احتسب عنائي فقال علي ولم بل عظم الله أجركم في مسيركم وأنتم مصعدون

إلى الشام بقضاء من الله وقدر ؟ فأجابه الإمام عليه السلام (وَيْحَاكَ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءَ لَازِمًا، وَ قَدْرًا حَاتِمًا! لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَ الْعِقَابُ، وَ سَقَطَ الْوَعْدُ وَ الْوَعِيدُ. أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَحْذِيرًا، وَ نَهَاهُمْ تَحْذِيرًا، وَ كَلَّفَ يَسِيرًا، وَ لَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا، وَ أَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا؛ وَ لَمْ يُعْصَ مَغْلُوبًا، وَ لَمْ يُطْعَ مُكْرَهًا، وَ لَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لِعِبَاءٍ، وَ لَمْ يُنْزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثًا، وَ لَا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا، ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(١) (٢) .

فاستبدل الإمام عليه السلام المفهوم الخاطيء عن القضاء والقدر في ذهن ذلك السائل الذي يؤدي إلى الضلال والانحراف بمفهوم القضاء والقدر وفلسفته إذ انه لا زيادة فيه ولا نقصان فلا قضاء لازم ولا قدر حاتما وإنما هو الوسطية بينهما، وبين الإمام عليه السلام الفلسفة من ذلك فلو كان قضاء لازما وقدرًا حاتما لم يبق هناك معنى وفائدة للثواب والعقاب والوعد والوعيد ، و أن يملك الإنسان حريته في الفعل و عدم الفعل فإذا ملك الاختيار ترتب الأجر و الثواب و صح الوعد و الوعيد^(٣) .

ويمكن الخروج بنتيجة مما سبق أن الإمام علي عليه السلام ثقف للمسار الوسطي في القضاء والقدر لكي لا يأخذ جانبي الانحراف بل طريق الكمال ، فليس قضاء لازما لا يمكن التخلف عنه

وفي منحدركم وأنتم منحدرون وما كنتم في شيء من أموركم مكرهين ولا إليها مضطرين فقال الشيخ كيف يا أمير المؤمنين والقضاء والقدر ساقنا إليها قال ويحك لعلك ظننته قضاء لازما وقدرًا حاتما...، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٥١٢/٤٢ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٣٤٣/١-٣٤٤ .

١ - ص / ٢٧ .

٢ - نهج البلاغة ، ٧٣٤ .

٣ - الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢٦١/٥ .

أو مخالفته ولا قدراً محتوماً وإنما هو أمر بين أمرين على حد قول الإمام الصادق^(١) عليه السلام ، وفي الوقت ذاته بين الفلسفة التي تقوم على قواعد وقوانين إلهية وهذه القواعد هي :

القاعدة الأولى : أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده تخييراً أن شأوا عملوا أو امنوا وإن شأوا لا لكن في الوقت ذاته حذرهم إن فعل ذلك العمل يوقع في المخالفة والمحذور الذي يترتب عليه العقاب.

القاعدة الثانية : إن التكاليف الإلهية ليست شاقة ولا بسيطة وإنما تكاليف يسيرة على وفق مقدرة الإنسان وبما يتلائم مع طبيعة تكوينه البيولوجي.

القاعدة الثالثة : عدم سلب الاختيار في الطاعة فلا يطع مكرهاً ولا يعص مغلوباً بل هو الذي يعطي المجال ليظهر كلاً ما لديه .

القاعدة الرابعة : إن لكل شيء فلسفة وهدفاً فليس إرسال الأنبياء لعباً دون ذلك الهدف وتلك الفلسفة ولم ينزل القرآن الكريم عبثاً كلام لا فائدة منه حاشا ذلك ولا خلق ما بين السموات والأرض باطلاً وإنما قائمة على تلك القاعدة والهدف .

ولا نجد أن نهج البلاغة يخلو من التنقيف لأهم وسيلة من وسائل الاتصال بالله سبحانه وتعالى وهي الصلاة^(٢) والمسار الوسطي فيها لكي تأخذ طريقها وفلسفتها الإصلاحية^(٣) ، فيقول

^١ - يقول الإمام الصادق عليه السلام لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين ، الكليني ، الكافي ، ١ / ١٦٠ ؛ الصدوق ، الهداية ، ص ١٨ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص ٣٨ .

^٢ - يقول الله تعالى في كتابه العزيز في ذلك المعنى: «كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ»، العلق / ١٩ ، وهو دور الصلاة من ركوع وسجود في القرب من الله سبحانه وتعالى .

^٣ - نجد أن القرآن الكريم قد تحدث وبآيات واضحة وصريحة عن فلسفة الصلاة ودورها في الإصلاح سواء على المستوى الفردي الخاص أم على المستوى الجماعي العام يقول جل وعلا «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ»، هود / ١١٤ ، وفي آية أخرى: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ»، العنكبوت / ٤٥ ، كما بين نتيجة الابتعاد عن الصلاة واثرها في الانحراف «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْفُوفُونَ عِياً»، مريم / ٥٩ .

عليه السلام في وصيته إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر سنة ٣٦ هـ : (صَلِّ الصَّلَاةَ لَوْ قَتَبَتْهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا، وَ لَا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ ، وَ لَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِإِسْتِغَالٍ ، وَ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلَاتِكَ.)^(١) ، فالوسطية تكمن في أداء الصلاة في وقتها المحدود من غير إفراط بتقديمها على وقتها المحدود ولا تفريط بتأخيرها عن وقتها ، وهذه الوسطية تقوم على فلسفة وهي أَنَّ كل شيء في الحياة مرتبط بالصلاة ، ولا يمكن حدها وتضييقها فقط بقبول الأعمال كما قال الشارحين^(٢) إِنَّ كل شيء مرتبط بالصلاة لأنها عمود الدين، وأفضل العبادات إن قبلت قبل ما سواها من الأعمال^(٣) ، وهذا صحيح لكن لا يمكن حدها فقط بذلك وإنما هناك جوانب أخرى ترتبط بالصلاة وجزء من فلسفتها الوسطية دون إفراط وتفریط يمكن إدراجها بما يلي :

١- في البداية لابد من القول أَنَّ النص المتقدم هو عهد الإمام عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر من ثم فهو عهد سياسي يتضمن المبادئ التي يجب أن يسير عليها الحاكم ومن ثم عندما يأمر الإمام عليه السلام محمد بن أبي بكر بأداء الصلاة في وقتها بدون إسراف أو إهمال في الزمن فإن هناك فلسفة من ذلك تخص الحاكم بصورة خاصة بوصفه المخاطب والآخرين بصورة عامة وهي عند أداء الصلاة في وقتها المحدد فإن

^١ - نهج البلاغة ، ص ٥٧٩ .

^٢ - ينظر : الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٦٤/٣-٦٥ ؛ كيزري بيهقي ، ٢٢/٤ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٤٢٨/٤-٤٢٩ ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ٣١٢ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢٥-٢٦/٨٥-٨٦ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢٢٤/٤-٢٢٥ .

^٣ - وفي هذا إشارة إلى حديث للرسول محمد ﷺ ورد في مصادر الفريقين وبألفاظ مختلفة ، بأن عمود الدين الصلاة، وهي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم ، فإن صحت نظر في عمله ، وإن لم تصح لم ينظر في بقية عمله ، و من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين، ينظر : الشيخ الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ٢٣٧/٢ ؛ الحلي ، نهاية الأحكام ، ٣٠٧/١ ؛ السيوطي ، الجامع الصغير ، ١٢٠/٢ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٢٨٤/٧ ؛ الكاشاني ، الوافي ، ٢٩/٧ ؛ العجلوني ، كشف الخفاء ، ٣٢/٢ .

هذا يبعث على الانضباط والمحافظة والالتزام ليس في الصلاة فحسب وإنما في جميع الأمور الأخرى .

٢- إن شعور المصلي بالعبودية والخشوع والخضوع لله سبحانه وتعالى يؤدي إلى التواضع وعدم التكبر وهذا من صلب فلسفة الصلاة وأهميتها لاسيما في الجانب السياسي .

٣- إن أداء الصلاة في وقتها دون تقديمها ل فراغ أو تأخيرها مهم في بعث الطاقة واللياقة البدنية وتجديد النشاط الفسيولوجي للجسم^(١) .

٤- كما مر سالفاً إن الصلاة هي نقطة اتصال العبد بربه ومن ثم فإنها تؤدي إلى التخلق بالأخلاق الإلهية وخير مصداق لهذا القول قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢)، وقوله تعالى ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٣) .

٥- إنها وسيلة من وسائل الاستعانة لكل شيء ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٥) بما فيها محو الذنوب، و القضاء على التوتر وتحقيق التوازن النفسي .

٦- وربما من اجمل أهداف الصلاة ومن المظاهر الحضارية والصحية والجمالية هي الطهارة والنظافة البدنية سواء طهارة البدن أم الثياب ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٦)

١ - الفهداوي ، الإعجاز الإلهي في العبادات البدنية (الصلاة انموذجاً) ، ص ٧٠-٧٣ .

٢ - العنكبوت / ٤٥ .

٣ - طه / ١٤ .

٤ - البقرة / ٤٥ .

٥ - البقرة / ١٥٣ .

٦ - الأعراف / ٣١ ، وينظر القمي ، تفسير القمي ، ٢٢٧/١ ؛ مغنية ، التفسير المبين ، ص ١٩٦ .

ولم يقتصر الإمام عليه السلام على التنقيب للمسار الوسطي بأداء الصلاة في وقتها المحدد دون إفراط أو تفريط فلم يتوقف عند هذا المسار فحسب بل حرص عليه السلام أيضاً على الإحاطة بجميع المسارات الوسطية في الصلاة لأهميتها وآثارها المادية والمعنوية في حياة الإنسان^(١) ، ومن ثم كي تأخذ نتائجها الإيجابية والابتعاد عن السلبية أن أخذت ادنى اليمين والشمال^(٢) وخير مصداق على هذا قوله عليه السلام في عهده لمالك الاشر حين قلده مصر: (وَلِيَكُونَ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ، فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَ نَهَارِكَ، وَ وَفَّ مَا نَقَرْتَبَتْ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ وَ لَا مَنْقُوصٍ، بِأَلْغَا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ. وَ إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ، فَلَا تَكُونَنَّ مُنْقَرًا وَ لَا مُضَيِّعًا ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَ لَهُ الْحَاجَةُ. وَ قَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ وَجَّهْتَنِي إِلَى الِئْمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أضعفهم، وَ كُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا»^(٣) .

١ - لقد وضع الإمام علي عليه السلام آثار الصلاة ونتائجها على حياة الإنسان حينما قال عليه السلام : تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ ، وَ حَافِظُوا عَلَيْهَا، وَ اسْتَكْبَرُوا مِنْهَا، وَ تَقَرَّبُوا بِهَا، فَإِنَّهَا «كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا»، النساء/ ١٠٣ ، أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَفَرٍ ﴿﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ»، المائدة/ ٤٢- ٤٣ ، وَ إِنَّهَا لَتَحْتُ الذُّنُوبَ حَتَّى الْوَرَقِ، وَ تُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرَّبِقِ، وَ شَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْحَمَّةِ [الجمعة] تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ، فَهُوَ يَعْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَ اللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ؟ وَ قَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ ، وَ لَا فُرْةٌ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَ لَا مَالٍ. يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ»، النور/ ٣٧ ، وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ أَهْلِهِ وَسَلَّمَ - نَصَبًا بِالصَّلَاةِ بَعْدَ النَّبِيِّ لَهٗ بِالْجَنَّةِ، لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَ أَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، طه/ ١٣٢ ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَ يَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ ، نهج البلاغة ، ص ٤٧٧ - ٤٧٨ .

٢ - وهناك حادثة تروى في زمن الرسول محمد ﷺ انه أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فقال الراوي فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشد غضبا في موعظة منه يومئذ فقال يا أيها الناس أن منكم لمنفرين فأيكم ما صلى بالناس فليتجزر فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة . ابن حنبل ، مسند أحمد ، ٥/ ٢٧٣ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ١/ ١٧٢ .

٣ - نهج البلاغة ، ص ٦٧٣ .

فالإمام علي عليه السلام يتقف في النص المتقدم للوسطية في أداء الصلاة فالمأموم يجب أن يكون معتدلاً متوسطاً في صلاته بين المطول المنفر للناس بتطويله وبين المقصر المضيق لأركان الصلاة والفلسفة من ذلك لأن المبالغة في الصلاة أو التقصير فيها كلاهما فيه مفسدة تضر الناس لأن في الناس من به المرض الذي لا يتمكن من أطالة ومن له الحاجة أو أصحاب الأشغال والأعمال التي تقوت إذ اطال صلاته وهذا القول ليس اعتباطاً وإنما موثق بحديث للرسول صلى الله عليه وآله حين بعث الإمام علي عليه السلام لليمن أن يصلي بالناس صلاة أضعفهم أي التوسط في الصلاة وإن يكون بهم رحيماً^(١) ، بالنتيجة يمكن القول أنها من أكثر النصوص التي أبدع فيها الشارحون في بيان الوسطية بألفاظها ومفرداتها التوسط والاعتدال وفي بيان طرفي الإفراط والتفريط ومن ثم الفلسفة من ذلك .

^١ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٩٠/١٧ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ١٧٨-١٧٩ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ١١٤/٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢٩-٣٠/١٠٣ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢٨٣/٢٠ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ، ٢٦٣/٣ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ١٠٧/٤ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ١٨٥-١٨٦ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٦٧/٥ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة واسانيده ، ٤٠٥/٣ .

المبحث الثاني

المسارات الوسطية في الاعتقاد بمقام الإمامة وأبعادها الولائية

أخذت الوسطية الاعتقادية في فكر الإمام علي عليه السلام كثيراً من الاهتمام ونالت حيزاً كبيراً في نهج البلاغة ، لما لها من نتائج كبيرة وخطيرة على المستوى الديني لكونها فريضة من الفرائض الواجبة^(١) ومن متمات الدين الإسلامي فهي تمثل الأمان والابتعاد عن الخطر وتثبيت أسس العقيدة الحقة ، والابتعاد عن التطرف الذي قد يحصل نتيجة الوركس أو الشطط فخرجها الإمام علي عليه السلام بأسلوب يغلق الباب أمام أي شذوذ وعدول عن مضامينها وأهدافها الحقيقية وعمل على إعادة تشكيل المنظومة الثقافية الدينية التي تعرضت للخلل .

وأولى المسائل التي طرحها الإمام عليه السلام هي الولاية التكوينية ، الوسطية المقامية والمكانية لأصل من أصول الدين وهو الإمامة الذي مثله أئمة أهل البيت عليهم السلام وثبته الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله ((إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله عز وجل، وعترتي أهل بيتي ، ألا وهما الخليفتان من بعدي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض))^(٢) فيقول عليه السلام بهذا الخصوص في خطبة ذكر ضمنها صفات أئمة الدين عليهم السلام (وَ إِمَّا الْأَيْمَةُ قَوْمًا اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَ عُرْفَاؤُهُ^(٣) عَلَى عِبَادِهِ ؛ وَ

^١ - عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((كانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى ، وكانت الولاية آخر الفرائض ، فأَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) قال: يقول الله عزَّ وجلَّ : لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة ، قد أكملت لكم الفرائض)) ، الكليني ، الكافي ، ٢٨٩/١ .

^٢ - الصدوق ، الامالي ، ص ٥٠٠ ؛ وينظر باختلاف الألفاظ لكن في المعنى ذاته ، النسائي ، السنن الكبرى ، ٤٥/٥ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٩٣/١ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ١١٤/١٠ .

^٣ - عريف القوم سيدهم . والجمع عُرْفَاءُ وهو القِيم والسيد لمعرفته بسياسة القوم ويتعرّف الغير منه أحوالهم ، والعريفُ النَّقِيبُ دون الرئيس ، ابن منظور، لسان العرب ، ٢٣٨/٩ ؛ أبي بكر الرازي، مختار الصحاح ، ص ٢٢٥؛ الطريحي ، مجمع البحرين ، ٩٧/٥ .

لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَ عَرَفُوهُ ، وَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَ أَنْكَرُوهُ .^(١) وهنا حدد الإمام عليه السلام الوسطية الاعتقادية في هذا المقام بوسطية الأئمة عليهم السلام لكونهم الحد الفاصل بين الخير كله والباطل كله فهم الوسط بين الجنة والنار أي بمعنى أنّ الإمامة لها آثار ونتائج فهي وسيط بين الجنة والنار ، فالتناسب طردي بين الوسط والنتيجة إذ إنّ الوسط الاعتقادي هو المسؤول عن النتيجة التكاملية فالأخذ به دخول الجنة وتركه دخول النار .

وقد اتفق الشارحون على أنّ مقصد الإمام عليه السلام أن الإمامة أصل من أصول الدين وركن من أركانه ولا يمكن دخول الجنة إلا باتباع الشريعة ولزوم العمل بها ولا يمكن الوصول لذلك إلا بمعرفة الإمام ومن ثم فإن دخول الجنة مستلزم لمعرفة الإمام للمؤمنين ولا يُشترط في معرفتهم المعرفة الشخصية العينية بل المعرفة على وجه كلي وهو العلم أنّ كل من اعتقد حق إمامتهم واهتدى بهديهم فهو ولي لهما وإن لم يشترط المشاهدة ، و أنّ من أنكر الولاية التي هي من أصول الدين استلزم دخول النار، واستشهد الشارحون بحديث من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية^(٢) فمن لم يعرف الإمام كان تاركاً لأصل من أصول الدين أي تاركاً الواجب وكان إثمًا مستلزمًا لدخول النار^(٣) .

^١ - نهج البلاغة/٣١١ .

^٢ - الازدي ، الإيضاح ، ص٧٤ ؛ ابن طاووس ، اقبال الأعمال ، ٢/٢٥٢ ؛ المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ١٩٩/٥ ؛ المجلسي، بحار الأنوار ، ٣٢/٣٢١ ؛ الطبرسي، مستدرک الوسائل ، ١٢/٢٨٩ .

^٣ - ينظر: كيزري بيهقي ، حقائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ١/٦٦٤ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة(الكبير) ، ٣/٢٣٥-٢٣٧ ؛ السرخسي ، أعلام نهج البلاغة ، ص ١٤٥ ؛ الانصاري، شرح نهج البلاغة منظوم ، ٤/٢٦ (فارسي) ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢/٣٧٧-٣٧٨؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢/٤٨٣ ؛ نواب لاهيجي ، شرح نهج البلاغة ، ص١٤٠ (فارسي) ؛ جعفري ، تفسير نهج البلاغة ، ٢٥/٣٨ (فارسي) ؛ زاده القمي ، جلوه های حکمت ، ص٥٤ (فارسي).

وعلى ما يبدو فإن الشارحين اكتفوا بالمعنى الظاهري فقط وهو أنَّ الإمامة أصل من أصول الدين وإنكارهم يستلزم العقوبة بالنار، غير أنَّ هناك معنى وهدفاً آخر قد يفهم من كلام الإمام عليه السلام وهو الوسطية المكانية لائمة أهل البيت عليهم السلام وهو دور الوسطية بين الله جل جلاله وبين البشر لا يُعرف الله إلا بمعرفتهم ومن ثم فهم وسط بين الجنة والنار. إذ يمكن توجيه طرح الإمام علي عليه السلام بجملة أفكار :

١- إن الإمامة هي منطقة وسطية، ومن مصاديق الوسطية المكانية للإمامة هي دخول الجنة والعكس صحيح في الآثار المترتبة على المخالفة والابتعاد عن الوسطية وهو ما حدا بابن أبي الحديد المعتزلي بالاستشهاد بالأبيات الآتية :

لي فيك معتقد سأكشف سره فليصغ أربابُ النهى و ليسمعوا
و الله لولا حيدر ما كانت الدنيا و لا جمع البرية مجمع
و إليه في يوم المعاد حسابنا و هو الملاذ لنا غدا و المفزع
هذا اعتقادي قد كشفت غطاءه سيضر معتقدا له أو ينفع
يا من له في أرض قلبي منزل نعم المراد الرحب والمستربع^(١)

٢- إن دور الأئمة عليهم السلام ليس دوراً زمنياً مؤقتاً فلا يقتصر على مجرد إرشاد الناس وهدايتهم في الدنيا بل هم نقطة الارتكاز في مصير الإنسان في الدنيا والآخرة .

٣- قول الإمام عليه السلام أنَّ الخلافة اصطفاء وجعل الهي وولاية تكوينية فعدم طاعة الأئمة الشرعيين لا يعني فقدانهم الشرعية وهذا ما نفهمه من قول الإمام عليه السلام السالف ((وَ إِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُورَامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ)) .

^١ - الروضة المختارة (شرح القوائد العلويات السبع) ، ص ١٤٢-١٤٣ .

٤- هناك أحاديث لأئمة أهل البيت عليهم السلام تصب في المضمون نفسه وتؤكد الفكرة نفسها والطرح فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال : ((جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين " وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ؟ فقال نحن على الأعراف ، نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف الذي لا يعرف الله عز وجل إلا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف يعرفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط ، فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه . أن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا ، فإنهم عن الصراط لناكبون ، فلا سواء من اعتصم الناس به ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها ، لا نفاذ لها ولا انقطاع^(١)) ، وفي حديث آخر طويل ينقله الإمام علي عليه السلام عن الرسول صلى الله عليه وآله مما جاء فيه والأوصياء أصحاب الصراط وقوف عليه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه لأنهم عرفاء الله عرفهم عليهم عند اخذ الموائيق عليهم ووصفهم في كتابه فقال عز وجل وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم هم الشهداء على أوليائهم والنبي الشهيد عليهم^(٢) .

وكي لا ينسحب الصراع المذهبي والفكري على مقام الإمامة فيخرجها عن المسار التكاملي طالعنا فيه الإمام عليه السلام على أتم واكمل ما يكون لان القضية ليست تجردا أو تعصبا ذاتياً بل هي مساراً تكاملياً للعبادة والدين بوجه عام ويترجم هذا حديث الرسول

^١ - الكليني، الكافي ، ١/ ١٨٤ .

^٢ - الصفار ، بصائر الدرجات ، ص ٥١٨ .

محمد ﷺ يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق^(١) إذ جعل ﷺ من الإمامة فرقاناً بين الحق والباطل وبين المؤمن والمنافق ، أذاً فالإمامة هي مسار تكاملي للإيمان، وهذا ما أشار إليه الإمام علي ﷺ في خطبته الشقشقية: (أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ [ابن أبي قحافة] وَ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا. يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَ لَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ؛ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً. وَ طَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً؛ وَ طَفِقتُ أَرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَدًّا [جدًا]، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ [ظلمة] عَمِيَاءَ، يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَ يَشِيْبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَ يَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ! فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَجَى، فَصَبْرْتُ وَ فِي الْعَيْنِ قَدَى، وَ فِي الْحَلْقِ شَجَا،)^(٢) ، فمحل الإمام ﷺ ومن ثم محل الخلافة والإمامة محل القطب من الرحي فهي ﷺ وسطها و قلبها لا تستقيم أو تعتدل إلا به .

وقبل الولوج في كلام الشارحين وبيانه يجدر بنا أن نخرج على معرفة كلمة قطب الرحي ومعناها في المعاجم اللغوية التي ربما قد تكون واضحة للقارئ لكن بيان المعنى اللغوي يثبت الكلام المتقدم ، فالقطب كوكب بين الجدي والفرقدين ، صغير أبيض لا يبرح موضعه وتدور الكواكب على هذا الكوكب ، و قطب الرحي : الحديدية التي في الطبقة الأسفل من الرحيين يدور عليها الطبقة الأعلى^(٣) ، ومن ثم فان مقصد الإمام ﷺ أن محلي منها محل القطب من الرحي فكما أن القطب كوكب بين الجدي والفرقدين وقطب الرحي حديدية وسط آلة الرحي فهو ﷺ (ليس كشخص بل كإمام) يمثل الوسط والاعتدال بين الانحراف الى اليمين أو

١ - ينظر: ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ٤٢/١ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ٣٠٦/٥ ؛ النسائي ، سنن النسائي ، ١١٦/٨ .

٢ - نهج البلاغة/٣٣-٣٤ .

٣ - الفراهيدي ، العين ، ١٠٧/٥-١٠٨ ؛ الجوهري ، الصحاح ، ٢٠٤/١ .

الشمال وان أبا بكر ليس جاهلاً أو ساهياً أو غافلاً بل يعلم أن محله (الإمام عليه السلام) يمثل المرتكز والوسطية بين الإفراط والتفريط، وهذا مصداق واضح للوسطية التكاملية ، مع العلم أن كلام الإمام لم يحد بصعيد واحد بل أنه جال بيانه في مناسبة أخرى سنأتي عليها فيما بعد .

وبصدد كلام الشارحين فإنهم لم يتباينوا في موقفهم إذ أشاروا إلى أن محل الإمام عليه السلام من الخلافة محل القطب من الرحي وكما أن الرحي لا تدور إلا على القطب ودورانها بغير القطب لا فائدة منه كذلك نسبته إلى الخلافة فهو الناظم لأمر المسلمين على وفق الحكمة الإلهية ولا يمكن أن يقوم مقامه في أمر الإمامة ولا يتأهل لها غيره كما لا يقوم غير القطب مقامه في موقعة فحركتها بدون القطب تكون بلا ثمرة كذلك الثمرة المطلوبة من الولاية والخلافة^(١) .

ولا ريب أن لم يتباين الشارحين في فهمهم للموضوع من حيث المضمون فمن المؤكد انه لا يمكن أن تقوم الخلافة والإمامة لغير أهل البيت عليهم السلام لأنهم هم المنصوص عليهم شرعاً ودونهم لا ثمرة لها، وهذا جزء من كلام الإمام عليه السلام فالإمام عليه السلام أراد الإشارة إلى قضية أخرى

^١ -ينظر: الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٢٢/١ ؛ كيزري بيهقي ، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ١ / ١٥٩ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢٥٤-٢٥٥ ؛ السرخسي ، أعلام نهج البلاغة ، ص ٤٥ ؛ التبريزي ، منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة ، ٩٧٥-٩٧٦ (فارسي) ؛ الأملي ، شرح نهج البلاغة ، ص ٢٢٩ (فارسي) ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ٦٢ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٩٥/١ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٧٦/١ ؛ القزويني ، شرح نهج البلاغة ، ١٥٤-١٥٥ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٤٠/٣ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقطف من بحار الأنوار ، ٦٣/١ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١١/٢ ؛ المحمودي ، نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة ، ٤١٣/٢ ؛ الخراساني ، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة ، ١٧٩/٢-١٨٠ .

وهي أن مقام ومكان الخلافة هو الوسط^(١) وقد ذكر عليه السلام مصداق ذلك في النص نفسه ((أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ [ظلمة] عَمِيَاءَ، يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَ يَشَيْبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَ يَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يُلْقَى رَبَّهُ)). فالانحراف والبلاء اللذين يصيبان الصغير والكبير من مصاديق غياب الوسطية المكانية والمقامية للخلافة ومن الآثار المترتبة على إقصاء الإمام الشرعي الذي يمثل الوسط بين الضلال والانحراف كما اشرنا فيما سبق .

ومن ثم فإن النتيجة المستخلصة أن كلام أمير المؤمنين عليه السلام لم يأتِ اعتباراً بل دائماً لمعالجة ووضع أسس ومرتكزات قد تكون دينية أو سياسية أو اجتماعية وقد تكون فكرية وهذه المرتكزات تمتاز بكونها مستمرة على مر التاريخ بل أن لها أبعاداً ليست آنية بل مستقبلية، لبروز أفكار وسلوكيات متشددة أو متطرفة أو مقصرة في المجتمع الإسلامي لذا نجد أن الإمام يبرز المنهج الوسطي والمسار التكاملي في الاعتقاد والمعالجات المحذرة من الغلو والتشدد في مختلف المسارات وأهمها المسار الاعتقادي، فدائماً ما يؤكد على أن الإمامة المتمثلة بأهل البيت عليهم السلام هي الوسط بين التقصير والغلو ونجد مصداق ذلك أيضاً في قوله عليه السلام ((نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى، بِهَا يَلْحَقُ النَّالِيُّ، وَ إِلَيْهَا يَرْجِعُ الْعَالِيُّ))^(٢). وهذه هي مزية النمرقة الوسطى إذ إن جل الوسطية التكاملية تمحورت فيها لابتعادها عن طرفي الإفراط والتفريط .

^١ - هناك التفاتة من أبي الحديد في محاولة فهم ما أراد الإمام عليه السلام يقول : ((كما أن الرحي لا تدور إلا على القطب ، و دورانها بغير قطب لا ثمرة له و لا فائدة فيه- كذلك نسبتي إلى الخلافة، فإنها لا تقوم إلا بي و لا يدور أمرها إلا علي . . هكذا فسروه و عندي أنه أراد أمراً آخر ، و هو أنني من الخلافة في الصميم ، و في وسطها و بحبوتها ، كما إن القطب وسط دائرة الرحي)) شرح نهج البلاغة ، ١/١٥٣ ، والتفاتته هذه أقرب للواقع في فهم الفكرة التي أراد الإمام عليه السلام إيصالها ؛ وينظر أيضاً الغروي ، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، ص ٤٥٧ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ٧٤٤ .

ومن خلال استقراء طبيعة التعامل مع كلام الإمام عليه السلام هذا يمكن تقسيم الآراء حوله

إلى :

الرأي الأول : وهو الرأي الذي مثله الشارحون الأوائل لاسيما السرخسي الذي أشار إلى

أن مقصد الإمام عليه السلام من قوله نحن النمرقة الوسطى أن ولايته متوسطة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين من بعده من الأئمة والمتوسط بين الشئيين يخلق به التالي التابع والغالي الذي تجاوز الحد يرجع آخر الأمر إلى الوسط لأن الوسط من كل شيء هو العدل، و من كان على طرفيه فإمّا أن يكون طالبا للوسط فيكون تاليا يصل إليه، و من جاوز الوسط إلى الآخر فإنه يكون غاليا ^(١) ، ونستطيع أن نسجل عدة ملاحظات على هذا الرأي يمكن إدراجها بما يأتي:

١- إن هذا الرأي بعيد كل البعد عن مغزى قول الإمام عليه السلام فلا يمكن أن يكون الإمام عليه السلام يقصد توسط ولايته بين الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة لاسيما انه تحدث بصيغة الجمع حيث قال نحن النمرقة الوسطة أي الأئمة عليهم السلام جميعاً وليس شخصه .

٢- قوله أن الوسط من كل شيء هو العدل قول متهافت لأنه جعل ولاية الإمام عليه السلام متوسطة بين ولاية الرسول صلى الله عليه وآله وبين ولاية الأئمة عليهم السلام وحاشا الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أن تكون ولايتهم غير عادلة .

وليس رأي السرخسي وحدة فحسب من لم يصب في فهم مغزى قول الإمام عليه السلام بل نجد أيضاً أن الراوندي جعل النمرقة الوسطى أهل البيت عليهم السلام وهذا صحيح ولو اكتفى بذلك لكان رأياً صائباً لكنه أردفه بقول والنمرقة العظمى الرسول محمد صلى الله عليه وآله ^(٢) ، ومن دون شك أن الإمام عليه السلام

١ - أعلام نهج البلاغة، ص ٢٩٧ .

٢ - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣/٣٠٢ .

هنا لا يقصد التعريف بالأئمة صلوات الله عليهم وإنما قوله نحن النمرقة الوسطى أي أنّ الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ الوسط بين الغالين والمقصرين بقريظة رجوع الغالي والتالي أي المقصر والغال والمفرط والمُفرط .

أما الراي الثاني: وهو الراي الأقرب إلى الصحة ومع أنّ هناك اختلافاً في بعض جزئيات كلامهم إلا انه يمكن توحيدها ، بأن أهل البيت ﷺ هم أئمة الحق على الصراط المستقيم والعدل المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط فهم عليهم السلام الأمر المتوسط بين الطرفين المذمومين وبما أنهم الوسط بين طرفي الإفراط والتفريط فيلحق بهم المنحرفون عن طريقهم والمتخلف عنهم أي المفرط والمفرط الغالي والتالي (١) .

وكانت التفاتة لبيب بيضون التفاتة جميلة جداً بكلمات اختصرت كل الآراء وأصابت كبد الحقيقة إذ أوضح مقصد الإمام ﷺ في قوله نحن النمرقة الوسطى بان أهل البيت عليهم السلام هم القدوة المعتدلة للدنيا فمن تقدم عنها عصى وظلم، ومن تأخر عنهم هوى وهلك ومن اقتدى بهم اهتدى وسلم (٢) ، ومما تقدم يمكن القول:

^١ - ينظر: بيهقي خراساني ، معارج نهج البلاغة ، ص ٤١٩ ؛ كيزري بيهقي ، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٢/٦٣٣-٦٣٤ ؛ الارديلي ، نهج البلاغة ، ٣٥٧ (فارسي) ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٨/٢٧٣ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ٥/٢٩٧؛ اختيار مصباح السالكين (شرح نهج البلاغة الصغير) ، ص ٦٠٤ ؛ الكاشاني ، تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين ، ٢/٦٣٧-٦٣٨ (فارسي) ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ٣٦٣ ؛ القمي ، شرح حكم نهج البلاغة ، ص ٢٥٣-٢٥٤ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤/٣١٢ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٣/١٧٦ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤/٢٨٤ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢/٣٣١ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٣-٣٤ / ٥٢ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ، ٣/٣٦٦-٣٦٧ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٥/٢٨٧ ؛ الغروي ، الامثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، ص ٢٤٨-٢٤٩ ؛ الجعفري ، تفسير نهج البلاغة ، ٩/١٧٠ - ١٧١ (فارسي) .

^٢ - تصنيف نهج البلاغة ، ص ٣٤٥ .

١- إن الإمام عليه السلام قدّم قاعدة ثابتة للمنهجية الوسطية وهي تمركز المنهج الوسطي في أهل البيت عليهم السلام وتقديم مثال أقرب إلى الدليلية أو التوثيقية .

٢- إثارة المباني الفكرية وتوظيف المثال والمصداق لينقل الأمة إلى مستوى التطبيق الصحيح من خلال المنهج العادل من بين المناهج المنحرفة .

٣- من خلال كلام الإمام عليه السلام نستدل على خصوصية منصب الإمامة والصفات والمؤهلات المتوافرة فيهم وافتقار الآخرين لها والتأسيس لقاعدة فكرية مهمة وهي أنّ تنصيب الإمام عليه السلام لم يأت من فراغ .

ثم انتقل الإمام عليه السلام إلى بيان فلسفة الوسطية الاعتقادية وآثارها بطرح يقوم على الثوابت والمصاديق، فالوسطية ليست أهواء بل منهجاً ثابتاً من ناحية ولكون الوسطية الاعتقادية تلامس القناعات الإيمانية من ناحية أخرى إذ يقول عليه السلام بهذا الشأن ((شُعِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ أَمَامَهُ! سَاعٍ سَرِيْعٍ نَجَاءٍ، وَ طَالِبٍ بَطِيءٍ رَجَاءٍ، وَ مُقَصِّرٍ فِي النَّارِ هَوَى. الْيَمِيْنُ وَ الشَّمَالُ مَضَلَّةٌ، وَ الطَّرِيْقُ الوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ، عَلِيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَ آثَارُ النُّبُوَّةِ، وَ مِنْهَا مَنَفَذُ السُّنَّةِ، وَ إِلَيْهَا مَصِيْرُ الْعَاقِبَةِ. هَلَاكَ مِنَ ادَّعَى وَ خَابَ مِنَ افْتَرَى.))^(١) .

أصبح من المسلم به قول أن الطريقة الوسطى هم أهل البيت عليهم السلام بدليل ما تقدم من قول الإمام عليه السلام نحن النمرقة الوسطى^(٢)، وأما فيما يخص قوله هنا فهو أيضاً يتمحور حول أهل البيت عليهم السلام فهم المسار التكاملي بين الطرفين المضلين .

١ - نهج البلاغة ، ص ٥٢ .

٢ - ينظر ، ص ٦٨ .

وقد أبدعت أنامل الشارحين في بيان الوسطية ومميزاتها ومصاديقها فالإمام عليه السلام في كلامه هذا يحث على الوسطية ولزوم المحجة البيضاء، والابتعاد عن طرفي الإضلال و الضلال المتحورين في كل شيء متصوّر من العقائد، و العبادات، و الأخلاقيات، و المعاملات، و السياسات، و العادات المتداولة بين الناس، ولا يقف عند هذا الحد بل يتجاوزه أيضاً إلى ما هو أعظم خطر وأبعد أثراً وهو الفكر المرتبط بكل تلك المسارات ، و غيرها ممّا يتصوّر فيه الاسراف أو التقصير، ومن مصاديق الطريق الوسطى أو بالمعنى الأدق أنّ الفلسفة من كون تلك هي الطريق الوسطى لأن مصباحها كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله فمنها منفذ السنة، أي أنّ السنة النبوية والشريعة الأحمدية الصحيحة تخرج منها، ومنها تنتشر التعليمات والقواعد الشرعية والأخلاقيات والمكروهات والمستحبات والاجتماعيات والاقتصاديات ..الخ فالسائر في الجادة سائر على منهاج السنة كما أنّ الطريق الوسطى هي التي تقرر أيضاً مصير العاقبة نعيم أو جحيم، جنة أو نار ، فمن كانت عاقبته سيئة فإنه خالف الجادة وانحرف عنها إلى اليمين والشمال حتى وصل إلى تلك العاقبة السيئة وبمعنى آخر فإن الطريق الوسطى هي التي لا يضل الإنسان فيها لظهورها و معرفة معالمها و حدودها والمصاديق التي بُنيت عليها و أما المتفرعات التي تتوزع على أقصى اليمين و أقصى الشمال فأنها تضل الإنسان و تهوي به في النار^(١) .

ولابد من التأكيد على أنّ الشارحين أبدعوا في كلامهم المتقدم عن الوسطية، إلا أنهم لم يسيروا إلى أهم قضية وهم قاعدة أراد الإمام عليه السلام إيصالها إلى أذهان السامعين وهي ما هو هذا الطريق الأوسط؟ ومن يمثله؟ ، فاتجهوا إلى اتجاه قد يكون بعيد نوعاً ما عند قولهم أنّ الطريق

^١ -ينظر: الغروي ، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، ص ٥٧٣-٥٧٤ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١/١٦١ ؛ القزويني ، شرح نهج البلاغة ، ٢/١٦-١٧ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ١/١٠٥-١٠٦ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢/٤٥ ؛ مغنية ، في ضلال نهج البلاغة ، ١/١٣٨ .

الوسطى هي العدل أو أنّ الأنبياء ومن ثم الأئمة عليهم السلام سلكوا العدل، بعبارة أخرى انهم طبقوا الوسطية التي هي بين الإفراط والتفريط، الزيادة والنقصان التي ذكروها في كلامهم وهذا صحيح إذ أنّ جميع ما ذكروه من مبادئ الطريق الأوسط ومميزاته وآثاره، وهو المقصود، لكن هناك نتيجة أو حقيقة لم يصل إليها المؤرخون وهي أنّ الطريق الوسطى تتمثل بالرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته بذاتها فهم الطريق الوسطى بين اليمين والشمال لتطبيقهم واتباعهم العدل فتمثل بهم وفيهم، فهذا هو المغزى المطلوب وليس أنهم سلكوا الوسطية بل أنهم هم الوسطية والدليل على ذلك قول الإمام عليه السلام نحن النمرقة الوسطى كما تقدم.

ولكن مع ذلك فإن بعض هؤلاء الشارحين كان متميزاً بهذا الإطار ومنهم القزويني الذي رأى أنّ المقصود من الطريق الوسطى هو طريق آل محمد و ولايتهم وان القرآن نزل في بيت ال محمد صلى الله عليه وآله وأهل البيت أدري بما في البيت^(١)، كذلك السيد عبد الزهراء الخطيب الذي استدل أيضاً على ذلك من قول الإمام عليه السلام نحن النمرقة الوسطى^(٢) ، وعليه فإن ما تقدم من طرح يعني فيما يعني أموراً عدة :

١- هناك قاعدة ثابتة يمكن أن تستخلص وهي أنّ الوسطية بمجملها تتمثل بأهل البيت عليهم السلام

فالمسار التكاملية للإيمان يتمثل بالإمامة أما المناهج الأخرى إما ضلال أو إضلال.

٢- كلام الإمام علي عليه السلام لم يأت اعتباراً ولا جزافاً فعندما ذكر عليه السلام القاعدة بأن أهل البيت

عليهم السلام هم الطريق الوسط فإنه قدم مصاديق وقواعد وفلسفة تثبت وسطية ذلك الطريق بين

الطرق المنحرفة .

٣- ربط الإمام عليه السلام بين عقيدة البعث واليوم الآخر، وبين الوسطية .

^١ - شرح نهج البلاغة ، ١٧/٢ ؛ وينظر أيضاً الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢٣٦/٣-٢٣٧.

^٢ - مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، ٣٧٢/١ .

٤- دعا الإمام عليه السلام إلى ترك التمذهب، والانفتاح الفكري بالرجوع إلى الكتاب والسنة، و التطبيق الصحيح لهما هو الوسيلة للاستدلال على الطريق المستقيم .

٥- ويُستدل أيضاً من كلام الإمام عليه السلام على أنّ المناهج الأخرى أنّ صح أنّ نطلق عليها هذا العنوان لم تصل إلى مرحلة الوعي والنضج والإمام بالمنهج النبوي حتى يمكن أنّ تنطوي وتندرج إلى المنهج النبوي الذي هو المنهج الوسطي بحد ذاته .

ومن كل ذلك فقد هدف الإمام عليه السلام لإيصال المجتمع إلى مستوى أقرب للكمال من خلال اتباع المنهج الوسط المتمثل باهل البيت عليهم السلام .

وبذلك فان الإمام علي عليه السلام أوضح المسار التكاملي للوسطية الاعتقادية وأدوارها وفلسفتها وأنها ليس حركة فكرية تنثير العقول بل ضرورة من ضروريات الدين ، ولا بد من الإشارة قبل الاسترسال في المباني والمنطلقات والقواعد التي وضعها أمير المؤمنين عليه السلام لهذه الضرورة الدينية وهو المنفق على إمامته بين الناس حتى من المدارس الفقهية الأخرى فعن معمر ، عن الزهري ، عن عبد الله بن عباس قال : " رأيت حسان واقفا بمنى والنبي وأصحابه مجتمعين فقال النبي : معاشر المسلمين هذا علي بن أبي طالب عليه السلام سيد العرب والوصي الأكبر ، منزلته مني منزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، لا تقبل التوبة من تائب إلا بحبه ، يا حسان قل فيه شيئاً ، فأنشأ حسان بن ثابت يقول :

لا تقبل التوبة من تائب * إلا بحب ابن أبي طالب (١)

١ - الطبري ، بشارة المصطفى ، ص ٢٣٤ ؛ ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ١٤٤/٢ ؛ المشغري ، الدر النظيم ، ص ٢٨٤ ؛ النباطي ، الصراط المستقيم ، ٢٠٢/١ ؛ الكاشاني ، تفسير كبير منهج الصادقين في الزام المخالفين (فارسي) ، ص ٢١٩ ؛ الريشهري ، موسوعة الإمام علي ابن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ ، ٨٧/١١ .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله (ﷺ) : " إذا كان يوم القيامة نصب لي منبرا طوله ثلاثون ميلا ، ثم ينادي مناد من بطنان العرش : يا محمد ، فأجيب فيقال لي : ارق فأكون في أعلاه ، ثم ينادي الثانية : أين علي بن أبي طالب ؟ فيكون دوني بمرقاة ، فتعلم جميع الخلائق بأن محمدا سيد المرسلين وأن عليا سيد الوصيين . قال انس : فقام إليه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله فمن يبغض عليا بعد هذا ؟ فقال : يا أبا الأنصار لا يبغضه من قريش إلا سفحي ولا من الأنصار إلا يهودي ، ولا من العرب إلا دعي ، ولا من سائر الناس إلا شقي " (١) .

من ثم ولأهمية الإمامة في الأمور التشريعية والاعتقادية فإن الإمام (عليه السلام) قد بين كل القواعد التي قد تؤدي إلى الانحراف عن مسارها التكاملي ولاسيما قضية الغلو في الإمام وإخراجه من حدود الإنسانية والبشرية إلى حدود الألوهية والابتعاد عن الوسطية فيها ، لان الإمامة هي التسليم بالنص الإلهي في الإمامة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ومن بعده من الأئمة (عليهم السلام) دون المغالاة في احد منهم، ولان أحد أهداف الإمامة خلق الشخصية الإسلامية ذات الأبعاد المختلفة المعتدلة في جوانبها الدينية والأخلاقية والفكرية ..الخ ولان الغلو التجاوز والإفراط والخروج عن حد المعقول بدليل قوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

^١ - الطبري ، بشارة المصطفى ، ص ٣١٠ ؛ كما ينظر أيضاً هذه الرواية في الموضوعات لابن الجوزي الذي وضعها ضمن الاحاديث الموضوعة عن الرسول (ﷺ) لوجود إسماعيل بن موسى وكونه منهم لأنه غال في التشيع ، ٣٩٦/١ . ولابد من القول أن تشيع بعض الرواة هو الذي جعل احاديثهم غير مقبولة والا أن الحديث ليس موضوعاً ، لمزيد من التفاصيل ينظر : شكري ناصر عبد الحسن ، دلالات إمامة أهل البيت (عليهم السلام) في روايات الزهري ، ص ١٩٥ .

الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿١﴾ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٢)، بل نجد أن الرسول ﷺ كان له الدور الكبير في التنقيف ضد تلك الظاهرة بشكل عام حينما قال ((ياكمم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)) (٣)، وفي الإمام علي عليه السلام بشكل خاص لأنه يمثل الدين كله يقول ﷺ أن فيك شبيها من عيسى بن مريم ولولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمر بملا من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة فغضب الأعرابيان و المغيرة بن شعبة وعدة من قريش معهم ، فقالوا : ما رضي أن يضرب لابن عمه مثلاً إلا عيسى ابن مريم فأنزل الله على نبيه (ﷺ) ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٦٠﴾ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٦١﴾ أَنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٦٢﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (٤) (يعني من بني هاشم) ملائكة في الأرض يخلفون... (٥) .

وفي حديث آخر قال ﷺ : يا علي ، أن فيك مثل من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه ، أحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس به، (٦) . ولنخرج من تلك المقدمة ولندخل في تنقيف الإمام عليه السلام للوسطية الاعتقادية الإمامية وتحذيره عليه السلام من سلوك تلك الظاهرة الخطيرة

١ - النساء/ ١٧١ .

٢ - المائدة/ ٧٧ .

٣ - ابن حنبل ، مسند أحمد ، ٢١٥/١ ؛ ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، ١٠٠٨/٢ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٤٦٦/١ .

٤ - الزخرف/٥٧-٦٠ .

٥ - الكليني ، الكافي ، ٥٧/٨ .

٦ - ابن حنبل ، مسند أحمد ، ١٦٠/١ ؛ الطوسي ، الامالي ، ص ٢٥٦ ؛ ابن المغازلي ، مناقب علي بن أبي طالب (ع) ، ص ٨٤ ؛ ابن شهر اشوب ، مناقب ال أبي طالب ، ٥٣/٣ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ١٣٣/٩ .

وهي الغلو والبغض التي تعد كفراً وخروجاً عن الدين ﷺ وابتعاداً على المباني والمبادئ التي تتميز بها (الإمامة) ، فأوضح ﷺ الوسطية في الاعتقاد بإمامته بقوله ﷺ (وَ سَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَ مُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَ خَيْرُ النَّاسِ فِي حَالِ النَّمَطِ الْأَوْسَطِ فَأَلْزَمُوهُ، وَ أَلْزَمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ. وَ إِيَّاكُمْ وَ الْفُرْقَةَ! فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْعَمَمِ لِلذُّنْبِ).^(١) .

وهذه حقيقة نفسية واعتقادية لا تزيدها الأيام إلا رسوخاً لم يبقَ فيها الحاجة إلى الإسهاب فيما تخفي، فالتكامل قائم في النمط الأوسط، هو المطلوب في الاعتقاد في الإمام بين اليمين والشمال ، وهم الغلاة الذين رفعوه عن درجته إلى مستوى الإلهوية ولم يضعوه في مرتبته ومكانته وهي خلافة الرسول ﷺ والتنصيب الإلهي فقد خرجوا بالإمامة من الحق والعدل إلى الباطل والجور ، وهذا هو طرف الإفراط الذي يؤدي بصاحبه إلى الهلاك ، والطرف الثاني هو التفريط والمبالغة في بغض الإمام ﷺ كالخوارج وغيرهم، فيؤدي إلى نتيجة الطرف الأول نفسها وهي الهلاك بصاحبه وخير الناس هو النمط الأوسط، الصراط المستقيم، الوسطية بين طرفي الغالين أو المقصرين التي تؤدي بالسالك إلى الجنان^(٢) .

١ - نهج البلاغة ، ص ٢٦٩-٢٧٠ .

٢ - ينظر: الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٤٣/٢ ؛ كيزري بيهقي ، حقائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٥٨٢/١ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الصغير) ، ص ٢٨٤ ؛ شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ١٣٥/٣ ؛ التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٣٤٨/١٠ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٧١/٢-٢٧٢ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٦٠/٢-٣٦١ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١١-٦٢/١٢ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٩٩/٨-٢٠٠ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢٤٦/٢-٢٤٧ .

ولأهمية ذلك الموضوع، ولحد من انتشار ظاهر الغلو والانحراف، والتأكيد على كمال الوسطية الاعتقادية، أهمية الإمامة ودورها الوسط بين الغلو والانحراف فقد أشار الإمام عليه السلام لذلك في مواضع عدة تساهم في الوصول للنتيجة المبتغاة وتحول دون الوقوع في الالتباس والانحراف منها في قوله: ((بِهَلِكُ فِي رَجُلَانِ: مُحِبُّ مُفْرِطٍ، وَ بَاهِتُّ مُفْتَرٍ))^(١) ، وبهذا فإن الخروج عن حد الاعتدال والوسط تكون النتيجة الهلاك المحتوم ، فالمبالغة والمغالاة في حبه عليه السلام ورفعها إلى منزلة الألوهية أو وصفه بغير ما هو فيه أو اتهامه بالباطل وتكفيره والافتراء بما هو بريء منه كل ذلك يستلزم العذاب والهلاك لان اليمين والشمال كلاهما تؤديان إلى ذات النتيجة^(٢) .

كذلك قوله عليه السلام في ذات المعنى ولكن بلفظ آخر (هَلَكَ فِي رَجُلَانِ: مُحِبُّ غَالٍ وَ مُبْغِضٌ قَالَ)^(٣) فالوسطية الاعتدال في حبه دون المغالاة في الحب أو المبالغة في البغض ، لان الولاية اصل الدين وشرط إيمان المؤمنين وتوحيد الموحدين ومعرفتهم بالخلافة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمامة على الأمة والإفراط والتفريط في الإمامة هو خروج عن تلك المرتبة^(٤) .

ولعل المنتبِع لتلك الإشارات يجد أن الإمام عليه السلام أراد تحقيق أموراً عدة منها وأبرزها ما يأتي :

١- إشارة الإمام عليه السلام إلى طرفي الإفراط والتفريط في الاعتقاد بالإمامة والخروج عن الوسطية

وبألفاظ مختلفة (محب مفرط ومبغض مفرط ، محب مفرط وباهت مفتر ، محب غال

ومبغض قال) .

١ - نهج البلاغة ، ص ٨٣٧ .

٢ - الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٥/٥٣٧ .

٣ - نهج البلاغة ، ص ٧٤٧ .

٤ - الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢١/١٨٠ .

٢- وضع الإمام عليه السلام الحجر الأساس والقاعدة لمرحلة من المراحل التاريخية التي ستشهدها الأمة من الضلال والانحراف، ودراسة الأبعاد والكيفية لحركة التاريخ البشري والأحداث في حركة الزمن وإعطاء الإحداثيات للتحكم في مجرياتها ووجهتها بقوله عليه السلام (وَ خَيْرُ النَّاسِ فِي حَالِ النَّمَطِ الْأَوْسَطِ فَأَلْزَمُوهُ، وَ الزُّمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ. وَ إِيَّاكُمْ وَ الْفُرْقَةَ! فَإِنَّ الشَّادَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّادَّ مِنَ الْعَمِّ لِلذَّنْبِ) .

٣- الآثار والنتائج المستقبلية المترتبة على الابتعاد عن الوسطية في الاعتقاد بالإمامة هي الهلاك المحتم .

٤- حاول الإمام عليه السلام ومن خلال التأكيد على الأمر في مناسبات مختلفة توضيح الوعي وخلق الثقافة الواعية لفلسفة الوسطية وآثارها ونبذ الانحراف .

٥- كان للأطروحة النبوية دورها في التنقيف لثقافة الوسطية في الاعتقاد بالإمامة لان انحرافها عن ذلك تعني انحرافاً عن المسار التكاملي في الخلافة والولاية التكوينية والحفاظ على المدخل الأمين الوحيد إلى سنة النبي والعدل الوحيد للقرآن لتحقيق الهداية التفصيلية التي جاء بها النبي عليه السلام إذ قال عليه السلام (يا علي ، أن فيك مثل من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه ، أحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس به) (١) ، كذلك التنقيف المستمر من الأئمة عليهم السلام فعن الإمام زين العابدين عليه السلام يقول: إن اليهود أحبوا عزيراً حتى قالوا فيه ما قالوا ، فلا عزير منهم ولا هم من عزير . وإن النصارى أحبوا عيسى حتى قالوا فيه ما قالوا ، فلا عيسى منهم ولا هم من عيسى . وأنا على سنة من ذلك ، أن قوما من شيعتنا سيحبوننا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزير، وما

^١ - ابن حنبل ، مسند أحمد ، ١/١٦٠ ؛ الطوسي ، الامالي ، ص ٢٥٦ ؛ ابن المغازلي ، مناقب علي بن أبي طالب (ع) ، ص ٨٤ ؛ ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ٣/٥٣ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٩/١٣٣ .

قالت النصارى في عيسى بن مريم ، فلا هم منا ولا نحن منهم^(١) ، أما الإمام الصادق عليه السلام فقد قال: لا تُصَلِّ خلف الغالي وإن كان يقول بقولك ، والمجهول والمجاهر بالفسق وإن كان مقتصدا^(٢) ، وقوله لإسماعيل بن عبد العزيز ، يا إسماعيل ضع لي في المتوضأ ماء ، فقامت فوضعت له ، فدخل فقلت في نفسي : أنا أقول فيه كذا وكذا ويدخل المتوضأ يتوضأ ! فلم يلبث أن خرج ، فقال : يا إسماعيل ، لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم ، اجعلونا مخلوقين وقولوا بنا ما شئتم^(٣) ، كما كان للإمام الرضا عليه السلام دور في التنقيف فعن الحسن بن الجهم قال حضرت مجلس المأمون يوما وعنده علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة . . . قال له المأمون : يا أبا الحسن ، بلغني أن قوما يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحد . فقال الرضا (عليه السلام) : حدثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا ترفعوني فوق حقي ، فإن الله تبارك وتعالى اتخذني عبدا قبل أن يتخذني نبيا ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ❀ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ❀ ﴾^(٤) .

١ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ٢٥ / ٢٨٨ .

٢ - الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ٣ / ٣١ .

٣ - الصفار ، بصائر الدرجات ، ص ٢٥٦ ؛ الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ٢ / ٧٣٥ .

٤ - ال عمران / ٧٩ - ٨٠ .

٥ - الشيخ الصدوق ، عيون اخبار الرضا ، ٢ / ٢١٧ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ٢٥ / ١٣٤ .

وفي ضوء ذلك يمكننا القول أنَّ الاعتقاد بالإمامة لا يستقيم إلا في منهج الوسط ونبذ التطرف والمغالاة في الأئمة عليهم السلام لأنه من مستلزمات الشرك والخروج عن مسار الكمال والاعتدال فحتى الوسطية في النص الذي تقدم فيما سبق بكونهم عليهم السلام عرفاء على العباد هو ليس تفويضاً استقلالياً خارج عن قدرة الله بل هو تفويض مقيد ووسطية جعلية، أي كما بين الإمام عليه السلام بان الله هو المعطي لهم تلك المنزلة وهي كونهم وسطاً ووسيطاً بين الجنة والنار فلم الولاية التكوينية من دون المغالاة والإفراط فيهم مع العلم أنَّ منزلة الإمام والإمامة بشكل عام من الاستحالة الإحاطة بها ومعرفتها كامل المعرفة كما يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت وما عرفني إلا الله وأنت وما عرفك إلا الله وأنا)^(١).

وإذ يفرغ الإمام علي عليه السلام من حديثه الدائر حول ضرورة الوسطية التكاملية يواصل عليه السلام طريقه في مفاهيم التهذيب وتناول المسألة في سياقاتها الكلية فبين الماهية والفلسفة من ذلك بمعنى أدق الفهم الكامل المغني بمضمونه للفلسفة من نهج الوسطية في الأئمة عليهم السلام دون التقدم عليهم أو التأخر والمغالاة فيهم فيقول عليه السلام في هذا الصدد: (انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم ، واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى ، و لن يعيدوكم في ردى ، فإن لبدوا فالبدوا ، و أن نهضوا فانهضوا . و لا تسبقوهم فنضلوا ، و لا تتأخروا عنهم فتهلكوا.)^(٢) ، فالفلسفة من كون الإمامة هي الوسط لان سبق أهل البيت عليهم السلام تعني الضلال، وفي التأخر عنهم هلاك فهم الصراط المستقيم والوسط بين طرفي الإفراط والتفريط لانهم الأئمة المعصومون من

^١ - البرسي ، مشارق انوار اليقين ، ص ١٧٣ ؛ الحلي ، مختصر بصائر الدرجات ، ص ١٢٥ ؛ البحراني ، مدينة المعاجز ، ٤٣٩/٢ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ٢٠٣-٢٠٤ .

الخطأ والنسيان وبهم يتحقق الصلاح ويقبل الفساد وفي تقدمهم أو التأخر عنهم يقع الفساد ويقبل الصلاح^(١) .

على أن شرح شارحين لمفردتي الإفراط والتفريط، هو السبق ونتيجته الضلال، والتأخر نتيجة الهلاك، شرح يروي الغليل ويصب في معنى الإفراط والتفريط والوسطية ، إذ قال بعضهم أن هذا نهي من الإمام عليه السلام عن سبق أهل البيت عليهم السلام وفعل ما لم يأمر به لان في سبقهم في أمر لم يتقدموا فيه ضلال لان متقدم الدليل شأنه الضلال عن القصد كما أن التأخر عن متابعة أوامره ومخالفتهم هلاك^(٢) ، في حين أحجم الآخرون عن شرح المعنى وركزوا على بداية كلام الإمام عليه السلام عن أهل البيت عليهم السلام^(٣) . وهناك التفاتة جميلة جداً من الموسوي الذي قال أن في سبق أهل البيت عليهم السلام أو التأخر عنهم ضلال وانحراف عن الصراط، لان العمل بدون الاعتماد على الحجة مظنة الوقوع في الخطأ والانحراف^(٤)، أي بالمعنى انحراف عن الوسطية إلى طرفي

١ - قال الرسول ﷺ في هذا المعنى : معاشر الناس أن الله قد امرني ونهاني ، وقد امرت علياً ونهيتة ، وعليه الأمر والنهي من ربه عز وجل فاسمعوا لأمره ، وانتهوا لنهييه وصيروا إلى مراده ولا تتفرق بكم السبل عن سبيله . أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم باتباعه ثم علي من بعدي ثم ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون ، القتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ٢٢٨/١ ، فهم الصراط المستقيم المنصوص عليه من الله تعالى وبهم يتحقق الصلاح والهداية والعدل ، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ من سره أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنة عدن منزلي قصباً غرسه ربي عز وجل ثم قال له كن فكان ؛ فليتول علي ابن أبي طالب ولياً ثم بالأوصياء من ولده فانهم عترتي خلقوا من طينتي إلى الله أشكو أعداءهم من امتي المنكرين لفضلهم القاطعين فيهم صلتي ...، القتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ٢٣٧/١-٢٣٨

٢ - ينظر: البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٤٠٨/٢ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ١١٦/٢ ؛ انصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ، ٣٢٩/١ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٣٠/٧-١٣١ .

٣ - ينظر : الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٤٣٢/١-٤٣٣ ؛ كيزري بيهقي ، حقائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٤٨٨/١ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٧٧/٧ ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ١٥٢ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ١٨٩/١-١٩٠ .

٤ - شرح نهج البلاغة ، ١٤٩/٢ .

الإسراف أو التقصير، وان في اتباع الإمامة والاعتقاد بها تجنب الضلال والهلاك فلن يخرجوا الناس من هدى ولن يعيدوهم في ردى .

وهنا نجد في قول الإمام عليه السلام ولن يعيدوكم في ردى إشارة وتصريح بأن اتباع غير الأئمة عليهم السلام يؤدي إلى التردى والعودة إلى الجاهلية، وان الاستمرار في طريق النبوة لا يتحقق إلا من خلال الإمامة فهي المرجعية الصالحة للامة المرتبطة بمرجعية القرآن فلا تكتمل الهداية ولا يمنع الضلال إلا بها.

و أن هذه الخطبة وقول الإمام عليه السلام هو توعية وتنقيف لعصمة الأئمة عليهم السلام من الوقوع في الخطأ ودلالة هذا القول الإلهي « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ أَنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » (١) .

وكذلك يُفهم من قول أمير المؤمنين عليه السلام أن السنة الصحيحة غير المحرفة غير متوافرة ولا يمكن أن تُؤخذ إلا عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام (٢) . و أن قول الإمام عليه السلام يعد فلسفة للجهاد فإن تحرك أحد الأئمة عليهم السلام وقام بعملية تغير وثورة فلا بد من الكل اتباعهم وإن سكن واتبع طرق أخرى فلا بد من اتباعه أيضاً ولا يمكن الخروج عن أمره .

١ - النساء/٥٩ .

٢ - هناك قول للإمام الصادق عليه السلام في ذات المضمون: لولا أن الله فرض ولايتنا ومودتنا وقرابتنا ما أدخلناكم ولا أوقفناكم على بابنا فوالله ما نقول بأهواننا ولا نقول برأينا ولا نقول إلا ما قال ربنا ؛ وقوله أيضاً لرجل سأله فأجابه فيها فقال الرجل أن كان كذا وكذا ما كان القول فيها فقال له مهما أحببتك فيه لشيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسنا نقول برأينا من شيء . ، الصفار، بصائر الدرجات ، ص ٣٢٠ - ٣٢١ وينظر : المفيد : الامالي ، ص ٦٠ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ١٣٧/٢ .

وفي مناسبة أخرى أيضاً يذكر فلسفة الوسطية وإيجابياتها وسلبيات الانحراف اليميني أو الشمال في كلامه عن الرسول ﷺ واهل بيته عليهم السلام : (الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَ الْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ. نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَ نَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَ نَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا[نَاطِقًا]، وَ بِذِكْرِهِ نَاطِقًا[قَاطِعًا] فَأَدَّى أَمِينًا، وَ مَضَى رَشِيدًا ؛ وَ خَلَّفَ فِيْنَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَ مَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ، بَطِيءُ الْقِيَامِ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ. فَإِذَا أَنْتُمْ أَنْتُمْ لَهُ رِقَابِكُمْ، وَ أَشْرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ حَتَّى يُطْلَعَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَ يَضُمُّ نَشْرُكَكُمْ، فَلَا تَطْمَعُوا[تَطْعِنُوا] فِي غَيْرِ[عَيْنِ] مُقْبِلٍ، وَ لَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ، فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزَلَّ بِهِ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ[قَدَمَيْهِ]، وَ تَنْتَبِتَ الْأُخْرَى، فَتَرْجِعَا حَتَّى تَنْتَبِتَا جَمِيعًا)(^١) .

فيشير الإمام عليه السلام في هذا النص إلى راية الحق وهما الثقلان اللذان تركهما الرسول ﷺ في الأمة الكتاب والعترة، وفي التقدم والتأخر عنهما إشارة إلى طرفي الإفراط والتفريط من فضيلة الاستقامة أو الوسطية بين هذين الطرفين ، فمن خالفها (راية الحق) متقدماً لها أو متأخراً عنها فقد خرج عن الحق، ومن لازمها فقد أصاب الحق فالميزان لهداية الخلق واستقامتهم هو هذه الراية والتقاء الناس عندها بل أن الابتعاد عن طرفي الإفراط والتفريط يكمن في هذه الراية لان الأخذ من غير الطريق المشروع هلاك لأنه اعتمد على غيرها من رايات الضلال والانحراف أي بالمعنى طرفي الإفراط والتفريط ونتيجته السلبية المحققة وهي الهلاك والضلال(^٢) .

١ - نهج البلاغة ، ص ٢٠٧-٢٠٨ .

٢ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٨٥/٧ ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ١٥٣ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٦٣/٢ ؛ انصاري ، شرح نهج البلاغة ، ص ٢٦٠ (فارسي) ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ١٢٦/٢-١٢٧ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٥٨/٧ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،

المبحث الثالث

مسارات الفكر الحضاري والعلوم التطبيقية

أن أكثر ما يلفت النظر في نهج البلاغة صفة الشمول والاستيعاب إذ أن كل باحث ينهل منه في اختصاصه فجعل ذلك منه اندر الكتب التي ألفت لاسيما من ناحية وثاقه وأفكاره ووثاقه المعلومات من ناحية أخرى ، ولا نبالغ إذا قلنا أن الجانب العلمي شكل الجزء الأكبر فيه ليس بالمعنى المادي لكن بالمعنى المعنوي لانه غطى تقريبا كل صنوف العلم سواء كانت علوماً صرفة أم علوماً إنسانية بل أن من أبرز مميزات الفكر في نهج البلاغة انه أخذ سمات الفكر العلمي المتطور الذي يتطابق مع النظرة الحديثة.

ولا نريد الخوض في تفاصيل وإثبات نظريات نهج البلاغة وتطابقها مع العلم الحديث إذ أصبحت أشهر من نار على علم ، بل الذي يعنينا هو الوسطية في المسار العلمي فمن دون شك أن الجانب العلمي شأنه شأن بقية الجوانب يوجد فيه جانبا إفراط وتفريط و أن هناك الوسط، ومن الملاحظ أن الإمام علي عليه السلام في طرحه لمسارات الوسطية العلمية قد رسم واستخدم معنيين:

- ١- المعنى المادي فقد طرح عليه السلام الوسطية بمفهومها المادي بوجود جانبي إفراط وتفريط .
- ٢- المعنى المعنوي فقد كانت أغلب كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المضمار و بمعنى الوسط بين جانبيين ومع ذلك فان استقراء الوسط يؤكد انه لا يخرج عن المقصد وهو الوسطية وفلسفتها .

٨٩/٢-٩٠ ؛ عبد الزهرة الخطيب ، مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، ١٩٣/٢-١٩٤ ؛ الدشتي ، فرهنگ معارف نهج البلاغة ، ٢٧٦/١-٢٧٧ (فارسي) ؛ الجعفري ، تفسير نهج البلاغة ، ٥٨/١٨-٥٩ (فارسي).

ومما لا ريب فيه أنّ احد أهداف الوسطية ومقاصدها هي الابتعاد عن التخبط والعشوائية والانحراف فعلى الرغم من أنّ الإمام علي عليه السلام لم يذكر أمثلة كثيرة للوسطية العلمية إلا انه مع قلة الأمثلة المذكورة تتضح أهمية الوسطية والفلسفة منها ، وأبرز ما يذكره الإمام علي عليه السلام ضمن هذا المفهوم هو ما يتعلق بالجانب الفلكي ولا سيما مسألة جاذبية الكواكب بعضها للبعض الآخر فمن دون شك انه لو لم يكن هناك وسط بين الكوكب والآخر لم تكن قائمة وهذا الوسط أو الوسطية بينها هو الجاذبية، فالجاذبية هي الوسطية أو الوسط بين كل جرم أو كوكب وهذه الجاذبية لها دور في استقرار الكواكب بمعنى فلسفة الوسطية ودورها وأهميتها فيقول عليه السلام بخصوص ذلك (وَ نَظَمَ بِلاَ تَعْلِيْقِ رَهْوَاتِ فُرْجِهَا، وَ لَاحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا، وَ وَشَّحَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ أَرْوَاجِهَا، وَ دَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ، وَ الصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُرُوتَةً مِعْرَاجِهَا...) ^(١) .

فالوسطية في هذا النص وكما قلنا فيما سبق تتمثل في الجاذبية بين الأجرام وأمثالها إلا أنّ الإمام علي عليه السلام أشار إلى الجاذبية إشارة معنوية وليست مادية فيفهم من قوله عليه السلام كأنما شبك بالأرطة بين كل جرم وأمثالها وهذا الفهم الذي كان عليه اغلب الشارحين إذ رأوا أنّ المقصد من كلام الإمام عليه السلام انه شبك وربط كل قرين وكل جرم سماوي لنفسه ^(٢) وهذا الفهم صحيح لكنه فهم مادي ولم يذهبوا إلى ابعده من هذا فما هي هذه الأرطة ؟ وماذا تمثل؟، فيما عدا محمد عبده الذي حاول الخروج عن اطار الشارحين وقال انه عنى بالروابط بين كل جرم وآخر الماسكة

^١ - نهج البلاغة ، ص ١٧٣-١٧٤ .

^٢ - ينظر: الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣٨٨/١ ؛ كيزري بيهقي ، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٤٥٨/١ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٣٤٦/٢ ؛ السرخسي ، اعلام نهج البلاغة ، ص ٩٠ ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ١٤٤ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٥٤/٢ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٧٤/٢ .

المعنوية العامة وهي اعظم المظاهر لقدرته^(١) وهي التفاته موفقة، إلا أنّ الفهم الكامل لمقصد الإمام عليه السلام تمثل براي محمد جواد مغنية الذي قال أنّ هناك تجاذباً وتماسكاً بين الكواكب على ما بينها من البعد^(٢) ، وليس من الغريب أنّ نتبنى رأي محمد جواد مغنية لأنه الأكثر مطابقة لمقصد الإمام علي عليه السلام وقد أثبت العلم الحديث ذلك وهو مسألة الجاذبية بين الكواكب^(٣) ، مع إضافة مهمة لم يشر اليها مغنية وهي أنّ الجاذبية هنا هي الوسط بين كل جرم وآخر وأهميتها في بقاء الكواكب قائمة في الجو . ومما مر يمكن تجسيد المفهوم العلمي للأفكار الوسطية بهذا الخصوص بما يأتي :

١- عدم إشارة الإمام علي عليه السلام للوسطية بالمعنى المادي وإنما المعنوي مما يدل على الوسطية التي تمثلت بين كل جرم ومثيله .

٢- استخدم الإمام علي عليه السلام مفردات بسيطة لإيصال معنى أبعد من ذلك فأطلق التشابك والأربطة على معنى الجاذبية لمناسبة المستوى الفكري السائد وهي من باب خاطبهم على قدر عقولهم .

٣- أشار الإمام علي عليه السلام إلى مسألة في غاية الدقة والعلمية وهي أنّ التجاذب يحدث بين الأمثال والقرائن من الأجرام والأفلاك .

وفي المضمار ذاته وهو الوسطية في الجانب الفلكي نجد أنّ الإمام عليه السلام قد أشار إلى مسألة في غاية الأهمية وهي الفروج في السماء وان الملائكة سكان تلك الفروج السماوية، فهم بين الفجوات أي في وسطها ، ومصداق ذلك قوله عليه السلام : (ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ، وَ عِمَارَةِ

١ - شرح نهج البلاغة ، ١٦٥/١ .

٢ - في ظلال نهج البلاغة ، ١٧/٢ .

٣ - متولي ، وجه الأرض ، ص ٩ ؛ علي ، جغرافية البحار والمحيطات ، ص ١٥١ ؛ جابر ، الفكر الاختباري في نهج البلاغة ، ص ١١٥ .

الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ، خَلَقًا بَدِيعًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ، وَ مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا^(١)، وَ حَسَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا [أجوابها]، وَ بَيَّنَّ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ^(٢) زَجْلَ الْمُسَبِّحِينَ، مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدْسِ، وَ سُنُرَاتِ الْحُجُبِ، وَ سُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ، وَ وَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ [الزجيج] الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبْحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَن بُلُوعِهَا، فَتَقِفُ حَاسِنَةً عَلَى حُدُودِهَا^(٣)، فَاَلْمَلَائِكَةُ تَوْسَطُوا هَذِهِ الْفُرُوجَ الْمَادِيَةَ لِمَقَامِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ وَهُوَ أَمْرٌ فَعَلِيٌّ وَلَكِنَّهُ جَاءَ بِسَبَبِ أَمْرٍ مَعْنَوِيٍّ لِأَنَّهُمْ مِيزُوا بِالتَّسْبِيحِ وَهُوَ الْمَسَارُ التَّكَامِلِيُّ الَّذِي سَارَ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ لِهَذَا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَمَرَ بِهِمُ السَّمَاءَ أَيْ أَسْكَنَهُمْ هَذَا الْمَقَامَ وَهُوَ أَمْرٌ لَا يَخْتَصُّ بِهِ الْمَسْتَقَرُّ مَادِيًّا فِي طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ السَّمَاءِ وَإِنَّمَا الْمَتَوَسِّطُ هُوَ الْمَسْبُوحُ الَّذِي حَصَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْمَقَامَ لِكَمَالِ عِبَادَتِهِمْ كَمَا أَنَّ كَمَالَ الرَّجُلِ فِي رَفْعِ صَوْتِهِ بِالتَّضَرُّعِ وَالتَّسْبِيحِ^(٤) . وَنَخْلُصُ إِلَى نَتِيجَةٍ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَوْسَطُوا تِلْكَ الْفُرُوجَ لِمَقَامِهِمْ الَّذِي وَصَلُوا إِلَيْهِ، وَإِنَّ تِلْكَ الْفُرُوجَ بِمِثَابَةِ مَحَارِيبٍ تَخْرُجُ مِنْهَا التَّسَابِيحُ وَالصَّلَوَاتُ وَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْمَلَائِكَةِ^(٥) .

ومما تقدم وكأن الإمام عليه السلام أراد تحديد المقياس العلمي للعابد سواء كان من الملائكة أم من البشر، هذا المقياس يستند الى التسبيح ، و أنَّ الكمال في عبادة الملائكة هو الذي كان وراء مقامهم الذي وصلوا إليه ومن هنا جاء توسطهم تلك الفروج ونظامها بوجودهم وجعلهم مدبرين لها، ويبدو كلام الإمام عليه السلام للوهلة الأولى ديني بحت لكن البعد العلمي والإشارة العلمية حاضرة

١ - الفج الطريق الواسع بين جبلين ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٣٩/٢ ؛ أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح، ص ٢٥٥ .

٢ - الفرج : الخلل بين الشيئين ، فرجة الحائط وما أشبهه ، يقال : بينهما فرجة أي انفراج ، ابن منظور ، لسان العرب ٣٤١/٢ .

٣ - نهج البلاغة ، ص ١٧٥-١٧٦ .

٤ - البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٣٥٤/٢-٣٥٥ .

٥ - الشوبكي ، الفاظ الفلك والهيئة في نهج البلاغة ، ص ١٢٩-١٣٠ .

فيه والتمثلة بسكن الملائكة للسماء أو الكواكب لاسيما وان هناك روايات عن أهل البيت عليهم السلام حول سكان الكواكب^(١).

و يمكن الخروج بمسألة مهمة أشار إليها الإمام علي عليه السلام وهي مع ارتفاع أصوات الملائكة بالتسبيح والتضرع حيث وصفه الإمام عليه السلام بأنه صوت تستك منه الأسماع لكن عدم إمكانية الإنسان سماع تلك الأصوات لأنه لا توجد عنده الإمكانيات المادية والمعنوية .

وليس بالضرورة أن تكون (عمارة الصفيح الأعلى) بالعبادة هي عمارة مادية بل الجانب المعنوي يمثل العنصر البارز، وكل هذه الأمور تؤكد السعة والإحاطة العلمية للإمام علي عليه السلام فيما يخص عالم الملكوت ، وهذا جزء من مؤهلات خليفة الله في الأرض .

و يشير الإمام عليه السلام إلى مفهوم آخر عن وسطية علمية مادية وارتباطاتها بجانب معنوي، وهي مسأله الفتق^(٢) الذي حدث في السموات، فيضع الإمام عليه السلام تفسيره الدقيق لذلك وهو حدوث الفتق فعلاً بين السموات وهو الجانب الوسطي من الموضوع لكن من دون شك ارتباط تلك الوسطية بجانب معنوي وهو ما جسده في قوله عليه السلام (ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مِنْهُنَّ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَ رُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَ صَافُونَ لَا يَنْزَالُونَ، وَ مُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ، لَا يَعْشَاهُمْ نَوْمُ الْعِيُونِ، وَ لَا سَهُوُ الْعُقُولِ، وَ لَا فَنْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَ لَا عَفْلَةُ النَّسْيَانِ)^(٣)، فالفتق هو المتوسط أو الوسط بين السماوات وهو أمر مادي حدث فعلاً بعد خلق السماء مرتبط بأمور معنوية لكي تكون تلك السماوات أماكن سكن للملائكة على حسب اختلافها في الوظائف والعبادة، كل طبقة منها فئة معينة من الملائكة منهم دائمو السجود تعظيماً لله

١ - ينظر : المجلسي ، بحار الانوار ، ٣٢٤/٥٣-٣٢٦ ؛ جابر ، الفكر الاختباري ، ص ٨٣-٨٤ .

٢ - ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ الأنبياء / ٣٠ .

٣ - نهج البلاغة ، ص ٢٣ .

سبحانه وتعالى ومنهم الراكعون الذين لا يستقيمون للقيام فلا يخرجون عن خط العبادة المرسوم لهم ، الصنف الثالث الذين اصطفوا أمام عظمة الله لا يتزايلون يخرجون عن الاصطفاف أما القسم الرابع فهم المسبحون يسبحون لله لا يملون^(١) ، وعليه فإن ما نفهمه بحسب هذا السياق أن الوسطية أمر مادي ارتبط بأمر معنوي ، و انه اكد اختلاف المراتب والوظائف العبادية للملائكة مع عدم تأثرهم بالصفات والعوامل البشرية من نوم العيون، وسهو العقول، تعب الأبدان وفتورها والنسيان .

ولم يخلُ تراث الإمام عليه السلام الثر من الإشارة إلى الوسطية في الناحية البيولوجية والفسولوجية لجسم الإنسان، إلا أن طرحه ليس طرْحاً مباشراً وإنما تجلّى في بعض الإشارات أو الأوصاف الشخصية ومع هذا وذلك فإن الإشارة العلمية والمسار الوسطي فيها حاضرة وبقوة . ومصدق ذلك الكلام في قوله عليه السلام بخصوص عظمة الباري وعدم القدرة على إدراكه سبحانه وتعالى والعلة من ذلك يقول عليه السلام (الأوّل الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَ الْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ، وَ الرَّادِعُ أَنَا سِيَّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَتَّالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ، مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلَفَ مِنْهُ الْحَالُ، وَ لَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ...)^(٢) ، فالوسطية العلمية تجلت في قوله أناسي البصر وهو وسط العين وصحيح أن كلامه بخصوص عدم القدرة على إدراك الله سبحانه وتعالى لكن هناك علة من ذلك لأنه منع الوسط وهو حدقة العين من أن تتاله أو تدركه لأنها لا تدرك إلا المحدود والمنظور والله منزّه عن الجهة التي تحده وعن الجسمية وعوارضها

^١ - ينظر: كينري بيهقي ، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ١٣٥/١ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ١٥٣/١-١٥٤ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣١/١ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ، ٤٠/١-٤١ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٤/١ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٦-٤/٢ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ١٦٨ .

التي تقع تحت النظر ، ومن ثم فإن النتيجة المستفادة هي عدم قدرة الجزء المبصر في العين أو الوسط منها إن يرى صورة الله تعالى سبحانه وتعالى^(١) والمحصلة من ذلك أن وسط العين أو الحدقة هي الجزء المسؤول عن الرؤية وتكوين الصور واستقبال الضوء^(٢) .

ومنها ما ورد في إشارات أخرى ذكرها الإمام عليه السلام في معرض حديثه عن الأنبياء وعن النبي محمد عليه السلام خصوصاً هو إعراضه عن الدنيا والتي كان مسار الوسطية العلمية حاضرة فيها وبقوة إذ قال عليه السلام (فَتَأْسُ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَأَ لِمَنْ تَأْسَى، وَ عَزَاءً لِمَنْ تَعَزَى. وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأْسِي بِنَبِيِّهِ، وَ الْمُفْتَنُّ لِأَثَرِهِ. قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا، وَ لَمْ يُعْرِضْهَا طَرْفًا. أَهْضَمُ أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَ أَحْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ، وَ حَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ، وَ صَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ، وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيْنَا إِلَّا حُبْنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ، وَ تَعَظَّمِيْنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ، وَ مُحَادَّةً عَنِ أَمْرِ اللَّهِ)^(٣) .

فكلامه عليه السلام في النص المتقدم وكما هو ظاهر هو الترغيب والتثبيف من ناحية وإيضاح صفات النبي عليه السلام وإعراضه عن الدنيا من ناحية أخرى لاسيما انه أهضم أهل الدنيا كشحاً أي اخمصهم خاصة وبطناً ، إلا أن الإمام عليه السلام لا يقصد ذلك فحسب فلم يكن كلامه ذا بعد واحد لاسيما وان الكشح كما اتفق الشارحون هو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي^(٤) فالكلام هادف

١ - الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٥٨ / ٢ .

٢ - ينظر: حنون ، أساسيات علم وظائف الأعضاء ، ص٧٦؛ جابر ، الفكر الاختباري ، ص١٣٥-١٣٦ .

٣ - نهج البلاغة ، ص٣٣٢-٣٣٣ .

٤ - ينظر: بيهقي خراساني ، معارج نهج البلاغة ، ص٢٦٩ ؛ كيدري بيهقي ، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ١٢/٢ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٣٤/٩ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٢٨٥/٣ ؛ شرح نهج البلاغة (الصغير) ، ص٣٣٨ ؛ السرخسي ، اعلام نهج البلاغة ، ص١٥٢ ؛ الخوئي ، الدررة النجفية ، ص١٩١ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٣٣/٢ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف

لإبراز قضية علمية وهي تشخيص منطقة تراكم الدهون أو السمنة الناتجة عن الإفراط في تناول الطعام والتي تتمثل في المنطقة ما بين الخاصرة إلى الضلع الخفي أي وسط ، ومن ثم فإن السمنة تتضح وتتكون في هذا الوسط وهي مالم تكن لدى الرسول محمد ﷺ ، وقد أثبت العلم الحديث خطورة تراكم الدهون في تلك المنطقة من الخاصرة والبطن على الصحة لان وظيفة الخلايا الدهنية في منطقة البطن لها طبيعة خاصة إذ تعمل على إفراز معدلات سكر الجلوكوز وهرمون الأنسولين في الدم وكلاهما يؤدي دوراً رئيساً في الإسراع بتصلب الشرايين^(١) .

وبخصوص آراء الشارحين فأنهم اجمعوا في كلامهم على أن الإمام العلي عليه السلام يقصد من كلامه عزوف النبي ﷺ عن الدنيا وعدم الالتفات إلى نعيمها والتمتع بطيباتها فهو ﷺ أشدهم جوعاً واقلمهم شعباً^(٢) ، وكلامهم هذا صحيح لا إشكال فيه، لكن ربما أن الإمام العلي عليه السلام لا يقصد ذلك فحسب وإنما أشار إلى مناطق تجمع الدهون نتيجة الإفراط في تناول الطعام كما قلنا فيما سبق بدليل تحديده الجزء المعني بالكلام وهو الكشح الذي بين الخاصرة إلى الضلع الخفي وقد أثبت العلم المخاطر المترتبة على تجمع الدهون أو السمنة في الخصر وان زيادة عرض الخصر يكون مؤشراً لمشاكل صحية^(٣) .

ولم يهمل الإمام علي عليه السلام أيضاً الإشارة إلى الأمراض التي تصيب الإنسان نتيجة الاسراف أو التفريط في تناول الطعام وما ينتج عنه من مردود سلبي لان امتلاء المعدة بالطعام ينتج عنه

من بحار الأنوار ، ١١٦/٢ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٥-١٦/١٥ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٧٤/٢ الخوئي ، ٣٧٣/٩ .

^١ - يوسف ، البدانة الغذائية .. داء له دواء (الجزء الثاني) ، ص ٣-٤ .

^٢ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٣٤/٩ ؛ السرخسي ، اعلام نهج البلاغة ، ص ١٥٢ ؛

الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٣٣/٢ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣٧٣/٩ .

^٣ - ينظر : مقال اضرار السمنة على الصحة والرجولة

قلة الإفرازات وقلة الامتصاص^(١)، وان التوسط في الأكل بدون إفراط وتفریط هو الأكثر صحة للإنسان لان كليهما (الإفراط والتفریط) له مردودات سلبية على الصحة العامة يقول عليه السلام (وَإِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وَ أَنْ أَفْرَطَ بِهِ الشَّبَعُ كَطَنَّهُ الْبِطْنَةُ. فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وَ كُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ).^(٢).

فان فرط الإنسان في الأكل اشتدت به الجوع فتخار قواه ويهوى من الضعف كما أن الإسراف في الأكل أيضاً له مضاره فان تجاوز الحد كظته البطنة وهي ما يعترى الإنسان من الامتلاء من الطعام حتى يضيق النفس، فالأفراط والتفریط كلاهما مضر والفضيلة تكون في التوسط والاعتدال بدون إفراط أو تفریط وهو الدواء المفيد^(٣)، ومما تقدم يمكن الخروج بالآتي :

١- توضيح الإمام عليه السلام فلسفة الوسطية بشكل عام وفي النظام الغذائي للإنسان بشكل خاص والأهمية منها .

٢- النتيجة الحتمية للخروج عن حد الاعتدال والاستقامة وهو الخلل والفساد سواء على الصحة أم بإطار عام .

^١ - ينظر :

Davidson. Principles and practice of medicine. P . 630.

وينظر أيضا : هارولد . هاربر ، الكيمياء الفلسفية ، ٥٢٠/١ ؛ جابر ، الفكر الاختباري ، ص٢٦٠-٢٦١ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص٧٤٣-٧٤٤ .

^٣ - ينظر: الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣٠٢/٣ ؛ كيزري بيهقي ، حقائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٦٢٨/٢ ؛ السرخسي ، اعلام نهج البلاغة ، ص٢٩٧ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٣١٢/٤ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢٨٦/٥ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٣-٥١/٣٤ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢٨٤/٤ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ١٧٥/٣ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ، ٥٦١/٣ ؛ جرداق ، روائع نهج البلاغة ، ص١٧٩ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، ١٠٠/٤ .

٣- تشخيص الأمراض التي تحدث نتيجة النظام الغذائي السيئ وطرائق الوقاية منها^(١) .

^١ - ينظر جابر ، الفكر الاختباري ، ص ٢٦١ ، ٢٨٣ .

الفصل الثاني

الممارسات التنظيمية والتوجيه

الاستراتيجي

المسارات التنظيمية والتوجيه الاستراتيجي منهج فكري يتميز بالحدثة والريادة ومن المصطلحات المعاصرة التي طرقتها الباحثون، ومع حداثة اللفظ فإن المعنى كان حاضراً في فكر الإمام علي عليه السلام ، وهو ذو أهمية قصوى لارتباطه بالعديد من المسارات الحيوية سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم عسكرية من جانب وهو ذو قيمة اعتبارية مهمة في التقدم والرقي ومن أسس التطور الحضاري من جانب آخر، وكما سنرى فإن هناك كثيراً من الأمور التي ذكرها الإمام علي عليه السلام تنظم الحياة الاجتماعية والعلاقات مع الآخرين، وتوجه الاقتصاد، وتحقق التوازن الاقتصادي فضلاً عن تنظيم أداء المؤسسة السياسية وتوجيهها وتطويرها.

المبحث الأول

المسار التنظيمي للإطار الاجتماعي وفلسفته النوعية

الاتصال بالآخر والتعايش معه من ضرورات الحياة في كل المجتمعات البشرية ، وللمدرسة الإسلامية عامة، ومدرسة البيت عليه السلام خاصة ميزة فريدة قد لا توجد في سائر المجتمعات والمدارس الأخرى والميزة هي الاهتمام بالجانب الاجتماعي وتنظيمه بما فيه من علاقات من أصغر لبنة وقاعدة وهي الأسرة إلى الجزء الأكبر وهو المجتمع فهي غير الأنظمة الأخرى تحكمها قواعد و يترتب عليها حقوق وواجبات والتزامات .

وأصبح من المنطقي القول أن نهج البلاغة لا يكاد يخلو من أي موضوع وأي جانب من الجوانب ومن ضمنها هذا الجانب ، فالإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ينظم الارتباط والسلوك الإنساني للجماعة بعضها مع البعض الآخر عن طريق قاعدة الوسطية والاعتدال والسماحة والكفاف في القيم الاجتماعية ، ليس مجرد تنظيم شكلي بل هو تنظيم أسسي وقاعدي ومنهجي ،

ووضع صيغ وأساليب محددة للتعبير عن هذه الأبعاد وإقامة البناء على هذه الأسس والقواعد لتأسيس وإظهار الإنسان الفاضل ومن ثم المجتمع الفاضل.

أن كل فرد وفي كل المجتمعات بحاجة ماسة إلى الاجتماع والتعايش، لأنه لا يمكن تلبية حاجاته والنهوض بمقوماته إلا من خلال التعايش مع الآخرين، ولكن في الوقت ذاته فإنه بحاجة إلى تنظيم هذا التعايش وبناء الوضع الروحي والتنظيمي له؛ لخلق مجتمع متحضر خلقياً وحضارياً ومتعاشياً سلمياً ومتصفاً بالقيم والثوابت لاسيما الثابت الإسلامي، وهو ما لم يرغب عن فكر أمير المؤمنين علي بن أبي العباس الذي وضع أسساً ومعاييراً تنظم العلاقات بين المجتمع، وإذا ما طبقت يتحقق التعايش السلمي وتقام علاقات صادقة بين أفرادها، فأسس للاجتماع المتقدم والمخالطة المتحضرة ليس لإدراكه طبيعة وتكوين النفس البشرية وتكوينها بل طبيعة التكوينات المجتمعية، وقد أثبتت الأزمات الخلقية التي تتعرض لها الأنظمة والمجتمعات منذ زمن الإمام العباسي وحتى الآن ضرورة طرحها واعتمادها لمواجهة هذه الانحرافات والتطرفات، ولعل أول تلك المبادئ والمعايير الناحية المسلكية من شخصية الإنسان وطريقة العدل والإنصاف عن طريق جعل الذات هي الوسط بين الإنسان والآخر بمعنى جعل القوى المعنوية هي الوسط والميزان في التعامل حتى يتحقق التعايش الاجتماعي وتتنزع الأنانية والتسلط، وهو ليس طرحاً اعتباطياً بل منهجاً إسلامياً طرحه الرسول محمد (ﷺ) وجعله من أساسيات الإيمان بالله تعالى حينما قال ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))^(١).

ويقول الإمام علي العباسي في وصيته للإمام الحسن العباسي في هذا المعنى (يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَ اكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَ لَا

^١ - الدارمي، سنن الدارمي، ٣٠٧/٢؛ البخاري، صحيح البخاري، ٩/١.

تَظَلِّمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظَلَّمَ، وَ أَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَ اسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ
مِنْ غَيْرِكَ، وَ ارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَ لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَ أَنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ،
وَ لَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ^(١) .

فالقاعدة الأخلاقية السلوكية أن تكون الذات وسطاً بين الإنسان والإنسان الآخر وفلسفتها
النوعية لتحقيق العدل والإنصاف إذا وضع الإنسان نفسه وسطاً بينه وبين غيره فيعطي الاثنين
بالتساوي ومثلما هو معروف أن الإنسان يحب ذاته لكن إذا تخلص من تلك الصفة وهي الأنا
فيحب لغيره ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها لا يظلم مثلما لا يحب أن يظلم فيسلم من رذيلة
الظلم ، وان يحب إلى الغير كما يحب أن يحسن إليه ويستقبح من نفسه ما يستقبح من غيره
فينزجر عن جميع مناهي الله ، يرضى من الناس ما يرضى لهم من نفسه سواء خير أم شر ، ولا
يقول ما لا يعلم لئلا ينسب إلى الجهل فيضل ويضل^(٢) ، فتكون النتيجة الاستقامة في المجتمع
بل وخلق المجتمع الفاضل؛ لان كل المشاكل المجتمعية تنشأ بسبب الذاتية والأنانية .

إذن الفلسفة من جعل النفس وسطاً لتحقيق العدل الإنساني فالإيجابي بالنسبة له إيجابي
لهم والسلبى له سلبى لهم ، و انه بالعمل وفق هذه القاعدة ومنهج وسطية النفس ترسخ قواعد
الإحسان وتقمع جذور الظلم وتنتزع صفات الأنانية والظلم والتسلط والحسد؛ لان الإنسان مجبول
على حب ذاته فإذا تخلص من ذلك تخلص من كل تلك الصفات السلبية ، هذا إلى جانب
إمكانية عد تلك القاعدة من قواعد علم الاجتماع إذ عمل بها الإنسان فانه يتحول إلى شخصية
جذابة اجتماعياً وإنشاء شبكة من العلاقات السليمة الحسنة ، ويمكن القول أيضاً أن الوسطية هنا

^١ - نهج البلاغة ، ص ٥٩٩ - ٦٠٠ .

^٢ - ينظر : البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٢٨/٥-٢٩ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٥٩/٤ ؛
الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣١٦/٤-٣١٨ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢٧-٣٩/٢٨ .

تحمل منظومة اجتماعية متكاملة لضبط السلوك الفردي تجاه الجماعة، مع العلم أنّ الكلام موجه إلى الإمام الحسن عليه السلام لكن المقصود به غيره .

وبذلك فإن الإمام عليه السلام نظم الحياة الاجتماعية وأعطى المبدأ والقاعدة الأولى التي يجب أن يعمل بها الإنسان لتحقيق العدل الاجتماعي وهي أن يحصل التغيير من نفس الإنسان ونوازعها وسلوكها فيجعلها هي الوسط فاذا حكم نفسه وأصلح سريرته فإن ذلك مدعاة للتغيير والتطور ، و أنّ سوء الضمائر وخبثها أيضاً مدعاة للتفرق والتأخر وهي الحالة العكسية التي وضحها الإمام علي عليه السلام في خطبة له في ذم الدنيا (وَ إِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرِ، وَ سُوءُ الضَّمَائِرِ . فَلَا تَوَازُرُونَ [تأزرون] وَ لَا تَتَّصِحُونَ، وَ لَا تَبَادُلُونَ وَ لَا تَوَادُّونَ) ^(١) ،

فخبث السرائر وسوء الضمائر هنا الوسط بين الإنسان والإنسان الآخر، أو بين المجتمع والآخر ، أو الطائفة والطائفة الأخرى ، وهذا الوسط السلبي حل محل الوسط الإيجابي وهو دين الله وبدل أنّ تتوحد الجهود والأهداف وتتلاقى الأفكار وتتكاتف الأيدي تحدث التفرقة لان الوسط هنا حب الأنا ومن ذلك ارتفعت آثار التآخي والمودة ولوازم المحبة وظهرت نتيجة ذلك السلبية فلا يعين أحد الآخر ولا ينصحه ولا يبذل له كل ما يحتاج ^(٢) .

وبملاحظة النص المتقدم نجد أنّ الإمام علي عليه السلام طرح طرْحاً جديداً للوسطية ، لأنه كما عرفنا هي لا زيادة ولا نقصان إنما وسط بينهما بحيث يؤدي إلى الاستقامة والعدل لكن الأمر هنا

^١ - نهج البلاغة ، ص ٢٤٤ .

^٢ - ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٤٨/٧ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢٨٤/٢ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢١١/٢-٢١٢ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ١٨٠/٢-١٨١ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٤٧/٨ .

عكسي تماماً فالوسط هنا يؤدي إلى الانحراف والتفرقة، وفلسفة ذلك كما بينها أمير المؤمنين عليه السلام؛ هنا فساد السرائر وخبث الضمائر ليست أصيلة في ذات الإنسان وإنما طارئة حلت محل الوسط الأساسي الأصيل وهي الفضيلة.

ومن هذا المنطلق نجد أن الإمام عليه السلام فعل معيار الخير والقيم الخلقية للإنسان بانتهاج الوسطية وفلسفتها في الآثار الإيجابية مع العلم أن الآثار لا تقع على المجتمع فحسب وإنما على الشخص ذاته بظهور مشاكل يخلقها الإنسان للإنسان الآخر مثلما في التعبير القرآني ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾^(١)، لكن الإمام علي عليه السلام عالج هذه المسألة من قعرها عندما جعل النفس هي الوسط للتخلص من مرض تسويل النفس ونتائجها المتمثلة بخبث السرائر وسوء الضمائر حقداً وحسداً وتكبراً، ثم انتقل عليه السلام إلى مسألة ومعيار آخر لا يقل أهمية عن المعيار الأول في تنظيم الإطار الاجتماعي والارتقاء به، وهي مسألة العلاقات الاجتماعية والالتزان العاطفي فيها ومنهج وأسلوب المخالطة ووضع الضوابط والقواعد بحيث تؤدي إلى تكون علاقات ودية معتدلة متزنة بين الآخرين دون مغالاة، لا إفراط في الحب ولا تفريط في الحقد فقال عليه السلام في ذلك (خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً أَنْ مِنْكُمْ مَعَهَا بَكْوًا عَلَيْكُمْ، وَ أَنْ عَشْتُمْ [غَبْتُمْ] حَنُوا إِلَيْكُمْ)^(٢).

هنا نظم الإمام علي عليه السلام العلاقات الاجتماعية بوضع القاعدة والمعيار وهي الوسطية في الزيارات واللقاءات فلا مبالغة في العلاقات واللقاءات فتؤدي إلى ملل وعدم الاشتياق فيصبح وجوده وعدمه واحداً، ولا تقصير بالانقطاع التام وإنما التوسط في ذلك، ونتائج تلك الوسطية وآثارها إذ عاش الشخص حنوا إليه وافتقده ويحنوا عنه واشتاقوا إلى رؤيته وإذا مات فأنهم يحزنون لفقدانه، بحيث أن المخالطة والمعاشرة يكون لها هدف ومضمون حقيقي، وهو الحب

^١ - يوسف/٨٣ .

^٢ - نهج البلاغة، ص ٧١٩ .

والود؛ لأنَّ الزيارة والمخالطة لها ذلك الشأن الخاص في العلاقات الاجتماعية وذلك الدور في حسن الخلق^(١).

وقد أصاب الشارحون في القول أنَّ كلام الإمام عليه السلام بيان لحسن المعاشرة مع الناس والسيرة الحسنة مع المجتمع والانتفاع بها بالحنان إليه في حياته والبكاء عليه بعد وفاته، لأنه عاشهم معاشرة حسنة فالقصد أنَّ تكون المخالطة ودية على قصد الإعانة للناس وجلب قلوبهم فيشتاقون له في حياته^(٢) ووجوده بينهم ويكون عليه عند فقدانه^(٣)، لكن مع ذلك الفهم والإصابة في القول لم يشيروا إلى السبب المهم والقاعدة التي أدت إلى هذه النتيجة وهي الوسطية في العلاقات والمخالطة الاجتماعية لا مبالغة ولا تقصير بدليل مع وجوده بينهم يشاقون له ويحنون إليه وعند موته يفتقدونه .

^١ - الحكيم ، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ، ٨٩/٢-٩٠ .

^٢ - وهناك شواهد تاريخية من سيرة النبي صلى الله عليه وآله واشتياق الناس له وهو موجود بينهم وبكائهم عليه عند فقدانه ومنهم ثوبان مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد كان شديد الحب له قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يا ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير إنني إذا لم أرك اشتقت إليك فاستوحشت وحشة شديدة حتى ألتاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك هنالك لأنني أعرف أنك ترفع مع النبيين وإني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ١٧٤/١١ فاستوحش ثوبان حبيبة واشتاق له وهو موجود بينهم وبكت عليه امرأه بعد وفاته حتى ماتت ، القاضي عياض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ٢٣/٢ .

^٣ - ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٠٧/١٨ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٢٤٤/٥ ؛ الارديلي ، ترجمة نهج البلاغة ، ص٣٤٣ (فارسي) ؛ الكاشاني ، تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين ، ٥٧٩/٢ (فارسي) ؛ الخوانساري ، شرح غرر الحكم ودرر الكلم ، ٤٥٢/٣ (فارسي) ؛ الانصاري ، ترجمة غرر الحكم ودرر الكلم (فارسي) ٣٩٧/١ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢٥/٢١ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢١٤/٥ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣١-٨٦/٣٢ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٦٤/٤ ، مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢٢٣/٤ .

بالمحصلة النهائية أن الوسطية في العلاقة مع الناس ومخالطتهم تضمن الاستمرارية المقترنة بالحب والمودة وهو ما يمكن أن نسميه النجاح والمداومة في العلاقة، مع العلم أن هذا المسار التنظيمي قد يكون الإمام عليه السلام شمل به العلاقات الاجتماعية البعيدة أو بتعبير آخر العلاقات العامة بدليل انه أعطى تنظيمياً آخر للعلاقات القريبة والخاصة جداً الذي لا يبتعد عن الوسطية والاعتدال. سواء في العلاقات الإيجابية أم عندما تأخذ بعداً سلبياً مثل العداوة والبغض فيقول عليه السلام (أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَ أَبْغَضُ بَغِيضِكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا) ^(١) .

وبذلك فقد أعطى مساراً تنظيمياً للعلاقات والعواطف بأسلوب التعقل أو ما يمكن أن نطلق عليه عقلنة العاطفة دون مغالاة؛ لان الحب والكره معروف بعدم التوازن وهو ما دعا الإمام عليه السلام إلى أن ينشد الوسطية التنظيمية والاعتدال في الحب والبغض دون المغالاة فيهما والفلسفة من ذلك لما في الإسراف والمغالاة من المفسدة، لان الحبيب يمكن أن ينقلب إلى عدو في يوم من الأيام والعدو يمكن أن يتحول إلى صديق فلا يقطع جميع الخيوط بل لتكن العداوة بقدر بحيث لو رجع إلى الصواب أمكن الرجوع دون تأسف أو أسى على ما مضى من كلام سخيّف أو بذيء بالمعنى الأدق حسب حساباً للمستقبل لان الموقف يمكن أن يتغير فينقلب الحبيب عدواً وينقلب العدو فيصبح حبيباً ، والوسطية والاعتدال هو أضمن وأنجح أسلوب في العلاقات دون سلبيات ومضار ^(٢) ، ولعل تنظيم الإمام علي عليه السلام للعاطفة وفق هذه القاعدة فيه أبعاد عدة يمكن دراستها كما يأتي :

^١ - نهج البلاغة ، ص ٧٨٨ .

^٢ - ينظر : بيهقي خراساني ، معارج نهج البلاغة ، ص ٤٤٤ ؛ كيزري بيهقي ، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٦٧٦/٢ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٥٦/١٩ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة ،

١- **البعد الصحي النفسي** : المغالاة في الحب ومن ثم فقدانه أو تحوله إلى عداوة قد يؤدي إلى انتكاسات في العاطفة أو قد يؤثر أثراً نفسياً في الإنسان لكن الوسطية والاعتدال في الحب يمنع ذلك ، وهناك قول للإمام الصادق عليه السلام في المعنى نفسه قال عليه السلام (لا تثق بأخيك كل الثقة فإن سرعة الاسترسال لن تستقال)^(١) .

٢- **البعد المستقبلي** : كما أنّ الوسطية في الحب والبغض فيها بعد مستقبلي وهو مراعاة تحول وتقلب العاطفة في بعض الأوقات أو الأزمنة؛ لان كل علاقة اجتماعية لا يمكن أنّ تستمر على وتيرة واحدة قد لا تكون في ذات الجيل وإنما في الأجيال القادمة ، والاعتدال دون المغالاة ينظم العلاقة المستقبلية وما قد تتعرض له سواء حب أم بغض مثلما جاء في قوله تعالى ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) .

٣- **البعد الوقائي** : الوسطية في العلاقات ذات بعد وقائي أيضاً وتتمثل بتوخي الدقة والحذر وعدم الاطلاع على كل الأسرار؛ لأن الصديق أو الحبيب يمكن أن يتحول إلى عدو، وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام (لا تطلع صديقك من شرك إلا على ما لو اطلع عليه عدوك لم يضرك ، فإن الصديق قد يكون عدوا يوماً ما)^(٣) .

٣٧٩/٥-٣٨٠ ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص٣٧٦ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٤١٢/٥-٤١٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٥-٣٦/٥٩ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٣٩٤/٤-٣٩٥ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٢١٧/٣ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٣٧٩/٤ ؛ المحمودي ، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ، ١٩٧/١ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، ٢١٦/٣-٢١٧ ؛ محمد ، نهج الحياة ، ص٧٢ .

^١ - الكليني ، الكافي ، ٦٧٢/٢ ؛ الصدوق ، الامالي ، ص٧٦٧ .

^٢ الممتحنة / ٧ .

^٣ - الصدوق ، الامالي ، ٧٦٧ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٣٨٨ .

وعلى ما يبدو أنّ ما تقدم ليس الجانب الإصلاحي الوحيد في النظام الاجتماعي وإنما هناك مسارات تنظيمية آخر في الاطار الاجتماعي نظمها الإمام علي عليه السلام تتعلق بالدرجة الأساس ببناء شخصية الإنسان بالقدر الذي لا يؤدي إلى التطرف أو الغلو في الأسلوب الشخصي والسلوكي للإنسان مع الآخرين ، مع التأكيد على مبدأ اللباقة ودمائة الخلق والمحافظة على المعايير القيمية والمبادئ الأخلاقية، كأسلوب الثناء على الناس ومدحهم الذي نظمه الإمام عليه السلام وفق منهج الوسطية والاعتدال لأجل أنّ لا يخرج التقويم الموضوعي عن موضوعيته فقال عليه السلام (الثَّنَاءُ بِأَكْثَرٍ مِنَ الْإِسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ، وَ النَّقْصِيرُ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ)^(١) .

فالمدح والأطناب أكثر من الاستحقاق فيه تملق والتقصير والتهاون عي أو حسد لمقام الممدوح فالزيادة أو النقصان خروج عن حد الاعتدال إلى احد طرفي اليمين والشمال لان الزيادة تتحول إلى رياء من اجل اكتساب ود الممدوح والتقصير لا يؤدي الثناء حقه فالصراع نفسي في التقصير وهو الحسد يمنع من إظهار الثناء، أو العجز وكلتا الحالتين عيب في المثني والمادح^(٢). والتوسط والاعتدال في ذلك هو المطلوب .

إنّ تحديد الضوابط والمحددات، إنما جاء لخلق التوازن الاجتماعي وهذه تقوم على الثناء المعتدل وهو المطلوب ، والفلسفة من ذلك لكي لا يخرج المدح أو الثناء عن حقيقته وهدفه ولا يؤدي بالمادح إلى الكذب المؤدي إلى الأعجاب والتكبر ولا ننسى أنّ ما ذكره الإمام علي عليه السلام

^١ - نهج البلاغة ، ص ٨٠٥ .

^٢ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٦٢/١٩ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٥/٤١٢ ؛ شرح نهج البلاغة (الصغير) ، ص ٦٥٧ ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ٣٨٢ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٥/٤٥٩ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤/٤٢٧ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢١/٤٣١ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤/٤١٩ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٧-٣٨/١٠ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، ٤/٢٦١ .

عن الملق هو تعريف للمتملق وصفاته بقول ما لا يوجد ، وأيضاً توضيح للذي يعاني من الأمراض النفسية كالحسد .

إنَّ قوله عليه السلام بمثابة تنظيم وتحذير في الوقت نفسه لأنَّ التملق صفة مذمومة؛ لأنَّ فيها تصغير النفس وإذلالها، لكن الأمر مختلف حين يكون مع الذات الإلهية لذلك قال الإمام زين العابدين عليه السلام (فوعزتكم يا سيدي لو انتهرتني ما برحت من بابك ، ولا كففت عن تملقك لما انتهى إلي من المعرفة بجودك وكرمك)^(١).

وبذلك يمكننا الرجوع إلى ما سبق من القول أنَّ الإمام علي عليه السلام لا يريد أن يجعل شخصية الإنسان شخصية مغالية مسرفة لما في ذلك من آثار سلبية، بل نظم ذلك لأجل أن يرفعه من حدوده النسبية المغالية والمسرفة إلى وضع آخر، إنسان معتدل وذلك الهدف وتلك الفلسفة من الإنسان المعتدل هو الهدف الواقعي والمثل السامي الأصيل في الايدولوجية الإسلامية، وتُعدُّ إحدى أبعاد التكامل الذاتي في حركة الإنسان نحو الله تعالى مع العلم أنَّ اكتمال هذا البعد لا يتم إلا بضبط وتنظيم العواطف والانفعالات النفسية والعدوانية لبناء شخصية سليمة مستقيمة لا إفراط فيها ولا تفريط ومنسجمة مع العقل وحكم الشرع ولتحقيق المصلحة النهائية للإنسان^(٢) ، روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : (من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا اشتهى وإذا غضب وإذا رضي حرم الله جسده على النار)^(٣) ، إذا اعتدل الإنسان في مشاعرة وانفعالاته واحتياجاته وصل

١ - الصحيفة السجادية ، ص ٢١٩ ؛ وينظر: الطوسي ، مصباح المتعبد ، ص ٥٨٥ ؛ ابن طاووس ، اقبال الاعمال ، ١/١٦١ .

٢ - الحكيم ، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ، ١/٥٠٦-٥٠٧ .

٣ - الصدوق ، الامالي ، ص ٤٠٨ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٦٨/٣٥٨ .

إلى مرحلة أقرب للكمال ، وفي حديث آخر قال عليه السلام (إنما المؤمن الذي إذا غضب لم يخرج غضبه من حق ، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، وإذا قدر لم يأخذ أكثر مما له)^(١) .

فقال الإمام علي عليه السلام بهذا الصدد (مَنْ بَالَعَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَّ، وَ مَنْ قَصَرَ فِيهَا ظَلِمَ، وَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مَنْ خَاصَمَ)^(٢) ، هنا يبين الإمام علي عليه السلام طرفي الإفراط والتفريط والوسطية والفلسفة منها فالاعتدال في الخصومة هو المطلوب لان المبالغة في المخاصمة اثم والتقصير فيها ظلم ، أي في الاسراف أو التفريط تعدي الحدود الشرعية وتعطيلها وتجاوز الحلال إلى الحرام لكن في الاعتدال تجاوز ذلك، ومع كل ذلك لابد من ترك الخصومة لصعوبة التقوى عند المخاصمة^(٣) .

وبذلك فان الإمام عليه السلام استطاع أن يحتضن الأفكار المجهضة في التعامل في مسار تنظيمي ويجعلها أكثر تطوراً ورقياً فالإثم والظلم جزآن لتدمير الإنسان والوسط بينهما يتحقق فيه النجاة .

١ - الكليني ، الكافي ، ٢٣٣/٢ ؛ الكاشاني ، الوافي ، ١٦١/٤ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٣٠٣/٦٤ .

٢ - نهج البلاغة ، ص ٧٩٦ .

٣ - ينظر : البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٣٩٥/٥ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٤٣٣/٥ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٥-٨١/٣٦ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٠٩/٤ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤٩٧/٤ .

المبحث الثاني

مسار الاستراتيجية الاقتصادية والتنظيم التنموي الكسبي

لا مناص من الاعتراف أنّ المسار الاقتصادي يبقى الركيزة الأساسية في عملية تحول وانقلاب المجتمعات ومادام المستوى الاقتصادي متعلقاً بتوازن المجتمع وحفظه فلا يجوز بناءه بناءً مصلحياً أو طبقياً أنّ صح القول، لذلك فإن الفلسفة الاقتصادية الإسلامية راعت ذلك فهي مشروع حضاري عالمي وتجربة اقتصادية ناجحة، فلم تسمح بالعثور على بؤرة في فلسفتها لتعديلها وإعادة طرحها من جديد ، بل إنّ فلسفتها محبوكة اقتصادياً مرصعة أخلاقياً أساسها الاعتدال والوسطية فتجد مثلاً أنّ القرآن الكريم طرح ذلك طرحاً علنياً لا يحتاج إلى تفسير أو تأويل في قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(١) ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٢) ، فكأنما أسس لمشروع ومنهج اسمه الاتزان والاعتدال الاقتصادي بدون إفراط أو تفريط بخل أو إسراف وتبذير، ولو أسىء التصرف أو تجاوز حد الاعتدال تكون العاقبة الوخيمة والنتيجة السلبية والعكسية للاعتدال ، مع العلم أنّ الإسراف والتقتير يؤديان إلى النتيجة نفسها والاتجاه والحل الأسلم مع ذلك هو المنزلة بين الأمرين وهي الوسطية والاعتدال.

ولم يختلف المسار الاقتصادي عند الإمام علي عليه السلام عن القرآن والسنة بل أنّ الإمام عليه السلام قد استثمر ذلك لمعالجة الإشكالات والانحرافات الاقتصادية التي حدثت في زمن الحكام قبل

١ - الإسراء/٣٩ .

٢ - الفرقان/٦٧ .

الإمام (١) عليه السلام أو في بعدها المستقبلي متخذاً الوسطية منهاجاً ومساراً سواء في الكسب أم الإنفاق المالي .

الاستراتيجية السياسية وأبعادها الاقتصادية

وضع الإمام علي عليه السلام مساراً استراتيجياً للحفاظ على الثروة الاقتصادية وديمومتها ، إذ إنَّ خطب الإمام عليه السلام ووصاياه قد أخذت في الظاهر الطابع السياسي والتغيرات الإصلاحية الجذرية التي أحدثتها عند توليه الخلافة ومن ضمنها الموارد المالية للدولة كالزكاة وجبايتها، لكنها في الحقيقة هي الطريقة ومسار الاستراتيجية السياسية الذي نظمه الإمام عليه السلام للحفاظ على الثروة الاقتصادية وأدارتها أولوياتها عن طريق المسار والسياسة المتبعة في استحصالها وهي سياسة الوسطية والاعتدال دون إفراط أو تفريط لين أو شدة سواء في زمن الإمام عليه السلام أم في البعد المستقبلي .

١ - حدث خلل في البنية الاقتصادية خلال مدة حكم الحكام الاوائل إذ ساد التمايز الطبقي، وظهر التضخم المالي فاصبح قسم من الناس في خانة المترفين والأغنياء فامتلكوا ثروات كبيرة وعقارات ومشاريع إنتاجية لمصالحهم الخاصة في مقابل الفئة الأخرى من الناس كانوا في خانة الفقراء والمحتاجين فعهد الإمام عليه السلام لإصلاح هذا الانحراف في البنية الاقتصادية وعلن عن مشروع المساواة منذ اليوم الأول من تولية الخلافة فقال: (ألا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا ، فاتخذوا العقار ، وفجروا الأنهار ، وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الروقة ، فصار ذلك عليهم عارا وشنارا أن لم يغفر لهم الغفار ، إذا منعوا ما كانوا فيه ، وصيروا إلى حقوقهم التي يعلمون ، يقولون : حرمنا ابن أبي طالب ، وظلمنا حقوقنا ، ونستعين بالله ونستغفره ، وأما من كان له فضل وسابقة منكم ، فإنما أجره فيه على الله ، فمن استجاب لله ولرسوله ودخل في ديننا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده . فأنتم أيها الناس ، عباد الله المسلمون ، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية ، وليس لأحد على أحد فضل إلا بالنقوى ، وللمتقين عند الله خير الجزاء وأفضل الثواب ، لم يجعل الله الدنيا للمتقين جزاء ، وما عند الله خير للأبرار ، إذا كان غدا فاعدوا ، فإن عندنا ما لا اجتمع ، فلا يتخلفن أحد كان في عطاء ، أو لم يكن إذا كان مسلماً حراً ، احضروا رحمكم الله) ، الطوسي، الامالي ، ص ٧٢٩ .

فيقول عليه السلام للفريق المتولي في جمعها (انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، و لا تروعن مسلماً و لا تجتازن [احتازن] عليه كارهاً، و لا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة و الوقار؛ حتى تقوم بينهم فنسلم عليهم و لا نخدج^(١) بالتحية لهم، ثم تقول: عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله و خليفته، لأخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه؟ فإن قال قائل: لا، فلا تراجع، و أن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه أو تزهفه، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة، فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه، فإن أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط [متسلط] عليه و لا عنيف به.)^(٢).

فقول الإمام علي عليه السلام في النص المتقدم فسلم عليهم ولا تخدج بالتحية لهم ولا تدخل دخول متسلط عليه ولا عنيف به، هي استراتيجية سياسية ومسار الوسطية والاعتدال الذي نظمه الإمام علي عليه السلام ليس من أجل أبعادها الاقتصادية فحسب، بل هي أيضاً جزء من مبادئ وأخلاق الإسلام فلا يدخل عليه دخول متسلط متكبر فلا يسلم عليه ولا يبخل بالتحية فيؤديها ناقصة^(٣) وإنما المنزلة بينهما، إذ بنى الإمام عليه السلام ثقافة ووعياً وهو أن تكون السياسة الاقتصادية المتبعة سياسية قائمة على الاعتدال دون مبالغة أو تقصير ومن ثم يكون المواطن على درجة

^١ - خدج و الخداج هو النقصان ، وأصل ذلك من خداج الناقة إذا ولدت ولداً ناقص الخلق ، أو غير تام . ابن منظور ، لسان العرب ، ٢/٢٤٨ .

^٢ - نهج البلاغة / ٥٧٢-٥٧٣ .

^٣ - ينظر : السرخسي ، اعلام نهج البلاغة ، ص ٢٧٣ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤/١٠ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٤/٣٠٨ .

من الموثوقية بالجهاز السياسي فيقدم حق الله في ماله وبالنتيجة هو الديمومة الاقتصادية لذلك الجزء المهم من الاقتصاد وكذا التكافل الاجتماعي بين طبقات المجتمع .

وبالمحصلة فإن البرمجة والتخطيط والتنفيذ والسياسة المتبعة لها دور في التوازن الاقتصادي وهو ما نهج الإمام علي عليه السلام إليه إذ حدد برنامجاً يتجاوز الأخطاء لاسيما السياسة الاقتصادية القائمة باتباع سياسة أساسها الدقة والاعتدال والتوازن لا تظهر فيها شدة ولا لين من أجل ديمومة الاقتصاد وتوازنه والتنمية الإنسانية، كما في قوله عليه السلام أيضاً لبعض عماله على الصدقات (أمره بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ، حَيْثُ لَا شَهِيدَ غَيْرُهُ، وَلَا وَكِيلَ دُونَهُ. وَ أَمْرُهُ إِلَّا يَعْمَلُ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسْرَرَ، وَ مَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرَّهُ وَ عَلَانِيَتَهُ، وَ فِعْلُهُ وَ مَقَالَتَهُ، فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَ أَخْلَصَ الْعِبَادَةَ. وَ أَمْرُهُ إِلَّا يَجِبُهُمْ^(١) وَ لَا يَعْضُهُمْ^(٢)، وَ لَا يَرْغَبُ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالْإِمَارَةِ [الامانة] عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَ الْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ. وَ أَنْ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً، وَ حَقّاً مَعْلُوماً، وَ شُرَكَاءَ أَهْلِ مَسْكِنَتِهِ، وَ ضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ، وَ إِنَّا مُؤَفِّوُكَ حَقَّكَ فَوْقَهُمْ حُقُوقَهُمْ،...)^(٣).

لقد أمر الإمام عليه السلام عامله هنا إلا يستقبل أهل الصدقات بالمكروه بأن يجبههم ولا يبتعد فيتجافى عنهم أو يعرض عن مجالستهم لظنه أنه أحسن منهم وأفضل لمنزلة الإمارة^(٤) ، وإنما

^١ - يجبههم من جبه الرجل يجبهه جنبها : ردّه عن حاجته واستقبله بما يكره ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٨٣/١٣ .

^٢ - يعضهم : لعضه والعضه والعصيهه : البهينه ، وهي الإفك والبهتان والنميمة ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٥١٥/١٣ .

^٣ - نهج البلاغة / ٥٧٦ .

^٤ - ينظر: بيهقي خراساني ، معارج نهج البلاغة ، ص ٣٧٢ ؛ الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٦٠/٣ ؛ كيزري بيهقي ، حقائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٤٣٢/٢ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٥٩/٥ ؛ البحراني ، اختيار مصباح السالكين (شرح نهج البلاغة الصغير) ، ص ٤٩٤ ؛ السرخسي ، اعلام

اتباع سياسة الوسطية والاعتدال^(١) والمنزلة بين الأمرين لأن هناك فلسفة وجدوى اقتصادية من ذلك، فهم أصحاب مبدأ وعقيدة واحدة توجب الاحترام والتقدير أولاً، ولأن لهم دوراً مهماً في الميزان الاقتصادي والحقوق المالية ثانياً، فهم العمود الفقري للدولة وخزینتها .

إنَّ المسار الوسطي هو الطريق بين أن لا يلقاهم بما يكرهون ولا يبتعد عنهم ويتجافاهم لا إفراط أو جفاء، بالمعنى أنَّ المسار الوسطي هنا هو طريقة وأسلوب واستراتيجية تعامل موظف الدولة مع المواطنين ومن ثم الآثار الإيجابية المترتبة على ذلك ، ثم أنَّ هذا المسار يحمل بعداً تنقيفياً أولاً ومنهجاً ونظاماً غير قابلين للرفض أو عدم التنفيذ ثانياً لأن هناك فلسفة ونتيجة مترتبة منه ، لذلك كان هذا الطرح كاشفاً عن أنَّ من أهم ما يمكن أن يترتب على الوسطية والاعتدال محاربة الغرور والتكبر الذي يمكن أن يصيب أصحاب المناصب والمتنفذين فهو واجب شرعي وأمانة يؤديه كما تُؤدى العبادات هذا فضلاً عن خلق نظام ومستوى معيشي يتكفل أضعف مواطن حيث تُؤخذ الصدقات أو الزكاة من أصحاب الأموال وتذهب إلى المستحقين من أهل المسكنة وذوي الفاقة، ذوي الاحتياجات فيخلق توازناً اقتصادياً بدون تضخم .

نهج البلاغة ، ص ٢٣٨ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣١٤/٤ ؛ التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٥٨٤/٦ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤٥١/٣ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٣٠/٣ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، ٦٦/٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢٥-٢٦/٧٤ ؛ الخويي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣٦/١٩ ؛ المحمودي ، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ، ٤٣٢/٧ .

^١ - وهذه السياسة والصفة تجلت في أمير المؤمنين عليه السلام نفسه فهو لا يتوقف عند محتوى النص بل مطبق لنصه ومحتواه فعلياً، فمع قربه من الناس كواحد منهم كان شديد الهيبة والعظمة فلا شديد فينفر ولا لين فيعصر، يقول ضرار واصفاً الإمام عليه السلام لمعاوية (أما إذا لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه وتتطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته وكان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقاب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استتباناه ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ولا نبتدئه لعظمته...) ، القالي ، الامالي ، ١٤٩/٢

بالمحصلة النهائية فإن الوسطية والاعتدال في السياسة الاقتصادية للدولة لها أبعادها على الاقتصاد سلبياً أو إيجاباً، وتعد مساراً تنظيمياً للتوازن والتنمية الاقتصادية، هذا من جانب و أن الإمام علي عليه السلام يأخذنا إلى جانب وفلسفة أخرى لمنهج وأسلوب العدل في سياسة الدولة الاقتصادية والمخاطر التي تتمخض عن الانحراف عنها ، وهو منهج متطور جداً في السياسة والعلومة الاقتصادية، إذ يبين أمير المؤمنين عليه السلام أن الوسطية والاعتدال في السياسة الاقتصادية يعدان من ركائز الأمن الوطني والاستقرار الإقليمي فيقول عليه السلام في هذا المنحى لزياد بن عبيد الثقفي في كلام نهاه فيه عن تقدم الخراج (استعمل العدل، و اهدر العسف و الحيف، فإن العسف يعود بالجلأء، و الحيف يدعو إلى السيف)^(١) .

فالابتعاد عن الوسطية والاعتدال في السياسة الاقتصادية له نتائجه الخطيرة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والأمني للدولة المتمثل في إخلاء البلاد والهجرة بجلأء المعسوف عنهم عن أوطانهم ومن ثم يؤدي إلى الخراب، والظلم والجور يؤديان إلى التمرد والثورة اللتين تزيل الدولة وتقضيان على حكامها ، وبهذا فان الإمام عليه السلام منع من أن تؤخذ الضرائب الخراجية قبيل بيع الثمار كما كانوا يفعلون^(٢) .

ويمكن القول أن نظرة الإمام عليه السلام للوسطية والاعتدال في السياسة الاقتصادية قامت على مرتكزات موضوعية عدة لمعالجة الآثار السلبية للخلل الاقتصادي السابق التي سببت إحداث

١ - نهج البلاغة ، ص ٨٣٩ .

٢ - ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٤٥/٢٠ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة(الكبير) ، ٤٦٦-٤٦٧ ؛ اردبيلي ، شرح نهج البلاغة ، ص ٤٠٧ (فارسي) ؛ نواب اللاهيجي ، شرح نهج البلاغة ، ص ٣٣٣ (فارسي) ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ٣٩٤ ؛ الانصاري، شرح نهج البلاغة ، ١٢١٧ (فارسي) ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٥٤٠/٥ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤٨٤/٤ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٧-٣٨/٩٥ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٥٤٢/٢١ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٨٤/٤ .

الطبقية بين العامل والمستثمر، لأن اخذ الضرائب دون التفكير بالعامل يكون أكثر خصباً لنمو الفقر وتشعب فروعها ، مما يؤدي إلى فقدان أحد عوامل الإنتاج بل العامل الرئيس للإنتاج وهو اليد العاملة ، هذا إلى جانب التأثير في الوضع الأمني بحدوث الثورات والاضطرابات ونشوء شبكات التخريب.

و إن الإمام عليه السلام لا يرى الإنتاج غاية أساسية إذ لا يرمي إلى مزيد من الإنتاج بل إلى إقامة توازن وانسجام وتوفير المستلزمات الأساسية لاستمراره وتحقيق الضمان الاجتماعي ومن ثم نمو الإنتاج والزيادة فيه، ومصدق ذلك في قوله عليه السلام لمالك الأشتر عندما ولاه على مصر أن يهتم بالخراج وعمارة الأرض اللذان على أساسهما يستمر الإنتاج ومن ثم تتحرك عجلة الاقتصاد فيقول له : (وَ تَقَعْدُ أَمْرَ الْخَرَجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَ صَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَ لَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَجِ وَ أَهْلِهِ. وَ لِيَكُنْ نَظْرَكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أُبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَجِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ؛ وَ مَنْ طَلَبَ الْخَرَجَ بِغَيْرِ عِمَارَةِ أُخْرَبَ الْبِلَادَ، وَ أَهْلَكَ الْعِبَادَ.)^(١)

معايير التنمية الاقتصادية وفلسفتها الواقعية

للإمام علي عليه السلام برنامج ومخطط اقتصادي متكامل وواسع جداً سواء في الاهتمام بالمسائل المالية أم تنظيم حركة المال في أيدي الناس أم في تنظيم السوق الذي يحدده الإمام عليه السلام في ضوء الشريعة الإسلامية والفكر المالي والاقتصادي الحديث ، إذ يمكن القول أن الإمام علي عليه السلام له الريادة والأسبقية في تأصيل الجانب الاقتصادي ضمن مشروعه الرسالي الذي يهدف للوسطية والاعتدال في جميع محاوره والذي يؤدي بدوره إلى التنمية الاقتصادية، مع العلم أن

^١ - نهج البلاغة ، ص ٦٦٤-٦٦٦ .

التنمية الاقتصادية واستدامتها في فكر الإمام عليه السلام لا تتعلقان بالمادة فحسب بل تتجهان إلى أفق أوسع في الاهتمام بالبيئة الثقافية والدينية للمجتمع .

والتنمية الاقتصادية في فكر الإمام عليه السلام تقوم على معيار ومرتكز إساس يطلق عليه الرشد الاقتصادي الذي لا يعني بأي حال من الأحوال التقدير أو التبذير وإنما حسن التدبير والبعد عن الإسراف والتبذير أو الاستعمال العقلاني للأموال كما في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾^(١) ، والحصول على اكبر عائد باقل كلفة ممكنة والنتيجة الأهم هي الابتعاد عن الفقر^(٢) كما يقول الإمام الصادق عليه السلام (ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر)^(٣)، وكما جاء في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾^(٤) ، فالرشد الاقتصادي والاعتدال طريق وسط بين غل اليد وبسطها وهو طريق وقائي يرفع مكمن الخطر والأزمات والمضاعفات التي يمكن أن تنبثق من نتيجة بسط اليد أو غلها، ويقول الإمام علي عليه السلام من جنس هذه المقدمة في كتابه لأحد العمال (فدع الإسراف مُقْتَصِدًا، وَ اذْكَرْ فِي الْيَوْمِ عَدَاءً، وَ اُمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَ قَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ. أَ تَرْجُو أَنْ يُعْطِيكَ [يُؤْتِيكَ] اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَ أَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ! وَ تَطْمَعُ - وَ أَنْتَ

١ - الفرقان/٦٧ .

٢ - سعى الإمام علي عليه السلام إلى علاج ظاهرة الفقر في المجتمع والتخلص منها لان الفقر كما يرى الإمام علي عليه السلام له تأثيرات سلبية عدة وعقاييل ضارة وآثار وبيلة خاصة وعامة، منها نفسية فالفقر مشتت التفكير قليل التركيز يقول عليه السلام (يَا بَنِيَّ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنَقَصَةٌ لِلدِّينِ، مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ) ، نهج البلاغة ، ص ٨٠٠ ، (البخل عارٌ، وَ الْجُبْنُ مَنَقَصَةٌ، وَ الْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفُطْنَ عَنْ حُجَّتِهِ، وَ الْمَيْلُ غَرِيبٌ فِي بَلَدْتِهِ) ، نهج البلاغة ، ص٧١٧ وقال عليه السلام (الْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ [الأحمر]) ، نهج البلاغة ، ص٧٦٣ ، وَ أَنَّ اخْتِلَالَ الْمَوَازِينِ تَوْدِي بِالْفَقِيرِ إِلَىٰ أَنْ يَبِيعَ اخْرَتَهُ بِدُنْيَاهُ (وَ إِذَا بَخَلَ الْعَنِيَّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ اخْرَتَهُ بِدُنْيَاهُ) ، الإمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ، ص٨١٥ .

٣ - الكليني ، الكافي ، ٥٣/٤ .

٤ - الاسراء/٢٩ .

مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ، تَمَنَعُهُ الضَّعِيفَ وَ الْأَزْمَلَةَ، أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ؟ وَ إِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَ قَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَ السَّلَامُ^(١).

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام هنا هو ترهيب ومحاسبة لعماله من ناحية وتنقيف ودراسة علمية اقتصادية من ناحية أخرى مع التسليم أن الكلام لا يخص فرد بل أن كلام الإمام عليه السلام وإمام الكلام له تلك الصفة وذلك الحضور والانطباق على كل زمان ومكان ، فالإمام عليه السلام هنا يدعو عامله أن يدع الإسراف مقتصداً أي التوسط في الإنفاق لا بدون اسراف ولا تقتير، بل الاعتدال في صرف الأموال فلا تقتير فيها كالخلاء ولا إسراف ، وترك الإسراف رذيلة الإفراط من فضيلة الاقتصاد المتوسط بينه وبين الإجحاف بالنفس والأضرار بها وهو طرف التقريط من هذه الفضيلة، كذلك أن يمسك من المال بقدر الضرورة وهو المنحى نفسه من الاقتصاد أي أن يأخذ من المال بدون إفراط ولا تقريط بل بقدر الضرورة والحاجة^(٢) ، هو ما يمكن أن نطلق عليه وفق كلام الإمام عليه السلام بالرشد الاقتصادي والاستخدام العقلاني للأموال، ومنهج التوسط والرشد الاقتصادي ليس اعتباطياً أو أمراً من إمام وخليفة وحاكم إلى عامل بل هو منهج يحمل أبعاداً فلسفية ونتائج اقتصادية عدة ، فالاقتصاد في الإنفاق له بعد مستقبلي دنيوي-آخروي كما بينه الإمام علي عليه السلام سواء في الإسراف الذي يترتب عليه نتائج السلبية في الدنيا لان المسرف والمبذر يكونان معرضين للفقر والحاجة في يوم من الأيام من ناحية كما أن في إسرافه ومنعه لذوي الحقوق في أمواله يترتب عليه أيضاً النتائج المستقبلية المستلزمة للعذاب الآخروي .

^١ - نهج البلاغة ، ص ٥٦٨-٥٦٩

^٢ - ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٣٩/١٥ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٤٠٠/٤-٤٠١؛ الخوئي ، الدرر النجفية ، ص ٣٠٨ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٦٦/٣-٤٦٧ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٩٤/٤ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، ٥٧/٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢٥-٢٦/٥٣-٥٤ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣٣٨/١٨-٣٣٩ .

ولم يشر الشارحون للإثار الدنيوية المترتبة على الإسراف في الأموال بل هناك اتفاق تام بين الشارحين على أن يحفظ الأموال الزائدة عن الضرورة ليوم الحاجة يوم البعث والنشور يوم القيامة وما بعد الموت^(١) ، وهذا الفهم صحيح لا إشكال فيه لكن هذا التصرف السلبي لا يترتب عليه تلك النتيجة فحسب بل أيضاً تتدرج تحت عنصر الزمن والأزمات الاقتصادية التي تكون نتيجة حتمية أيضاً للإسراف في الأموال .

وبالمحصلة النهائية فان ترشيد استخدام الأموال الشخصية هو لبناء مستوى معاشي متوازن ، وبذلك فان أمير المؤمنين عليه السلام وضع منهجاً اقتصادياً مبيناً السبب والحل وهو منهج له قيمة في الفكر الاقتصادي الحديث يمتاز بديناميكية عالية المستوى بالحصول على جودة عالية مع الكلفة الواطئة ، لأن مع منهج التدبير تقل نسبة الفقر ويعيش المجتمع تحت مستوى معاشي مرتفع فكما قل انفاق الشخص انحسر فقره كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام (مَا عَالَ مَنْ أَقْتَصَدَ)^(٢) ، فالاقتصاد في المخارج على قدر المنافع ووضع كل شيء موضعه بسلك طريق ومنهج الاقتصاد بالتوسط في الإنفاق بدون إسراف أو تقتير لا يحصل الفقر^(٣) ، مع العلم أن الإمام عليه السلام لا يعني

^١ - ينظر : الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٥١/٣ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٣٩/١٥ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٤٠٠/٤-٤٠١ ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ٣٠٨ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٦٦/٣-٤٦٧ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٩٤/٤ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، ٥٧/٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢٥-٢٦/٥٣-٥٤ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣٣٨/١٨-٣٣٩ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ٧٥٤ .

^٣ - ينظر : بيهقي خراساني ، معارج نهج البلاغة ، ص ٤٢٧ ؛ الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣١٨/٣ ؛ كيدري بيهقي ، حدائق الحقائق ، ٦٤٤/٢ ؛ البحراني ، اختيار مصباح السالكين (شرح نهج البلاغة الصغير) ؛ ص ٦١٣ ؛ القمي ، شرح حكم نهج البلاغة ، ص ٢١٩ ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ٣٦٧ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢١٢/٢١ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٣٠٧/٤ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٣-٣٤/٧٩ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣١٩/٥ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ،

بالاقتصاد في الإنفاق والبخل والتقتير بل الاعتدال . وهذا المنهج التأسيسي في البناء يمثل مصدراً للتنمية والإنتاجية ويقوم على تحقيق ما يأتي :

- ١- استراتيجية اقتصادية مستدامة وأهداف طويلة الأمد مبنية على أسس علمية .
- ٢- إن كلام أمير المؤمنين عليه السلام لا ينطبق على المستوى الشخصي والفردى فحسب بل ينطبق كذلك على مستوى أوسع كالاقتصاد الدولة وعند تطبيق هذه المنهج فإنه لا ينتج عنه افتقار الدولة أو فشلها اقتصادياً .
- ٣- اتباع نظام وتنظيم الاعتدال والتوسط في الإنفاق والطلب يحقق التوازن الاقتصادي وإلغاء الطبقة الاجتماعية .
- ٤- يمكن القول أن الاقتصاد مفهوم عام لا يشمل المال فحسب بل ينطبق على كل مناحي الحياة من مأكلاً وملبس كما يقول الإمام عليه السلام (كُلُّ مُقْتَصِرٍ عَلَيْهِ كَافٍ)^(١) ، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال (أترى الله أعطى من أعطى من كرامته عليه ومنع من منع من هوان به عليه ؟ لا ، ولكن المال مال الله يضعه عند الرجل ودائع ، وجوز لهم أن يأكلوا قصدا ويشربوا قصدا ويلبسوا قصدا وينكحوا قصدا ويركبوا قصدا ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين ويلموا به شعثهم ، فمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالاً ويشرب حلالاً ويركب وينكح حلالاً ، ومن عدا ذلك كان عليه حراماً)^(٢) .

على أن الرشد أو القصد في فكر الإمام علي عليه السلام لا يقع على محور واحد وإنما يشمل جانبي الإنفاق والاستهلاك والكسب لتحقيق تنمية مستدامة تحفظ الحقوق في الحاضر والمستقبل

٣/١٨٥ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤/٣٣١ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة واسانيده ، ٤/١٢٢ .

١ - نهج البلاغة ، ص ٨٢١ .

٢ - المجلسي ، بحار الانوار ، ٢٢/٣٠٥ .

وتنظيم وتوجيه استراتيجي للاقتصاد ، وتأسيساً على ما تقدم فإن الإمام عليه السلام يقول : (كُنْ سَمْحاً وَ لَا تَكُنْ مُبَدِّراً، وَ كُنْ مُقَدِّراً وَ لَا تَكُنْ مُقْتَرّاً)^(١) . فالإمام عليه السلام هنا يضع معياراً ومنهجاً وقاعدة تنموية اقتصادية وهي العطاء أو الإنفاق الراشد الذي يكون في السماحة والتقدير، فلا تقتير ويضيق في الإنفاق ولا تبذير وانفاق المال في غير محله وإنما بين بين ووضع كل شيء موضعه من غير تبذير أو تقتير، فتتنظم المعيشة بسلك مسلك التعديل بين الزيادة أو النقصان^(٢) ، فلا يبذر فيصيب بالإفلاس ولا يقتر فيدخل على نفسه ويعيش حال الفقراء، والطريقة المثلى مع ذلك هو سلك مسلك الوسطية والاعتدال بالسماحة والاعتدال في الإنفاق وعلى هذا فإن طرح الإمام عليه السلام يأتي في بعدين :

البعد الأول : البعد التقفي للوسطية والتفكير عن الطرفين السلبيين الإفراط والتقريط المتمثل بالتبذير والتقتير فالسخاء هو الوسط بين الأخلاق المتضادة، البخل والتبذير .

البعد الثاني : تنظيم المعيشة بالاعتدال في الإنفاق يعد معياراً للتنمية الاقتصادية واستدامتها لأن التبذير يؤدي إلى الإفلاس والبخل والشح أيضاً يؤدي إلى وقف تداول الأموال فيدخل بالميزان الاقتصادي^(٣) .

وبرؤية ذات صلة بما تقدم فإن ترك الاعتدال مسار التنظيم يعني حدوث الخلل في البنية الاقتصادية ومن ثم حدوث التخلف وعدم الشمول والتوازن وبهذا فإن الإمام عليه السلام تلمس المشكلة

١ - نهج البلاغة ، ص ٧٢٦ .

٢ - ينظر: مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢٣٧/٤ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ١٥٩/٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣١-٣٢/١٠١ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢٣٢/٥ .

٣ - عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال (أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه سمع رجلاً يقول : أن الشحيح أَعْدَرُ مِنَ الظالم فقال له : كذبت أن الظالم قد يتوب ويستغفر ويرد الظلامة على أهلها و الشحيح إذا شح منع الزكاة والصدقة وصله الرحم وقرى الضيف والنفقة في سبيل الله وأبواب البر ؛ وحرام على الجنة أن يدخلها شحيح، الكليني ، الكافي ، ٤٤/٤ .

وممكن العوامل المسببة لها المتمثلة بالابتعاد عن الطريق الوسطى طريق الاعتدال والاستقامة ، فبترك الاعتدال تكون النتائج إما تطرفاً وغلواً أو تقتيراً وإسرافاً وتبذيراً، وكما يقول الإمام علي عليه السلام في وصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام (مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارٍ) ^(١) ، فمن أسرف تعدى الحدود ومن أمسك قصر عنها والطريق الوسطى خير الطرق وأسلمها وهي سبيل الخير والنجاح لأن الفضائل تحيط بها الرذائل ومن تركها مال عن الصواب ^(٢) .

ولأجل فهم أكثر نود أن ندلي بشيء من التوضيح أن الإنسان أن بعد عن دائرة الرشد الاقتصادي مسار الوسطية التنظيمية فلا يؤثر ذلك على الجانب المالي والاقتصادي فحسب بل له آثار أخرى في الابتعاد عن الدائرة الإلهية لأن الإفراط أو التقريط كلاهما له الآثار السلبية نفسها وكما يقول الإمام عليه السلام لمعاوية بن أبي سفيان (وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمَكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَا أَخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلُهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ) ^(٣) (مع العلم أن تلك النتيجة لا تخص معاوية فقط بل كل شخص مترف يسلك مسلكة) وكما جاء في قوله تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْعَىٰ ۗ أَن رَّأَهُ اسْتَعْتَىٰ ۗ ﴾ ^(٤) .

فالنعمة والغنى تؤديان إلى نتيجة محتملة في الطغيان فعند توافر الإمكانيات يرون أنفسهم في غنى عن الله لهذا نجد أمير المؤمنين عليه السلام يقول في دعاء له (نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَ

١ - نهج البلاغة ، ص ٦١١ .

٢ - ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١١٧/١٦ ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ٣٢٣ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٥٢٦/٣ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٩٧/٤ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٦٢/٣ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة واسانيده ، ٢٩٤/٣ ؛ التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٤٤٢/٨ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢٧-٢٨/٧٤ .

٣ - نهج البلاغة ، ص ٥٥٧ .

٤ - العلق / ٦-٧ .

إِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ^(١) ، فهي تسدل على بصيرته حجاب الغفلة فيحول نعمة الله إلى وسائل للمعصية والتمرد عليه^(٢) ، مع العلم أن الفقر أيضاً له النتيجة نفسها ومن تطبيقات ذلك قول الإمام عليه السلام (أَنْ اسْتَعْنَى بِطِرٍ وَ فُتِنَ ، وَ أَنَّ افْتَقَرَ قَنِطٍ وَ وَهَنَ ؛ يُقْصِرُ إِذَا عَمِلَ ، وَ يُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ)^(٣) ، ومن ثم فإن كل من الغنى والفقر له نتائج خطيرة لأنه إذا نال الثروة يطروه التكبر والفرعنة والاعتزاز بالنعمة والغرور فتنه، وان افتقر يئس من رحمة الله وضعف عن أداء ما عليه^(٤) ، والطريق الوسط بينهما هو الأسلم.

وفي ضوء هذا الإطار فالوسطية والاعتدال هما الأمثل وهما المسؤولان عن التنظيم الاقتصادي وكما يصفهما القرآن الكريم بالفلاح ﴿ وَأَنْفَقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٥) ، لذا فإن الغنى أو البخل الإفراط أو التقريط المالي له آثار ونتائج على الإنسان نفسه فضلاً عن تأثيراتها الاقتصادية في الإخلال بالتوازن الاقتصادي الذي يؤثر بدوره في التنمية الاقتصادية ، لذلك فإن الوسطية والاعتدال في كل المحاور الاقتصادية تعد معايير للتنمية الاقتصادية ونجد مصداق ذلك في أقوال الإمام عليه السلام الذي نظم الكسب المادي تنظيماً تنموياً بدون مبالغة أو تقصير أو لا زيادة ولا نقصان في الكسب فيقول عليه السلام في ذلك (وَ الدُّنْيَا دَارٌ

١ - نهج البلاغة ، ص ١١٣ .

٢ - ينظر : عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ١٠٧/١ ؛ انصاربان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، ٤٥٥/١ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٩٠/١ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٥٣/١ ؛ الخراساني ، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة ، ٣٥٧/٧ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٤٠٥/٤ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٣٢٧/١ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٥-٦/٢٤ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة واسانيده ، ٤٣/٢ .

٣ - نهج البلاغة ، ص ٧٦٠ .

٤ - ينظر : الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٣٤١/٤ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ١٩٠/٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٣-٣٤/٩٣ .

٥ - التغبين / ١٦ .

مُنِي لَهَا الْفَنَاءُ، وَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ، وَ هِيَ حُلُوةٌ خَصْرَاءُ، وَ قَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ؛ وَ التَّبَسُّتُ بِقَلْبِ النَّاطِرِ، فَارْتَحَلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، وَ لَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكِفَافِ^(١)، وَ لَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ^(٢)، فَالْكَفَافُ فَوْقَ الْمَقْدَارِ الَّذِي يَكْفِي لَا أَكْثَرَ مِنَ الْحَاجَةِ وَلَا أَقَلَّ مِنْهَا وَإِنَّمَا وَسْطٌ بَيْنَ التَّرْفِ وَالضَّرُورَةِ ، الْإِعْتِدَالُ بَيْنَ الْغِنَى الْمَطْعِيِّ وَالْفَقْرَ الْمَذَلِّ وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ الَّذِي يَبْلُغُ لِلْآخِرَةِ فَيَكُونُ بِذَلِكَ الْإِنْسَانُ خَازِنًا لْغَيْرِهِ لِأَنَّ مَا زَادَ عَنِ الْحَاجَةِ فَهُوَ لِلوَارِثِ أَوْ الْوَارِثِ^(٣) .

ولعل الغاية من هذا التوسط إنما تنشأ من أن في الكفاف حل لمشكلة الفقر إذ أنها تحد من ثروة الأغنياء ، و أن حد الكفاف في المخطط الاقتصادي الاجتماعي يمثل حركة صاعدة ونازلة ، فهو الحركة الصاعدة في دفع الفقراء من دائرة الفقر للوصول إلى مستوى الأغنياء والحركة المتنازلة في دفع الأغنياء للنزول من عرش الغنى والثروة إلى الزهد أو العيش على قدر الحاجة على أن حد الكفاف نسبي يتغير بتغير وتطور الزمن، ويعد الكفاف في المشروع السماوي والرسالي العظيم من المرتكزات والمتطلبات الأساسية فيقول الرسول ﷺ (اللهم ارزق محمدا وآل محمد ومن أحب محمدا وآل محمد العفاف والكفاف وارزق من أبغض محمدا وآل محمد المال والولد)^(٤) .

^١ - الكفافُ من القوت : الذي على قَدْرِ نفقته لا فضل فيها ولا نقص ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٠٦/٩ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ٩٨ .

^٣ - ينظر : الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢٦١-٢٦٢ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٥٢/٣ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٣٢/١ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢١٢/١ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢٧٠/١ ؛ التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٣٩٠/١١ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، ٤٥٢/١ ؛ الخراساني ، مفتاح السعادة ، ٤٤٢/٦ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، ٥/٢ .

^٤ - الكليني ، الكافي ، ١٤٠/٢ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٥٩/٦٩ .

وعوداً على بدء فلم تكمن أهمية الكفاف من انه حصن للإنسان من ناحية فضلاً عن فلسفته التكاملية من ناحية أخرى فلا تتعلق بالجانب المادي فحسب بل شملت التأثيرات الأخرى التي يمكن أن تكون نتائج للكفاف أو بالمعنى مسار الوسطية والاعتدال في الثروة كالأسباب الصحية والنفسية ، ولا يمكن فهم هذا الكلام من غير الاطلاع على ما أورده الإمام علي عليه السلام في هذا الإطار يقول عليه السلام (وَ لَا مَالَ أَذْهَبَ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَى بِالْقُوْتِ. وَ مِنْ أَقْتَصَرَ عَلَى بُلْعَةِ الْكِفَافِ فَقَدْ انْتَضَمَ الرَّاحَةَ، وَ تَبَوَّأَ حَفْصَ الدَّعَةِ).^(١)، فالكفاف من الرزق لا زيادة ولا نقصان له نتائج في راحة البدن والنفوس من هم الطلب والسعي كما تكون لين السكون مباءة ومرجعاً فينال الهدوء والعيش اللين والطيب^(٢) .

وهكذا نلاحظ أن الاعتدال في الرزق بشكل تنظيمي دقيق لا فقر وهموه ومضارة ولا غنى المترف يبعث الشعور بالسكينة الداخلية وتطرد القلق والخوف والأحاسيس السلبية غير المريحة التي تؤدي إلى الاضطرابات النفسية ومنها إلى تذبذب الاستقرار النفسي سيما أن الاعتدال يمد الإنسان بالبناء السليم والأساس من الصحة والراحة النفسية .

وكيما تكتمل وتتوضح الوسطية التنظيمية فإن الإمام عليه السلام أكد في مناسبات كثيرة على الاعتدال في الكسب كمعيار وآلية للتنمية والتوازن الاقتصادي واستدامتها ولم يترك الأمر عليه السلام اعتباطاً بل أشار إلى الفلسفة من ذلك في قوله (وَ اعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ، وَ لَنْ تَعْدُو

^١ - نهج البلاغة ، ص ٨١٤ .

^٢ - ينظر: الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٤٠٩/٣ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٤٢٦/٥ ؛ الموسوي ، شرح حكم نهج البلاغة ، ٤٧٧/٥ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٧-٣٨/٣٠-٣١ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٣٩/٤-٤٤٠ ؛ القمي ، شرح نهج البلاغة ، ص ٢٠٠-٢٠١ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤٣١/٤ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة واسانيده ، ٢٧١/٤ ؛ التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٥٩٨/١٤ .

أَجَلْكَ، وَ أَتَكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ. فَخَفَّضَ فِي الطَّلَبِ، وَ أَجْمَلَ فِي الْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ؛ فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَ لَا كُلُّ مُجْمَلٍ بِمَحْرُومٍ^(١) وتبعاً لذلك فإن التوازن الاقتصادي يتطلب قاعدة تنظيمية وهي أن يجمل الإنسان في المكسب أي يعتدل ويسعى سعياً جميلاً في مسار تنظيمي لا حرصاً فيمنع الحق ولا طمعاً فيتناول ما ليس بحق ، أي أن يحفظ التوازن^(٢) والوسطية في المكسب، وهذا القاعدة والمنهج والمسار الاقتصادي الذي نظمه الإمام عليه السلام يقوم على أبعاد ومحددات عدة وهي :

البعد الأول: إن سقف مطالب الإنسان ليس له نهاية لأنه يكون متجدد ومتوجه إلى ما ليس مدركاً في الحال والإحالة ولا يمكن أن يتجاوز الإنسان آجله المحدد له وإلا لما كان أجلاً له وكل من لا يبلغ أمله ولا يتجاوز آجله أن يعتدل في المكسب لان أكثرهم حرصاً وطمعاً أقلهم انتفاعاً بالمال.

البعد الثاني: هناك سنة تاريخية وكونية أن الإنسان سائر في طريق من كان قبله الذين ارهقوا انفسهم في الجمع والثروة ولم يستفيدوا منها .

البعد الثالث: يمكن أن نطلق عليه مثلث الاحتمالية الاقتصادية وهو أن رب طلب جر إلى حرب فقد يطلب الزيادة والادخار فتأتي النتيجة عكس ذلك وتُسلب الأموال هذا أولاً، وثانياً ليس كل طالب للأموال والثروة مرزوق ويحصل عليها وثالثاً ليس كل مجمل محروم أي ليس كل معتدل في الكسب محروم ، لان الغنى قد يكون بالاعتدال في السعي والكسب دون إفراط أو تفريط .

١ - نهج البلاغة ، ص ٦٠٦ .

٢ - ينظر : البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٤٤/٥-٤٦ ؛ الكاشاني ، تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين ، ٣٨٩/٢-٣٩٠ (فارسي) ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢٧-٢٨/٥٧-٥٨ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٥٦/٣-٥٧ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٣/٥١٣-٥١٤ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٧٠/٤ .

البعد الرابع: تقدير الأرزاق بالآجال فكل إنسان رزقه مقدر باجل لن يعدوه ولن ينتهي أجله قبل استكمال رزقه ، وهناك قول للرسول ﷺ يثبت ذلك أيضاً (ألا وإن الروح الأمين نفت في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حله ، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته)^(١) .

البعد الخامس: هناك بعد غير مباشر يمكن الخروج به من فلسفة الاعتدال في طلب الرزق وهو أنها تحقق تقوى الله فلا تقاعس في طلب الرزق ولا إفراط ولهما الأضرار نفسها السلبية ومنها الابتعاد عن تقوى الله لكن في المقابل الاعتدال يحقق التقوى التي تؤدي بدورها إلى الرزق كما يقول تعالى في كتابه ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١٠٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٢) ، ومن ثم فإن تقوى الله اعظم من المغالاة في طلب الأرزاق لان تقوى الله كما قلنا تؤدي إلى الرزق.

علاوة على ما تقدم فان هناك غاية أخرى للتوسط والاعتدال في الكسب لا تخلو أهمية بل هي الأهم مما سبق لأنها :

١- تقوم على فلسفه واقعية .

٢- تنضبط تحت قاعدة عامة ونتيجة حتمية وهي امتلاك الإنسان شأواً بعيداً من الأهداف

التمثلة بجمع الثروة والسعي نحوها يتحول فيها من جامع وخازن للمال إلى فاقد لها

ومحاسب عليها^(٣) وآخر متمتع بها.

١ - الكليني ، الكافي ، ٧٤/٢ .

٢ - الطلاق / ٢ .

٣ - ينظر قوله تعالى (وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ، التوبة/٣٤.

إن المبدئين يتشكلان نتيجة الفهم لكلام الإمام عليه السلام يمكن استخلاصهما من قوله عليه السلام في وصية لابنه الإمام الحسن عليه السلام (فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ، وَ لَا تَكُنْ خَازِنًا لِغَيْرِكَ، وَ إِذَا أَنْتَ هُدَيْتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَحْسَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ. وَ اعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَ مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَ أَنَّهُ لَا غِنَى بِكَ فِيهِ عَن حُسْنِ الْإِزْتِيَادِ، وَ قَدْرٍ [قَدْر] بَلَغِكَ مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ، وَ إِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُؤَافِيكَ بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاعْتَمِمْهُ وَ حَمَلْهُ إِيَّاهُ، وَ أَكْثِرْ مِنْ تَرْوِيدِهِ وَ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ^(١) .

ويكاد يتفق الشارحون على أن مقصد الإمام عليه السلام أن يكون سعي الإنسان للكسب لنفسه وان ينفق المال في سبيل الله وفيما ينبغي من كسب الطاعات لا أن يبقى بعده للورثة^(٢) ، وهذا الفهم ناهض لا إشكال فيه لكن لم يذهب الشارحون إلى ابعاد منه ونقصد عدم بقاء الأموال للورثة وأنفاقها في سبيل الله يتم من خلال الاعتدال حتى في جمع الثروة فلا يفرط ويعتمد على غيره ولا يسرف بالجمع ويحتكرها ولا ينفقها فتبقى للورثة من بعده يتمتعون بها ويحاسب هو عليها ، ومصدق هذا الكلام هو قول الإمام عليه السلام ذاته أن لا يكون خازناً لغيره وان يقدر كفايته من الزاد لأن ذلك سيكون وبالاً عليه وليس في منفعة يوم لا ينفع مال ولا بنون .

^١ - نهج البلاغة ، ص ٦٠٠-٦٠١ .

^٢ - ينظر : كيزري بيهقي ، حقائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٤٦٥/٢ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٨٥/١٦ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٢٩/٥ ؛ السرخسي ، اعلام نهج البلاغة ، ص ٢٤٨ ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ٣١٩ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٥٩/٤ ؛ مغنبة ، في ظلال نهج البلاغة ، ٥٠٩/٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٤٢/٢٨-٢٧ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣١٩/٤-٣٢٠ ؛ عبدة ، نهج البلاغة ، ٥١/٣ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة واسانيده ، ٢٨٣/٣ .

ولعل من أهم سمات الاعتدال في الكسب زيادة المال لا نقصانه على عكس الاحتكار والبخل التي يكون فيها الإنسان خازناً للورثة موقفاً عاجلاً للتنمية الاقتصادية من ناحية ومحدثاً فوارق طبقية من ناحية أخرى لمنع حقوق الفقراء المترتبة عليها، فتتماسك الصورة أمامنا إذا امعنا النظر في قوله عليه السلام (يَا ابْنَ آدَمَ مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوَّتِكَ، فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِعَيْرِكَ)^(١) ، فتدخل الإمام عليه السلام في أدق الأسباب ثم أعطى السبل الصحيحة والمسار التنظيمي، وقد أبدع دخيل في فهم مقصد الإمام عليه السلام بالدعوة إلى الإجمال في الطلب وعدم التوجه إلى الدنيا والمبادرة إلى الإنفاق أما فيما عدا ذلك فإنه يبقى للورثة وعند اختلافهم على الميراث يكثر السباب له^(٢) ، فسلك طريق الإفراط في الثروة والبخل فيها وادخارها وعدم إنفاقها ومنع ذوي الحقوق تكون فقراً للمدخر فيكون مجرد بنك خازن للأموال غير مستفيد منها .

ولم تكن الأسباب للاعتدال في الكسب تتحصر فيما تقدم فلا كبير أمر نستغربه عند الإمام عليه السلام وإن استغربه عند سواه عندما نجد أنه توسع في بيان الفلسفة من الاعتدال في الكسب المادي وآثارها سواء الاقتصادية التي هي موضوعنا الأساس أم غيرها كإصلاح النفس من غلوها في التهافت على الدنيا وربطها بالآخرة ، فهو عليه السلام يصلح علاقة الإنسان بربه وعلاقة الإنسان بنفسه وعلاقته بغيره .

وامتداداً لتكاملية الأسباب والفلسفة الواقعية للوسطية والاعتدال والتوازن الاقتصادي مع ضمان دقة التنظيم والانسبابية وسلامته الآنية والمستقبلية فقد ضم نهج البلاغة بين دفتيه العديد من الخطب والكلمات النادرة من أجل التنمية والتطوير المستمر والمستدام وما الوسطية والاعتدال في الكسب والتحصيل المادي إلا منفذ لها إذ إنه على مستوى التحصيل المادي ومستوى البذل

^١ - نهج البلاغة ، ص ٧٦٧ .

^٢ - شرح نهج البلاغة ، ٣٣-٣٤/١١٥ .

والإنفاق الاستثماري تتحد النتيجة فإذا كان الاعتدال والتوسط في الجمع والكسب والإنفاق كانت النتيجة استدامة النعم واستمرارها والعكس صحيح فيقول عليه السلام مصداقاً لذلك (يا أيها الناس، متاع الدنيا حطام موبى فتجنبوا مرعاه! فلعنوها أخطى من طمأنينتها، وبلغنوها أركى من ثروتها [انراثها]. حكيم على أكثر منها بالفاقة، و أعين من غني عنها بالراحة [بالرحمة]. من راقه زبرجها أعقت ناظره كمها، و من استشعر الشغف بها ملأت ضميره أشجاناً، لهن رقص على سوبداء قلبه: هم يشغلهم، و غم يحزنهم، كذلك حتى يؤخذ بكظمه فيلقى بالفضاء، منقطعاً أبهراه، هيباً على الله فناؤه و على الإخوان إلقاءه. و إنما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار، و يفتات منها ببطن الإضطرار)^(١).

ووضح المعنى في قول أمير المؤمنين عليه السلام هذا أن المؤمن يأكل ويأخذ من الدنيا بقدر الضرورة لا احتكار ولا استثمار لا يعيش عيشة الفقراء ولا الأغنياء إنما يعتدل في ذلك ، فالاعتدال هو الطريق الأسلم وهذا القول يقوم على نتيجة وفلسفة اقتصادية أو عملية اقتصادية ربحية وهو أن ما يتبلغ به الإنسان من القوت والكفاف أركى وأنمى وأربح^(٢) من الثروة هذا سبب ، الفلسفة الأخرى فلسفة وقائية وهي أن الإفراط في الجمع تكون النتيجة الحتمية الفقر لانهم لا ينتهون إلى حد معين من الثروة والمال إلا وحرصوا على طلب الزيادة من ثم وفي كل الأحوال هم فقراء إلى تحصيل الأموال بل قد يكون سعيهم وكدهم اعظم من كدح الفقير وحرصه^(٣) ، فالأخذ قدر الكفاية خير وأوفر ويحقق التنمية المستدامة .

^١ - نهج البلاغة ، ص ٨١٠-٨١٢ .

^٢ - ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٥٨/١٤ .

^٣ - ينظر: الروندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٤٠٨/٣ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٨٦/١٩ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٤٢٢/٥-٤٢٣ ، السرخسي ، اعلام نهج البلاغة ، ص ٣٩٠ ؛ الاربيلي ، شرح نهج البلاغة ، ص ٣٩٣ (فارسي) ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ٣٨٤ ؛ الشيرازي

وأخيراً فإن الإمام علي عليه السلام ينظم الأسواق والقوى الشرائية وفق معيار الوسطية والاعتدال بحيث لا يعجز عنه أوساط الناس ولا يخسر به التاجر فيقول عليه السلام في هذا الإطار في كتابه لمالك الاشر ضمن وصية في طبقة التجار وذوي الصناعة (و لِيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً: بِمَوَازِينِ عَدْلِ، وَ أَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ. فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَتَكَلَّ بِهِ، وَ عَاقِبُهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ)^(١).

وأشار الشارحون إلى مقصد الإمام علي عليه السلام ، أن يكون البيع سمحاً لا إجحاف فيه بموازين سليمة معتدلة لصالح الفريقين البائع والمشتري لا شطط فيه ولا وكس^(٢)، فلا ترتفع الأسعار بحيث تضر بالمشتري ولا تقل فتضر بالبائع ، و أن عقاب من خالف من التجار واحتكر البضائع دون إسراف لا إفراط في العقوبة بل بمقدار الاستحقاق من غير تجاوز الحد المعقول لردع المنحرف وليس للانتقام منه^(٣) . وقد هدف الإمام عليه السلام من ذلك لأمر عدة:

١- الموازنة بين القوى الشرائية تكون من مسؤولية الدولة بحيث تكون الأسعار معتدلة لا مستغلة ولا مُستغلة.

٢- تقف الإمام عليه السلام لقانون سن العقوبات القانونية الاقتصادية وتطبيق منهج التوسط والاعتدال فيها كي لا تفقد الغرض منها .

، توضيح نهج البلاغة ، ٤/٤٣٦-٤٣٧ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤/٤٢٩ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٣/٢٣٩-٢٤٠ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٥/٤٧٢-٤٧٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٧-٣٨/٢٣-٢٥ ؛ المحلتي ، ترجمة غرر الحكم ودرر الكلم ، ٢/٧١ (فارسي) .

^١ - نهج البلاغة ، ص ٦٦٩ .

^٢ - والوكس نقصان في الشيء ، لا شطط فيه ولا وكس أي لا زيادة ولا نقصان ، ينظر : ابن منظور : لسان العرب ، ٦/٢٥٧ .

^٣ - ينظر : كيزري بيهقي ، حقائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٢/٥٤٥ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٥/١٦٩-١٧٠ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٥/٦٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢٩-٣٠/٩٥ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤/١٧٩ .

٣- عدّ التطرف والانحراف عن الاعتدال في الميزان الاقتصادي نتيجة للتخلف ومؤشراً للمستويات الاقتصادي المتباينة .

٤- إن التنمية التي طرحها أمير المؤمنين عليه السلام تنمية رائدة لا ترقى إليها الاقتصاديات الحديثة والمعاصرة لقدرته على إحداث تنمية مستدامة دون كلفة اجتماعية سالبة .

٥- إن الإمام علي عليه السلام صاغ نظرية ومنهجاً اقتصادياً كشف فيه عن إليه الحركة والتفاعل بين التوسط والاعتدال وبين التطور والاستقرار الاقتصادي وعمق وأهمية التغيير الذي يحدثه تطبيق منهج الاعتدال .

المبحث الثالث

مسار تنظيم وتوجيه الإطار السياسي وأبعاده العملية

يتناول هذا المبحث مسار تنظيم الإطار السياسي وتوجيهه في فكر الإمام علي عليه السلام فالإمام علي عليه السلام له الريادة والأسبقية من بعد دولة الرسول (صلى الله عليه وآله) في التنظيم الإداري المحكم بنظام رصين الذي يحمل القيم الإنسانية والعمل على إشاعتها مجسداً فيه المفاهيم والنظريات الإلهية كالعدل والمساواة والإنصاف التي كانت سائدة في حكومة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) (سيرته عليه السلام) القصد، و سننه الرشد، و كلامه الفصل، و حكمه العدل؛ أرسله على حين فترة من الرسل...^(١) ، التي تتم على بعد عملي وكلاسيكي يتمثل بنظام الجودة الذي أتت به النظريات الحديثة وأصبح حديث الساعة في حين أنه كان سائد منذ زمن في المعنى نفسه ولكن في لفظ آخر .

وتجلى تنظيم الإطار السياسي في فكر الإمام علي عليه السلام في التأسيس لبناء معرفي قائم على الموضوعية رافضاً العشوائية والشخصنة من أجل أعداد الإنسان الحاكم^(٢) ودولة الإنسان والحكم الرشيد والإجادة فيه وفق نظريات وقوانين علمية مرتكزة على مبدأ الإنسانية والمواطنة كمرتكز أساس في كل نظام إداري ناجح من أجل القضاء على فكرة الظلم والفرعنة والخروج عن مسار التوسط والاعتدال التي لازمت السلطة والأنظمة الحاكمة وهي تحمل من الحقيقة الشيء الكثير ،

^١ - الإمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ، ص ١٩٨-١٩٩ .

^٢ - ومن ذلك قوله عليه السلام في وصية لابنه الإمام الحسن عليه السلام (يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيرَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحِبُّ لِعَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَ اكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَ لَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَ أَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَ اسْتَفِيحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَفِيحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَ ارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَ لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَ أَنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَ لَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ) ، نهج البلاغة ، ص ٥٩٩-٦٠٠ .

وقد أعاد الإمام علي عليه السلام بناء الإطار السياسي وهندسته وتنظيمه في نهج البلاغة مصوراً إياها بشكل مستقل ومباشر ، إذ يمكن أن نلاحظ أموراً عدة فيما ذكره الإمام عليه السلام :

١- إن الأساليب والطرائق الإدارية التي طرحها أمير المؤمنين عليه السلام ليست مرحلية جاءت وفق مقتضيات ومتطلبات المرحلة التي عاش فيها عليه السلام بل عامة وشاملة لكل زمان ومكان .

٢- تحقيق مفهوم الإدارة الشاملة التي تحقق الرفاهية والخدمات .

٣- تطوير الإدارة والقيادة تطويراً يتناسب مع الدين الحنيف ومقاصده .

٤- الوسطية والاعتدال كما جاءت في فكر أمير المؤمنين عليه السلام لا تلخص في الأمور المادية التي تحقق الاعتدال وإنما تتعدى إلى الأمور المعنوية والحركات الجسدية التي لها دور في تحقيق مبدأ التوسط والاعتدال .

٥- إن أهم ما يميز طرح أمير المؤمنين عليه السلام للقيادة والإدارة المثلى المعتدلة في كل مفاصلها هو تطابق الجانب النظري مع الجانب العملي الذي جسده الإمام عليه السلام نفسه فيصبح أماناً أنموذج حي جسده الإمام عليه السلام قولاً وفعلاً .

تنظيم الشخصية الحاكمة وبنائها ومسار التعامل مع الحكوميين

من المعلوم أنّ ماهية الحكم والحاكم في المجتمع من أهم العوامل المؤثرة في تشكيل النظام السياسي ومن ثم النسيج الاجتماعي ، ولعل ما ينفرد به الإمام علي عليه السلام وفكرة الكامن في نهج البلاغة الشمولية والتنظيم والتوجيه الاستراتيجي السياسي والاستيعاب الكامل للخصوصيات ومن هنا فكلما أمعنا النظر في هذا الفكر نجده نسيجاً متلاحماً ومتناسقاً من غير أدنى تناقض أو تضاد أخذاً بنظر الاعتبار الأبعاد الإنسانية بكل نوازعها وحاجاتها المكانية بكل اختلافاتها وتبايناتها والزمانية بكل تطوراتها وتغيراتها .

ففي المجال السياسي لم يغفل الإمام علي عليه السلام أهمية القيادة في المجتمع^(١) والحكومة العادلة الحافظة لحقوقه بمنحى شامل وتكاملي لتحقيق المصالح ودرء المفسد، فالمجتمع إذا تمتع بقيادة كفؤة وحكيمة سوف يرتقي إلى مستوى هذه القيادة والعكس صحيح إذا دب الانحراف في القيادة فإن المرض بلا شك يدب في جسده^(٢) ولذلك نرى كيف أنّ الإمام علي عليه السلام يركز على

١ - ينظر قول الإمام عليه السلام (وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَ يَسْتَمْتَعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَ يَبْلُغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَ يُجْمَعُ بِهِ الْفِيءُ، وَ يُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَ تَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَ يُؤَخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَ يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ)، نهج البلاغة ، ص ٩٣ .

٢ - هناك شواهد تاريخية لمسألة الظلم والانحراف الذي أصيبت به الأمة الإسلامية نتيجة أبعاد القيادة الشرعية المتمثلة بأهل البيت عليهم السلام وتحكم القيادات الفاسدة في الامور ، على الرغم من تأكيد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أهمية القيادة وخطورة دورها والنتيجة التي ستؤول اليها الأمة في حال أبعاد القيادة الشرعية (إني تارك فيكم الثقلين ، ما أنّ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فإنهما لن يفترقا حتى يردها علي الحوض) ، الطبرسي ، الاحتجاج ، ١٤٧/٢ ؛ وينظر : ابن حنبل ، مسند أحمد ، ٥٩/٣ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ٣٣٩/٥ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ١٧٣/١ ، وقوله عليه السلام : (إنما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجي ، ومن تخلف عنها غرق ، ومن تقدمها مرق ، ومن لزمها لحق) ، الطبرسي ، الاحتجاج ، ١٤٧/٢ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ١٦٨/٩ ، وقد وصلت مسألة الظلم والانحراف أوجها عند تولي يزيد القيادة وقد ترجم الإمام الحسين عليه السلام ذلك في قوله لمروان بن الحكم عندما قال له بايع يزيد قال: (إنا لله وإنا إليه

بناء الشخصية الحاكمة العادلة لتكون مؤهلة لاتخاذ القرارات الصحيحة لمنع الفساد والانحراف^(١)، وتحقق الرشد والاعتدال السياسي ، ولعل أهم الأمور التي يجب أن يتحلى بها الحاكم لكي يستمر في رياسته سعة الصدر بدون إفراط أو تفريط لا لين وترك الأمور تفلت من يده ولا شدة وغضب، يقول الإمام علي عليه السلام مصداقاً لذلك (أَلَّةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ)^(٢).

وقد اختلفت آراء الشارحين في اللفظ لكنها تصب في معنى واحد وهي أنَّ الرياسة تحتاج إلى صبر وحلم وأخلاق عالية فهي مظنة ورود الأحداث المهمة والخطوب العظيمة فتتطلب تصريف أمور الناس وحل مشكلاتهم فلا يدع الحاكم قوة التجرد عند ورود الأحداث المهمة عليه ولا يحار أو يداهن فيها بل يتحملها بسعة الصدر والإخلاص والمبادرة دون ضجر وملل^(٣) ، ومع ذلك كلام الشارحين هذا يبقى ناقصاً في الفهم الكلي لمقصد الإمام عليه السلام وما يستلزمه معنى سعة الصدر بدون إفراط وتفريط لا شدة ولا لين ، لكن هناك التفاتة جميلة من الشيرازي في القول أنَّ من وسع صدره اخذ وإعطاء وإغضاء يقبلونه الناس سيدياً ورئياً^(٤) .

فافتقار القيادي إلى روح السماحة والاعتدال وافتقاده صفة اللين واتسامه بالخشونة فانه من البديهي ما تصاب مشاريعه وبرامجه بنكسات ويتفرق الناس من أمامه، وهكذا نلاحظ أنَّ قول

راجعون وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد ثم أقبل الحسين على مروان وقال : ويحك ! أتأمرني ببيعة يزيد وهو رجل فاسق ! لقد قلت شططا من القول يا عظيم الزلل) ، الكوفي ، الفتوح ، ١٧/٥ .

١ - يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الاطار إلى الاسود بن قطبة صاحب جند حلوان (أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْوَالِيَّ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ، مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْعَدْلِ، فَلْيُكُنْ أَمْرَ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عَوْضٌ مِنَ الْعَدْلِ) فالغرائز والميول النفسية تؤثر سلباً وتمنع تحقيق العدالة ولا يوجد في الجور عوضاً عن العدل . نهج البلاغة ، ص ٦٨٧ .

٢ - نهج البلاغة ، ص ٧٦٤ .

٣ - ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٤٠٧/١٨ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٣٣٨/٥ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٥٢/٥ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢٥٣/٢١ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٣٢٨/٤ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٣-٣٤/١٠٧ .

٤ - توضيح نهج البلاغة ، ج ٣٤٩/٤ .

الإمام علي عليه السلام يحتوي على منهج كلي وأساسي عند تولي القيادة والرئاسة فالاعتدال يحدد العلاقة بين دوام السلطة و استمرارها في حين أنّ الانحراف يتحول إلى عائق يوقعه في الخطأ بل أنّ انحراف المحيطين بالقيادي تؤثر سلباً في القيادي نفسه ومن ثم علاقته بالمرؤوسين كما في قول الإمام عليه السلام إلى مالك الأستر (و لا تُدخِلَنَّ في مشورتِكَ بخيلاً يعدلُ بكَ عنِ الفضلِ، وَ يَعِدُكَ الفقرَ، وَ لا جباناً يُضعِفُكَ عنِ الأمورِ، وَ لا حريصاً يُزيِّنُ لَكَ الشرَّ بالجورِ، فإنَّ البخلَ وَ الجُبْنَ وَ الحرصَ عَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ)^(١) فالبخل والجبن والحرص تأخذ جانبي الإفراط والتفريط السلبي المؤثر .

فتشخيص الاعتدال خطوة أولى لاستمرار السلطة و الثقيف لمسار الوسطية والاعتدال في التعامل مع المحكومين هو الخطوة الثانية فالوسطية والاعتدال هما سمتان وخاصيتان بل هما قاعدة أساسية يجب أنّ تتوافر في القائد كي لا تنتسم قيادته بالانحراف وتسود الفوضى والأمن في ظل القيادة المنحرفة، يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الإطار في وصية لمالك الأستر (و ليكنُ أَحَبَّ الأمورِ إِلَيْكَ أوسطُهَا في الحَقِّ، وَ أعمُّهَا في العَدْلِ، وَ أَجمَعُهَا لِرِضَى الرِّعِيَّةِ، فإنَّ سُخْطَ العَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الخَاصَّةِ، وَ أنّ سُخْطَ الخَاصَّةِ يُعْتَقَرُ مَعَ رِضَى العَامَّةِ)^(٢) .

توظيف الوسطية والاعتدال في السياسة يحقق التوازن من طرفي الإفراط والتفريط فالقائد له حق الطاعة على الرعية ولكن في حدود مصالحهم وما يعود عليهم بالنفع وعلى الرعية أنّ تستجيب لمطالب القائد ولكن في نطاق الاحتفاظ بهيبة الحكم وسيادته بحيث لا يكون مغلوباً على أمره فيتحقق التوازن والاعتدال بالوسطية^(٣) ، والطاعة هنا كمثال للوسطية في السياسة .

١ - نهج البلاغة ، ص ٦٥٤ .

٢ - نهج البلاغة ، ص ٦٥٣ .

٣ - مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٥٣/٤ - ٥٤ .

وبالمحصلة فإن الإمام عليه السلام وضع بعد مهم للحاكم في مجال العدل والمسار الوسطي الذي يفتح المجال لرضى الأكثرية من الناس وهم العامة مقابل سخط الفئة القليلة المتخمة بالفساد والثراء وهم الخاصة لان التوسط والاعتدال والمساواة القانونية هي الأسلوب الأجدر لإدارة المجتمع؛ كذلك قد يكون ذا بعديين وهما رضى الأغلبية التي بهم يحافظ على البلد وبهم تستمر عجلة الاقتصاد، وتنعم الخاصة إذ لم تميز عن العامة لان في التمييز يؤدي الى غضب الأغلبية^(١) ومن ثم حرمان الخاصة .

وربما نجد أن الإمام عليه السلام قد دخل في تفاصيل وجزئيات تطبيق الوسطية في القيادة والإدارة بعد أن أشار إليها بصور عامة من أجل ترسيخ مبدأ العدل والمساواة ، ولعل أهم هذه المرتكزات يمكن أن نطلق عليها السلطة الضابطة والجودة الشاملة والتي تدور رحاها على الاعتدال والوسطية وهي ثقافة ومنهج مهم جداً وغيابها يمثل المحرك الأساسي للفساد والانحراف، يقول عليه السلام في هذا الإطار في كتابه إلى بعض عماله (وَ اَخْلَطِ الشَّدَّةَ بِضِعْثِ مِنَ اللِّينِ، وَ ارْفُقْ مَا كَانَ الرَّفْقُ أَرْفَقَ [أوفق]، وَ اعْتَرِمَ بِالشَّدَّةِ حِينَ لَا تُعْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ، ... حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَ لَا يَبْئَسَ الضُّعْفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ وَ السَّلَامِ)^(٢) .

ومن هنا نجد أن الإمام عليه السلام قد أكد على أن القائد أو الحاكم عليه أن يستعمل الشدة والقوة من غير ظلم وان يستعمل اللين من غير ضعف فيمزج بين الاثنين فتحصل الحالة الوسطى

^١ - ولدينا شواهد تاريخية كثيرة على مر الزمان، منها ما حدث في الدولة العباسية من تنعم الخلفاء والوزراء وغرقهم في الملذات وبنائهم القصور الفارهة والملابس الفاخرة التي كانت تتميز بها الطبقة الخاصة ، وكانت نتيجتها غضب العامة ومن ثم سقوط الدولة على يد التتار ، للتفاصيل عن بذخ وترف الخاصة في الدولة العباسية ينظر : الشمري وآخرون ، البذخ والترف عند الخلفاء في العصر العباسي ١٣٢-٦٥٦ هـ ، ص١٣٨ وما بعدها .

^٢ - نهج البلاغة ، ص٦٤٠ - ٦٤١ .

المعتدلة التي يجب أن تتوافر في الحاكم، فالشدة المحضة توجب اليأس عن الوالي كما أن اللين المحض يوجب تفتير الناس ، فبالتوسط والاعتدال تحصل الاستقامة^(١) والطريقة المثلى في الإدارة فلا شدة دائمة ترهق وتنفّر ولا لين مستمر يقود إلى الضعف والتراخي . وكلام الإمام عليه السلام فيه أكثر من نتيجة ومغزى في إطار موضوعنا (تنظيم وبناء الشخصية الحاكمة) يمكن إجمالها بما يأتي :

١- تحقيق مفهوم الجودة والإتقان في العمل من خلال الأسلوب وطريقة التعامل المتبع مع

المحكومين

٢- منطلق فكري يرمي إلى التنقيف بأسلوب الإدارة السلبي المتمثل بالشدة المحضة أو اللين

المحض .

٣- مفهوم الشدة واللين مفهوم شمولي يشمل جميع محاور ومفاصل السياسة ولا يتعلق

بجانب دون آخر .

ونجده عليه السلام يجدد المرتكزات والفكرة بكلام مرادف إلى سابقه في كتابه إلى بعض عماله إذ

قال عليه السلام (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلَ بَلَدِكَ شَكَّوْا مِنْكَ غِيظَةً وَفَسُوءَةً، وَاحْتِقَارًا وَجَفْوَةً، وَنَظَرَتْ

فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنَّ يُدْنُوا لِشِرْكِهِمْ، وَ لَا أَنْ يُفْصَلُوا وَ يُجْفَوُوا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسَ لَهُمْ جُنَابًا مِنَ اللَّيْنِ

تَشْوِبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشَّدَّةِ، وَ دَاوَلَ لَهُمْ بَيْنَ الْفُسُوءَةِ وَ الرَّأْفَةِ، وَ امْرُجَ لَهُمْ بَيْنَ النَّقْرِبِ وَ الْإِدْنَاءِ، وَ

الْإِبْعَادِ وَ الْإِفْصَاءِ. أَنْ شَاءَ اللَّهُ)^(٢) ، أبرز الإمام عليه السلام في هذا النص ثلاثة مرتكزات وقواعد

^١ - ينظر : الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣/١٥٥-١٥٦ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٤/١٧ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٥/١١٩ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٤/٤٨٤-٤٨٥ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤/١٢٣-١٢٤ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤/٢٥ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢٩-٣٠/٢٥-٢٦ ؛ الخوئي ، منهاج البلاغة في شرح نهج البلاغة ، ٢٠/١٢٨ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ٥٦٧ .

تعامل القيادي مع المحكومين بصورة عامة والمشاركين بصفة خاصة لأنَّ كلام الإمام عليه السلام موجه إلى عامل الإمام عليه السلام وطريقة تعامله مع الدهاقين وهي :

القاعدة الأولى : أنَّ يلبس لهم جلباباً من اللين يشوبه بطرف من الشدة ، فلا شدة خالصة ولا لين وإنما اتخاذ الحد الوسط والاعتدال في المعاملة كي لا يطمعوا في اللين ويخرجوا عن الحدود ويتمردوا على الحاكم ظناً منهم أنَّ اللين إنما هو ضعف في الحاكم أو القائد^(١) ، وهذه هي القاعدة الأولى في البناء القيادي بسلوك طريق الوسطية والاعتدال في التعامل مع المحكومين وهي من جنس ما تم ذكره سابقاً .

القاعدة الثانية : المداولة بين القسوة والرأفة ، فتارة قسوة وتارة أخرى رأفة فتحدث حالة الاعتدال ولما في ذلك من كسر عاداتهم ودفع شرورهم^(٢) .

القاعدة الثالثة : المزج بين التقريب والإدناء والأبعاد والإقصاء ، فلا يدنو كل الدنو لأنهم مشركون ولا يقصيههم كل الإقصاء لانهم معاهدون بل سلوك منهج متوسط^(٣) .

وعليه فإن هذه القواعد والمبادئ إن دلت على شيء إنما تدل على الأسلوب المثالي للإدارة وسبل الارتقاء به ديمقراطياً من خلال البناء القيادي ونهج التوسط في إدارة العلاقات مع المحكومين ، بيد أنَّ التوسط والاعتدال في فكر الإمام علي عليه السلام لا يقتصران على أسلوب

^١ - الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٩٠/٤ .

^٢ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٣٧/١٥ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٣٩٨/٤-٣٩٩ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٩٠/٤ .

^٣ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٣٧/١٥ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٣٩٨/٤-٣٩٩ ؛ الخوئي ، الدرر النجفية ، ص ٣٠٧ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٦٣/٣-٤٦٤ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢٥-٢٦/٥١ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٢٢/٣ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤٣٢/٣ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، ٥٥/٣ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٩٠/٤ .

التعامل فحسب وما شخصه من قواعد كي يتسم بالحكم المثالي والديمقراطي بل هو أشمل من ذلك إذ حتى الحركات الجسدية لها دور في فكر الإمام عليه السلام وتجلي هذا المفهوم في قوله عليه السلام (و) **أَخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَ ابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَ آسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَ النَّظَرَةِ، وَ الْإِشَارَةَ وَ النَّحِيَّةَ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَ لَا يَبْتَئِسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ**(^١) .

وقد وضع الإمام علي عليه السلام في النص المتقدم أن دقائق الأمور: الحركات الجسدية، لحظات العيون، والنظرات وكذلك الإشارة والتحية للقائد أو الحاكم أو الوالي إلى آخره من المسميات الدالة على الرئاسة والزعامة، يجب أن لا تكون في خانة الإفراط والتفريط فلا يشير أو ينظر إلى واحد دون آخر لأنها ذات وقع مهم في القيادة المثلى فيجب أن لا يفرط الحاكم أو يفرط بل يجب أن يعتدل في لحظاته ونظراته، والفلسفة من ذلك حتى لا يطمع العظماء في حيفه ولا يبتأس الضعفاء من عدله أي لا يحصل الانحراف في الإدارة فعندما يرون الاعتدال والتوسط في دقائق الأمور لا يجروون على ظلم أحد وعندما يرى الضعفاء هذا الاعتدال والمساواة لا يدخل إلى قلوبهم اليأس من عدل الحاكم وإنصافه بل يكون على يقين بأنه في حصن حصين بحاكمه(^٢) ، فلكي يعتدل ويتوسط الحاكم بين طمع العظماء ويأس الضعفاء يجب أن يعدل ويساوي لحظاته ونظراته بدون إفراط أو تفريط . ويمكن ادراك جملة أمور في هذا الطرح :

^١ - نهج البلاغة ، ص ٦٤٠ - ٦٤١ .

^٢ - ينظر: الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣/١٥٥-١٥٦ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٤/١٧ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٥/١١٩ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٤/٤٨٤-٤٨٥ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤/١٢٣-١٢٤ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤/٢٥ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢٩-٣٠/٢٥-٢٦ ؛ الخوئي ، منهاج البلاغة في شرح نهج البلاغة ، ٢٠/١٢٨ .

١- إن نهج الاعتدال والوسطية بوصفه منهجاً سلوكياً من أهم سمات المجتمع المدني

المتحضر ليس طارئاً أتت به النظم الحديثة بل ثابت أصل ووجود له جذوره الضاربة في

عمق التاريخ .

٢- تأسيس الإمام عليه السلام لسيادة العدالة وتحجيم مساحة الظلم والانحراف .

٣- العامل المعنوي مؤثر في فلترة المشكلات .

٤- التوسط والاعتدال لا يقعان على المظاهر الخارجية للإنسان فحسب بل يشملان الجوارح

كذلك كاللسان .

٥- نهج الاعتدال في الإطار السياسي تتحول فيه القيادة إلى قيادة مثلى ومجتمع مثالي

أنموذجي غير طبقي ، فهي من الأسس والمرتكزات لحب الناس وتعلقهم بالقائد وهو ما

يضمن أيضاً الطاعة منهم والنجاح في إدارتهم وكما يقول القرآن واصفاً النبي (صلى الله

عليه واله وسلم) ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ

حَوْلِكَ﴾^(١) .

والشيء المهم الذي يمكن أن نستخلصه من جملة ما مر أن الإمام علي عليه السلام أسس

نظاماً سياسياً ديمقراطياً دبلوماسياً إنسانياً ومدنياً لأنه نهجه ومرتكزه الأساس التوسط والاعتدال

ومع كل ذلك فهو نظام متين محكم وقوي، فيه حقوق وواجبات تترتب على الحاكم والمحكوم وهذا

ليس ثمرته كلام بل أن ما تقدم مصداق له كما له توثيق في نهج البلاغة في قول الإمام عليه السلام (ثم

جَعَلَ- سُبْحَانَهُ- مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَنَكُّافاً فِي

وُجُوهِهَا، وَ يُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَ لَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ. وَ أَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ-

سُبْحَانَهُ- مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَ حَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا

^١ - ال عمران / ١٥٩ .

اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- لِكُلِّ عَلَى كُلِّ، فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأَلْفِنِهِمْ، وَ عَزًّا لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ، وَ لَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ، فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَ أَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَ قَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَ اعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَ جَرَتْ عَلَى أَدْلَالِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَ طُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَ بَيَّسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ. وَ إِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَبَاهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرِعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَ ظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَ كَثُرَ الْإِدْعَاؤُ فِي الدِّينِ، وَ تَرَكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَ عَطَلَتْ الْأَحْكَامُ، وَ كَثُرَتْ عَلَلُ النَّفُوسِ...^(١).

فالأفراط أو التفريط له مساوئه السلبية على جميع مفاصل الدولة ، وعليه فإن ما ذكره الإمام عليه السلام لا يتعدى هذه النتيجة لذلك ركز على أن منهج التوسط والاعتدال يجب أن يشمل دقائق الأمور كالحركات والنظرات وتعابير الوجه فضلاً عن الأمور الأخرى كالحكم والقضاء كما في قوله عليه السلام إلى عامله عبد الله بن عباس (سَعِ [مَنْعَ] النَّاسِ بِوَجْهِكَ وَ مَجْلِسِكَ وَ حُكْمِكَ، وَ إِبَاكَ وَ الْعَضْبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَ اعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ، وَ مَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ)^(٢).

ويرى شارحون أن قول الإمام عليه السلام إلى عبد الله بن عباس أن يسع الناس بوجهه كناية عن البشر والطلاقة وان تكون دائماً بادية على وجه الوالي فلا يقطب جبينه ولا يلقبهم بالعبوس، ويسعهم في مجلسه كناية عن التواضع فلا كبر عنده ولا كلام فحش، والحكم كنى بها عن العدل لا جور فيه ولا ظلم بل يكون منصفاً عادلاً لان حكم العدل يسع كل أحد والجور ضيق لا يتحملة الكل، فلا يخص الناس بشيء من ذلك سواء في تعابير الوجه أم المجلس أم الحكم بل

^١ - نهج البلاغة ، ص ٥٠٠-٥٠٢ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ٧١١-٧١٢ .

يساوي الكل فيها^(١) ، وهذا الكلام سليم وصحيح لكن هناك أيضاً نقطة محورية ومهمة في كلام الإمام عليه السلام وهي أن لا يحصل مغالاة أو تقصير في هذه المحاور الثلاثة من الحكم بل أن يكون الحاكم معتدلاً متوسطاً فيها بين الجميع أي أن جميعها يجب أن تتصف بالتوسط والاعتدال فلا يفرط فيخص فئة تكون مقربة إليه ولا يفرط ويظلم فئة بعيدة عنه .

توجيه وتنظيم الإطار العسكري وعلاقته بالقيادة

أتى الإمام علي عليه السلام بتنظيم إداري جديد يختلف عن الأسلوب الذي كان سائداً قبله والذي يعد من أعمق وأدق الأساليب التنظيمية التي أغنت الفكر العسكري بالتجارب القيادية والممارسات الميدانية والتخطيط والتنفيذ التي ربما نجد بعضها واضحة في العلوم العسكرية المعاصرة ، فقد أسهمت المكونات الفكرية للإمام علي عليه السلام من ناحية والوراثة من ناحية أخرى وتراكم الخبرة في ميدان القتال من ناحية ثالثة^(٢) في صياغة قائد فذ لا يمكن أن يكرره التاريخ ، بغض النظر عن كونه إماماً فإن شخصيته العسكرية شخصية مثالية لا بد أن يحتذى بها وتُدرس على نطاق الكرة الأرضية .

وفضلاً عن ذلك فإن الإمام عليه السلام كان له دور في تنظيم الإطار العسكري وتوجيهه وفق منهج ومسار الاعتدال والتوسط مما جعل نمط القيادة العسكرية تنفرد بالمثالية لأنها قائمة على

^١ - ينظر: الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢٥٨/٣ ؛ كيزري بيهقي ، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٥٩٥/٢ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٢٣٣/٥-٢٣٤ ؛ شرح نهج البلاغة (الصغير) ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٩٣/٥-١٩٤ ؛ انصاربان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، ص ٣١٧ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٤٠٦/٢٠ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٥٣/٤ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢٠٠/٤ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٣-٧٤/٣٢ ؛ التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٣٠/٩ .

^٢ - للاطلاع على مصادر فكر الإمام عليه السلام العسكرية ، ينظر : المياحي ، الإمام علي عليه السلام دراسة في فكره العسكري ، ص ١٥٥ فما بعدها .

نظام وتنظيم محكم لا إفراط فيه ولا تفريط لا غضب ولا لين وضعف فأخذت أبعادها على الشخصية القيادية المنضبطة التي حدد منطلقاتها الإمام عليه السلام وفق أسس التوازن والتكامل بين البناء الفكري السلوك السليم واستخدام القوة العسكرية من غير أن تطغى أحدهما على الأخرى فتأخذ جانب الانحراف، وخير مصداق على هذا الكلام وصفه لمالك الأشتر في كتاب إلى أميرين من أمراء جيوشه^(١) (وَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمَا وَ عَلَى مَنْ فِي حَيْرِكُمَا مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرُ، فَاسْمَعَا لَهُ وَ أَطِيعَا، وَ اجْعَلَاهُ دِرْعاً وَ مِجْتاً فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهُنْهُ وَ لَا سَفَطْتُهُ وَ لَا بُطُوهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمٌ، وَ لَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطُءُ عَنْهُ أُمْتَلُ)^(٢) . فالقيادة العسكرية جعلها الإمام عليه السلام لمالك الأشتر لأنه يضع الأمور موضعها ، فلا يهين ويضعف ولا يغلظ في المحاربة بل يكون متوسطاً بينهما واضعاً كل امر في محله هذا الجانب الأول ، الجانب الثاني لا يسرع إلى عمل إذا كان اللازم عدم الإسراع ولا يترك السرعة إذا كانت السرعة هي اللازمة^(٣)، فهو يمتلك أهم المؤهلات العسكرية وأهمها العقلانية والاعتدال ، وفي هذا الكلام يذكر الإمام عليه السلام صفات ومؤهلات وخبرة مالك الأشتر العسكرية بصورة عامة ولكن في ذات الوقت هو تنظيم من جانب وقواعد يجب أن تتوافر في كل قيادة عسكرية من جانب آخر والتي يؤكد فيها صفة التلازم والاقتران بين التوسط والاعتدال ووضع كل شيء محله وبين الشخصية القيادية العسكرية .

ولقد أبرز لنا ما مر جملة أمور أهمها : إن استقرار النظام العسكري مرهون ومنوط بعقل
مسئولية فاذا لم تكن العقلانية موجودة يتهدأ وينهار الجيش ويأخذ طرفي الإفراط أو التفريط ، و

^١ - الأميران هما زياد بن النضر، وشريح بن هاني ، ينظر ، المنقري ، وقعة صفين ، ص ١٥٢-١٥٤ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ٥٦٥/٣ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ٥٦١-٥٦٢ .

^٣ - ينظر : الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣٥/٣ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٠٢/١٥ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٣٨٢/٤ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٥٢/٣ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٦٩/٤ ؛ دخيل ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣٦/٢٦-٢٥ .

أنَّ الكفاءة لا تُحدد بالقتال فحسب فليست الكفاءة قتالية وإنما الكفاءة الفنية والإدارية التي لها أهمية خطيرة ، ومن مقتضيات وأمانة اختيار الأدوار القيادية وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، إذ أنَّ الاعتدال والتوسط ووضع كل شيء في محله تجعل القيادة العسكرية قيادة مثلى وتكون القرارات العسكرية لا تتطلب المناقشة وأبداء الراي .

ونجد أنَّ الإمام عليه السلام قد أعاد التركيز على هذه القواعد سالفة الذكر لأنها تكون معول هدم في حال الإسراف والشدة أو الضعف تفضي بالاستراتيجية العسكرية والتكتيك العسكري والقوى القتالية إلى الهاوية فيقول عليه السلام إلى مالك الأشتر عندما ولاه مصر (قَوْلٌ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِإِمَامِكَ ، وَ أَنْقَاهُمْ جَبِيًّا ، وَ أَفْضَلَهُمْ حِلْمًا مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ ، وَ يَسْتَرْيْحُ إِلَى الْعُدْرِ ، وَ يَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ ، وَ يَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ ، وَ مِمَّنْ لَا يُبِيرُهُ الْعُنْفُ ، وَ لَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ)^(١) .

وهناك اتفاق بين الشارحين إلا في بعض الجزئيات أنَّ الإمام عليه السلام يأمر مالك أن يولي من جنوده ممن لا يكون له عنف فيثيره ولا يقعد به الضعف عن إقامة حدود الله فيتدبر العواقب فيعمل بموجبها شأن العاقل الحكيم فهو يلين من غير ضعف ويقوي من غير عنف^(٢) ، وهذا هو بيت القصيد الذي نحاول الوصول إليه والذي يمكن استنتاجه من قول الإمام عليه السلام أن يكون

١ - نهج البلاغة ، ص ٦٥٨-٦٥٩ .

٢ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٥٢/١٧ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ١٦٠/٥ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٧١/٤ ؛ التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٥٣٣/٨ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ١٦١/٤ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٥٠/٥ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، ٢٥٤/٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢٩-٧١/٣٠ ؛ المحمودي ، نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة ، ٦٩/٥ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢٠٦/٢٠ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة واسانيده ، ٣٩١/٣ .

متوسطاً معتدلاً لا لين ولا عنف بل يضع الأمور موضعها . ومع هذا فان كلام الإمام عليه السلام يضعنا أمام جملة من الأمور المهمة في إطار التنظيم العسكري يمكن أن ندرجها بما يلي :

١- الشخصية العسكرية تتكون من صفات تجعل من تلك الشخصية مثالية ذات نفوذ وهيبة

فلا عنف ولا ضعف بل الأمر بين الأمرين الذي يجعلها ذات هيبة نافذة .

٢- اقتران الوظيفة العسكرية بمفهوم الأمانة فتحدد بالأطر التي رسمتها الشريعة، وما يدل

على ذلك قوله عليه السلام أن يختار أنقاهم جيئاً .

٣- انه يتقن ويضع قاعدة ومرتكزاً أساسياً على ارتباط مفهوم القيادة العسكرية بالأبعاد

الإنسانية وهذا ما نفهمه من قوله عليه السلام (يرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء).

٤- إن القوة ليست معياراً ليكون جندياً فاعلاً يحتل مرتبة الجدار بل لابد من سلامة العقيدة

وهو ما بينه قوله عليه السلام (قول من جنودك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك).

كذلك ما يلاحظ أن البعد الزمني لم يُفرض على العلاقة بين منهج الإمام التنظيمي والتطبيق

الواقعي بحيث يفرض على التطبيق مساراً آخر لا علاقة له بالأفكار وهذا الجانب المميز الذي

ينفرد به منهج التنظيم والتوجيه العلوي ، ولإتمام ترقية وتنظيم الإطار العسكري لم يغفل الإمام

عليه السلام أثر الوسطية في التنظيم الميداني إذ أوجزه الإمام عليه السلام في نص واحد لكن يكاد أن يكون

متكاملاً وشاملاً إذ يقول في وصية لمعقل بن قيس الرياحي^(١) حين أنفذه إلى الشام (اتَّقِ اللَّهَ

^١ - معقل بن قيس أو أبو عبد قيس الرياحي من بني يربوع. أدرك عصر النبوة . وأوفده عمار بن ياسر على عمر ، بشيرا بفتح تستر ، ووجهه على بني ناجية حين ارتدوا . ثم كان من أمراء الصفوف يوم الجمل . وولي شرطة علي بن أبي طالب عليه السلام ثم كان مع المغيرة بن شعبة في الكوفة ، فلما خرج المستورد بن علفة جهز المغيرة معقلا في ثلاثة آلاف وسيره لقتاله ، فنشبت بينهما معركة على شاطئ دجلة ، فتبارزا ، فقتلا معا ، الزركلي ، الاعلام ، ٢٧١/٧ .

الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ، وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ. وَ سِرِّ الْبُرْدَيْنِ^(١)، وَ غَوْرَ النَّاسِ، وَ رَفَّةَ فِي السَّيْرِ، وَ لَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا، وَ قَدْرَهُ [جعله] مُقَامًا لَا ظِعْنَ، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ، وَ رَوْحَ ظَهْرِكَ. فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ [ينبليج] السَّحَرُ، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ [ينفجر] الْفَجْرُ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَفَقِّ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطًا، وَ لَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوًّا مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُشِيبَ الْحَرْبَ. وَ لَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي، وَ لَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَتَائِهِمْ [سبابهم] عَلَى قِتَالِهِمْ، قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ^(٢).

وأولى المبادئ التي أشار إليها الإمام علي عليه السلام في التنظيم العسكري الميداني في النص المتقدم تتجسد في مسلك الوسطية في زمن ووقت المسيرة الحربية ، المتمثلة بأن يسير البردين ويغور في الناس ولا يسير أول الليل والسير وقت السحر أو حين ينفجر الفجر ، ومن ثم فإن سير البردين هو الفجر والعصر، فالفجر أو الغداة وسط بين سكن الليل وبين غور النهار، والعشي الذي هو وقت العصر وسط بين غور النهار أو الظهر وبين سكن أول الليل الذي يشير إليه الإمام علي عليه السلام والفلسفة من ذلك لان الأرض والجو يكون بارداً ورطباً في وقت البردين فلا يتأذى العسكر من الحر وما معه من دواب في حين أن وقت الغائرة وأول الليل هما إفراط وتقريط لان وقت الغائرة يكون السير فيه شاقاً صعباً وموجباً للإرهاق فهو وقت اشتداد الحر في نصف النهار، وأول الليل وقت منام الناس فإن الله جعله للسكون وقدرة مقاماً يستراح فيه من المتاعب لا ظعنًا للسفر^(٣) . وهناك إichاءات في كلام الإمام عليه السلام يمكن أن نستجليها بما يأتي :

^١ - البردين: البردان والأبزدان وهما الغداة والعشي ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٨٤/٣ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ٥٦٠-٥٦١ .

^٣ - ينظر: كينزي بيهقي ، حقائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٤٠١/٢ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٩٣/١٥ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ؛ ٣٨١-٣٨٠/٤ ؛ السرخسي ، اعلام نهج البلاغة ، ص ٢٣٢ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٦٦-١٦٧/٤ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٥٠/٣-٤٥١

١- أثر مسلك الوسطية في وقتي الغداة والعشي بحيث يكون الجند في أوج قوتهم لم تستهلك

الحركة نحو العدو من وقتي الإفراط والتفريط لا سيما نصف النهار وأول الليل .

٢- يشير الإمام عليه السلام إلى أن هناك أوقاتاً بيولوجية للإنسان وهي أوقات النشاط المناسبة

لجسم الإنسان وتأثيرها في القوى البدنية^(١) .

٣- تجد الإشارة الى أن هذه الأوقات الزمنية التي ذكرها الإمام عليه السلام ليست قطعية بل هو في

موضع التتقيف إلى افضل الأوقات التي لا يكون فيها إفراط أو تفريط والتأثير في قوة

الجيش ونشاطه.

أيضاً نجد أن الإمام عليه السلام أشار إلى طريقة السير بالجنود ، لا سرعة وينتشت الجند ولا بطئ

فيؤدي إلى الملل في قوله المتقدم (وَ رَفَّهُ فِي السَّيْرِ) .

إما فيما يخص آراء الشارحين فكان هناك تباين في آرائهم إذ أشار الرأي الأول إلى أن

مقصد الإمام عليه السلام أن يريح الخيل والأبل والناس ويهون ولا يتعب^(٢) ، في حين أشار الرأي الثاني

إلى أن مقصد الإمام عليه السلام أن الرفق في السائرين ولا يوجفهم كي لا تتعب الركاب والركبان ولا

يتفرقوا ولا يتخلف الضعيف ويحلق القوي ومن ثم لا يظهر التعب على الناس لحاجتهم إلى القوة

؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٨/٨٨-٨٩ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٣/٤١٢ ؛

انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، ٣/٤٠ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٣/١٥ ؛ دخيل

، شرح نهج البلاغة ، ٢٥-٢٦/٣٤ ؛ المحمودي ، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ، ٢/٧٧-٧٨ ؛ عبد

الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة واسانيد ، ٣/٢١٤ .

^١ - ينظر في ذلك: غالغر - محرر الصحة بي بي سي ، ساعة الذروة والتغيرات التي تصاحبها في جسم الإنسان

www.bbc.com.

^٢ - ينظر: الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣/٣٤ ؛ كيزري بيهقي ، حقائق الحقائق في شرح

نهج البلاغة ، ٢/٤٠١ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٣/١٥ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار

الانوار ، ٣/٥٢٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢٥-٢٦/٣٤ .

والاستجمام فيكون السير عادلاً لا سريعاً^(١) ، وهذا الرأي هو أقرب إلى الواقعية على الرغم من أنهم لم يسيروا إلى النقطة المحورية والقصدية من كلام الإمام عليه السلام فكيف يكون السير عادلاً بحيث يناسب القوي والضعيف ويرفه بالناس بالتوسط والاعتدال لا سرعة مفرطة ولا ببطء .

وبالتأكيد فإن الإمام عليه السلام لم يقتصر على ما تقدم بل أشار أيضاً إلى مسلك الوسطية على أرض الميدان في بعدين تنظيميين الأول قوله عليه السلام في النص الذي تقدم (فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَفَقِّ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطًا) أي أن يكون في وسط الجيش وقلبه لا في الطرفين فيحدث إفراط وتفریط والفلسفة من ذلك لان التوسط يكون اسهل في الأمر والنهي والتسلط عليهم وعلى اتصال مستمر بهم وتكون نسبته إلى كل الجوانب واحدة فاذا كان في أحد الطرفين بعد عن الطرف الآخر فربما يخنل نظام الجند ويضطرب^(٢) ، ومن ثم فان النتيجة المستحصلة أن موقع القائد يجب أن يكون في وسط الجيش لان هناك فلسفة من ذلك وهي أن وجوده في أحد الأطراف يحدث خللاً وإفراطاً وتفریطاً في التنظيم والإشراف ومن ثم على نتيجة سير المعركة على أرض الميدان .

البعد التنظيمي الثاني موقعه بالنسبة للعدو فلا (لَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوًّا مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ. وَ لَا تَبَاعَدُ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ) ، فيكون وسطاً لا يقترب منهم فيشعروا بانه

^١ - ينظر: البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٣٨٠/٤-٣٨١ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٨٧/١٨-٨٨ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٥٠/٣ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٦٧/٤ .
^٢ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٩٤/١٥ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٣٨١/٤ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٥٠/٣ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤١٢/٣ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٠٩/١٨ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٦٧/٤ .

يريد إيقاد الحرب وإشغالها ، ليكون اعذر عند الله إلى القوم في دعائهم إلى الحق ولا يبتعد عنهم مفرطاً فيكون موهماً لهم انه لضعف وخوف منهم وفزعه من الحرب فيطمع العدو فيه^(١) .

١ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٩٥-٩٤/١٥ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٣٨١/٤ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٦٧/٤ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١١١-١١٠/١٨ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤١٢/٣ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٥١/٣ ؛ التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٥١٠/٣١ .

الفصل الثالث

المسارات التثقيفية وطابعها

الشمولي

المبحث الأول

مسار القواعد الوقائية

أن فكر الإمام علي عليه السلام الذي نحن بصدده يمثل القواعد الوقائية غير أن اختيار هذه المفردة ليس فيه خصوصية لأن ما تقدم من موضوعات كلها ينطبق عليها النمط الوقائي سواء كانت في الجانب الديني أم السياسي أو الاقتصادي فجميعها تقع في خانة الوقاية من الانحراف أو الغلو أو الإفراط والتفريط ، إلا أن ما يميز الموضوع قيد الدراسة هو أن الإمام عليه السلام يضع قواعد وقائية بمفهومها المادي التي تعمل بوصفها عوائق ومصدات للاحتراز من الوقوع في الخطأ .

وطبيعي أن تحقق لنا تلك القواعد منهجاً ومساراً يوصلان إلى الاستقامة لأن مرتكزها الأساس هو الوسطية لكن ينبغي أن نفهم أن تشخيص الإمام عليه السلام لتلك القواعد في بعض الأحيان قد يكون بحسب متطلبات المرحلة أو الحالة التي تستوجب الالتزام والتقيد في هذه القاعدة ، بالمعنى ليست قاعدة تنطبق على كل الحالات لأن الظروف المحيطة بها قد تتغير أو بالعكس قد تكون قاعدة تنطبق على كل حالة لأن الظروف والمواقف متشابهة تماماً ، وربما خير دليل على ذلك ومن خلال الاطلاع على نهج البلاغة نجد أن الإمام عليه السلام يضع قواعد عامة لمعرفة الحق مثلاً قاعدة أعرف الحق تعرف أهله كما في قوله للحارث بن حوط⁽¹⁾ عندما أتاه وقال له أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة ؟ فقال عليه السلام (يَا حَارِثُ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَ لَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحَرَّتْ! إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ، وَ لَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ

¹ - لم اعثر له على ترجمة .

أَتَاهُ [إِبَاه] فَقَالَ الْحَارِثُ: فاني أعتزل مع سعيد بن مالك^(١) وعبد الله بن عمر فقال عليه السلام أن سعيداً وَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ، وَ لَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ^(٢)، لكن قد تختلط الموازين ولا يمكن فيها معرفة الحق من الباطل ، فيضع الإمام عليه السلام هنا القاعدة الوقائية البديلة في قوله عليه السلام (كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَأَبْنِ اللَّبُونِ، لَا ظَهْرٌ فَيُرَكَّبُ، وَ لَا ضَرْعٌ فَيُحْتَلَبُ [فيحتلب])^(٣) ، فالابن اللبون إذ استكمل سنتين ودخل في الثالثة فلا له قوى فيستعمل للركوب ولا له ضرع فيحلب^(٤) .

إن الابن اللبون هنا لا يمكن الاستفادة منه في الحالتين لا يُرَكَّبُ ولا يُحْتَلَبُ لكن الإمام عليه السلام هنا أراد المفهوم دون المنطوق، والمعنوي دون المادي فقرب الفكرة بضرب مثال قريب من الأذهان وهو الابن اللبون وكان الكلام هادفاً لبلورة قاعدة وقائية عند الفتنة واشتباه الأمور وهو التوسط بين الفائدتين فلا يستفاد منه عند الفتن بنفسه وموقفه ولا ماله ، ومن ثم يمتلك قاعدة يؤدي التمسك بها إلى الوقاية من الانحراف لأنه عند اشتباه الأمور في الفتن بكل أنواعها سواء كانت عقائدية أم فكرية أم سياسية... الخ من الفتن وعدم معرفة جبهة الحق من الباطل فامتلاك هذه القاعدة والعمل بها أوفق لأنه غالباً ما تؤدي الفتن إلى أن يفقد الإنسان قوامه الباطني ويبدأ

^١ - سعيد بن مالك بن بحدل بن أنيف بن دلجة ابن قنافة بن عدي أخو حسان بن مالك ولي امرة قنسرين والجزيرة في أيام يزيد بن معاوية حتى أخرجه زفر بن الحارث حين وقعت الفتنة، وإليه ينسب دير ابن بحدل من إقليم بيت الآبار أقطعه إياه يزيد بن معاوية ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢١/٢٩١ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ٧٨٦-٧٨٧ .

^٣ - نهج البلاغة ، ص ٧١٧ .

^٤ - ينظر : بيهقي خراساني ، معارج نهج البلاغة ، ص ٣٩٧ ؛ الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣/٢٦٧-٢٦٨ ؛ كيزري بيهقي ، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٢/٥٩٩ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٨/٨٢-٨٣ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٥/٢٣٨ ؛ شرح نهج البلاغة (الصغير) ، ص ٢٩١ ؛ السرخسي ، اعلام نهج البلاغة ، ص ٢٩١ ؛ الخوئي ، الدررة النجفية ، ص ٣٥٢ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤/٢٦١ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٥/٢٠٦ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣١-٨٠/٣٢ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢١/٧-٨ ؛ المحمودي ، نهج السعادة في شرح نهج البلاغة ، ٧/٣٥ .

الجهاز المشكك في المخ فيعيش في دوامة واضطراب فكري قد يؤدي به إلى الزيف والميل عن الجادة .

وانطلاقاً مما تقدم فإن الوسطية أعطت قاعدة وقائية وعدت الانحراف عنها خطراً وخطأ في التصرف بيد أن انتهاجها يحقق النمط الوقائي ، مع العلم أن القواعد الوقائية بمفهوم الوقاية من مكامن الخطر والانحراف والأعداء لا تقتصر على الأعداء الظاهرين فحسب أن صح قول ذلك بل أن الإمام عليه السلام يضع قاعدة وقائية أيضاً للتخلص من أخطر الأعداء وهو إبليس الذي يعيش حرباً شعواء مع أولياء الله وعبادة ، فيقول عليه السلام (...فَأَطِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصِيَّةِ، وَ أَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَ نَحْوَاتِهِ، وَ نَزَغَاتِهِ وَ نَفَثَاتِهِ. وَ اعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّدَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ، وَ الْإِقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَ خَلَعَ التَّكْبِيرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ؛ وَ اتَّخَذُوا التَّوَاضِعَ مَسْلِحَةً بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَ جُنُودِهِ؛ فَأَنْ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَ أَعْوَاناً، وَ رَجَلاً وَ فُرْسَاناً....)(^١) .

وما يهمننا في هذا النص هو قول الإمام عليه السلام باتخاذ التواضع مسلحة^(٢) بين الإنسان وإبليس أي أن يكون التواضع وسطاً بين الإنسان وبين إبليس، كالمسلحة المعدة للحماية والدفاع^(٣) ، وهو القاعدة الوقائية من خطر إبليس فكما أن في بعض الحالات لا بد من الحرب لدرء الخطر والوقاية من الاعتداء كذلك اتخاذ التواضع وسطاً يكون كالدرع الواقي من إبليس وجنوده .

١ - نهج البلاغة ، ص ٤٣٢ .

٢ - المسلحة : القوم الذين يحفظون الثغور من العدو ، سموا مَسْلِحَةً لأنهم يكونون ذوي سلاح ، أو لأنهم يسكنون المَسْلِحَةَ ، وهي كالشعر والمرقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة ، فإذا رآوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٨٧/٢ .

٣ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٤٤/١٣ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٢٥٦/٤ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ١٨٦/٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٩-٢٦/٢٠ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢٩٦/٣ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، ٢٣/٣ .

وفي ضوء ما تقدم يمكن أن نسجل بعض النتائج التالية :

- ١- إن التواضع قاعدة تقي من خطر إبليس .
- ٢- النتيجة المهمة التي يمكن التوصل إليها هي أن التواضع عادة ما يكون تعاملًا مع طرف آخر أو هو الحالات الروحية والأخلاقية التي تظهر على الإنسان كالتواضع الفكري والعلمي أو التواضع الاقتصادي كملبس الإنسان إلى غيرها من حالات التواضع التي تظهر نتائجها ومفرداتها في حياة الفرد ومن ثم فإننا لو نأتي لها فهي ليست محل تعامل مباشر مع إبليس، لكن الإمام عليه السلام يريد أن يوصل لنا نتيجة وهي أن إبليس يمكن أن يسيطر على الإنسان في كل شيء وعند اتخاذ التواضع وسطاً فإن ذلك الوسط يحقق لنا تلك النتيجة المهمة وهي الوقاية من سيطرة إبليس وتسلطه على الإنسان .
- ٣- إن القضية لا تعدو عن كونها قضية تربوية فضلاً عن جانبها التثقيفي الوقائي وهي أن الانحراف عن التواضع الذي هو حالة نفسية وروحية سامية، يؤدي إلى التكبر وهو من الرذائل الأخلاقية والتصرفات الشيطانية .
- ٤- قول الإمام عليه السلام (اعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم وألقاء التعزز تحت أقدامكم وخلع التكبر من أعناقكم) أشار إلى كون التذلل أو التواضع فضيلة لا بد أن يحتل المكانة الكبرى والمهمة فشبهه تلك المكانة وذلك التميز بأن يوضع على الراس كالتاج يزين رأس الإنسان في حين أن التعزز أو الشدة والصلابة رذيلة لا تعطى لها مكانة بل يجب أن يكون تحت الأقدام، و أشار إلى رذيلة ونتائج الكبر بانه كالطوق حول رقبة الإنسان لذلك استعار له لفظ الخلع من الأعناق .

و يضع الإمام عليه السلام دلالات خاصة لكي يستطيع الإنسان السير وفقها واتباعها وهم العارفون أو المتقون هم الأئمة عليهم السلام كونهم هم الأدلاء في الفلوات الذين أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باتباعهم، لكن لم يصرح الإمام عليه السلام بأسمائهم وهؤلاء الأعلام المنصوبة هم الذين يقيمون الطريق المستقيم من اليمين والشمال ويضعون قاعدة وقائية أن من سار في هذا الطريق طريق القصد والاعتدال والاستقامة يكون نتيجته النجاة أما من انحرف فيكون نتيجته الهلاك وهي قاعدة عامة غير قابلة للنقض أو التعديل والتغير فيقول عليه السلام في هذا الإطار بعد قوله «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(١) (إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوُقُورَةِ، وَ تُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَ تَتَّقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ، وَ مَا بَرِحَ لِلَّهِ - عَزَّتْ آلاؤُهُ - فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ، وَ فِي أَرْمَانِ الْفُتْرَاتِ، عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَ كَلَمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورٍ يَقْطَعُ فِي الْأَبْصَارِ وَ الْأَسْمَاعِ وَ الْأَفْئِدَةِ، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ، وَ يُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدْلَةِ فِي الْفُلُوتِ [القلوب]. مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمَدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَ بَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَ مَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَ شِمَالًا دَمُوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَ حَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَ كَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تَلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَ أدْلَةٌ تَلْكَ الشُّبُهَاتِ)^(٢).

وقد اختلف الشارحون في تحديد من هم هؤلاء الأدلاء في الفلوات فقالوا عباد الله^(٣) وقال آخر الهداة إلى الله^(٤) وثالث قال هم العارفون^(٥)، ووجه تشبيهم بالأدلاء في الفلوات كونهم هادين إلى سبيل الله كما تهدي الأدلة فهم كالأعلام المنصوبة تدل على الطريق يستطيع السائر أن

١ - النور / ٣٦-٣٧ .

٢ - نهج البلاغة ، ص ٥١٦-٥١٧ .

٣ - الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢٩/٤-٣٠ .

٤ - البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٧٠/٤ .

٥ - مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٣٠٠/٣ .

يهتدي إلى مراده ويصل إلى غايته ويأمن مضلة الطريق وتحير السبيل ومن أخذ من سمت الطريق وواسطة الأمور بشروه بالنجاة من المهالك لأن قصد الطريق يوصل إلى الغاية المطلوبة ومن انحرف عن الجادة إلى طرفي الإفراط والتفريط ذموا إليه الطريق وحذروه من الهلاك الأبدي فهم يرشدون إلى موانع الخطر ويأخذون بأيديهم إلى الحق^(١) ، اذاً في نهاية المطاف يمكن القول أن هؤلاء عباد الله أو العارفون أو غيرها من الأسماء الدالة على الشخصية الإلهية أن صح القول يتقنون لقاعدة وقائية وهي أنه من اتبع الوسط العدل الطريق المستقيم تكون النتيجة النجاة، ومن أخذ الاطراف تكون النتيجة الهلاك.

وتبعاً لذلك فإن قول الإمام عليه السلام هو تثقيف للوقاية من التطرف والانحراف ، ففي الأرض حجج وعباد عارفون هم الذين يقيمون طريق الإنسان وهم الأدلاء والمرشدون إلى طريق النجاة ، ويمكن أن نستنتج أن هؤلاء العباد الذين لم يصرح الإمام عليه السلام باسمهم هم الأئمة عليهم السلام بدليل قول الإمام عليه السلام (وَ مَا بَرِحَ لِلَّهِ - عَزَّتْ آلاؤُهُ - فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ، وَ فِي أَرْمَانِ الْفَتَرَاتِ، عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ) ، وأزمان الفترات هي الفترة بين زمانين أو بين رسولين تخلو من وجود نبي^(٢) كما ورد في معاجم اللغة ، أو هو قول شامل للأئمة عليهم السلام والحجج على العباد لأنَّ الفترة التي سبقت النبي محمد صلى الله عليه وآله كانت خالية من النبوة والإمامة لكنها لم تخلُ من الحجة القائمة على العباد ، و هؤلاء الحجج يتلقون إشارات وتنبهات من عالم الغيب فتكون أفكارهم وتصرفاتهم غير قابلة

^١ - ينظر : كيزري بيهقي ، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٢٣٣/٢ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٧٠/٤ ؛ من اعلام القرن السادس ، شرح نهج البلاغة ، ١٣٤-١٣٥ (فارسي) ؛ الارديبيلي ، شرح نهج البلاغة ، ص ٢٢٠-٢٢١ (فارسي) ؛ الكاشاني ، تنبيه الغافلين وتذكرة العرفين ، ١٣٤-١٣٥ (فارسي) ؛ الانصاري ، شرح نهج البلاغة ، ص ٦٣٠ (فارسي) ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢٩/٤-٣٠ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٣٦٧-٣٦٨ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٢٣-٢٤/٢٨ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٤/٢٥٧ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٢/٢٣٨ ، الشرقي ، شرح نهج البلاغة ، ص ١٣٤ (فارسي) .

^٢ - ينظر : لسان العرب ابن منظور ، ٤٤/٥ ؛ الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٢٥٥ .

للخطأ لأنها مستندة ومستمدة من الذات الإلهية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن هؤلاء لهم أسماع وأبصار وأفئدة ليست كالبشر العادين فهم يرون ويسمعون ما لا نستطيع سماعه أو أن الإمام عليه السلام يقصد السمع والرؤية المعنوية البعيدة للأمر التي لا يستطيع البشر العاديون إدراكها وهذا ما نستشفه في قوله عليه السلام السابق (عباد ناجاهم في فكرهم وكلمهم في ذات عقولهم فاستصبحوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة).

القاعدة الوقائية الأخرى التي يتقف لها أمير المؤمنين عليه السلام لا تختلف عن القاعدة السابقة بل هي من جنسها ومعناها لكن بألفاظ أخرى وترتيب آخر وهذا أن عني شيئاً فإنه يعني حرص الإمام عليه السلام على ضمان سلامة عامة الناس من ناحية وتركيز هذه القاعد في الأذهان من ناحية أخرى كونها هي السبيل الوحيد للنجاة وتدارك الانحراف الى اليمين والشمال ، لهذا أعاد التثقيف له فيقول عليه السلام في هذا السياق واصفاً الغافلين (...إِنِّي أُحَدِّثُكُمْ، وَ نَفْسِي، هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ. فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَ نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَ انْتَفَعَ بِالْعَبْرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدًّا وَاضِحًا^(١) يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي^(٢)، وَ الضَّلَالَ فِي الْمَعَاوِي^(٣) وَ لَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ بَتَعَسُفٍ فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ).^(٤)

فالجدد الواضح هو الطريق المستقيم ومن انحرف عنه ولو باليسير انصرع في مهواه وضل في مغواة لأن الطريق الوسطى هي الجادة واليمين والشمال مزلة ومضلة توجبان الصرعة في

١ - الجدد : الأرض الصلبة المستوية ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١٠٩/٣ .

٢ - المهواة : موضع في الهواء مشرف ما دونه من جبل ونحوه ، ويقال : هوى يهوي هويانا ، ورأيتهم يتهاوون في المهواة إذا سقط بعضهم في إثر بعض ، والهواية والهوة كل وهدة عميقة وما لا يدرك قعره ، ينظر : الفراهيدي ، العين ١٠٥/٤ .

٣ - أرض مغواة أي مضلة ، وواحدتها مغواة وهي حفرة تحفر للذئب ليتم اصطياده ولهذا قيل لكل مهلكة مغواة ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١٤١/١٥ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ٣٢/٢٠ .

٤ - نهج البلاغة ، ص ٣١٢ .

المهاوي والضلال في المغاوي^(١) ، ومن ثم فإن الإمام عليه السلام ثقف أن من يتبع الطريق المستقيم المعتدل يتجنب الانحراف والانزلاق^(٢) وهذا التثقيف لا يعدوا عن كونه قاعدة وقائية يضعها الإمام عليه السلام لتجنب الخطر والعدول عن الجادة إلى الطريق المستقيم الذي يامن معه أن العاقبة تكون له لا عليه .

و أن الإمام عليه السلام لم ينس التثقيف لوقاية الإنسان من سيطرة الآخرين الفكرية ومن الانزلاق في دوامة الجهل من خلال جانبي الإفراط والتفريط الجهل المتعمد والشهوات واتباع القاعدة الوقائية وهو استخدام العلم والعقل وتحكيمه في كل الأمور كونه هو الوسط والاعتدال إذ قال عليه السلام (عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَرْكَنُوا إِلَىٰ جَهَالَتِكُمْ، وَ لَا تَتَّقُوا لِأَهْوَائِكُمْ، فَان النَّازِلَ بِهِذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرْفٍ هَارٍ، يَنْقُلُ الرَّدَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ؛ يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ، وَ يُقَرِّبَ مَا لَا يَنْقَارِبُ! فَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تَشْكُوا إِلَىٰ مَنْ لَا يُشْكِي [لا يبكي] شَجْوَكُمْ، وَ لَا يَنْفُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ).^(٣) .

^١ - ينظر : بيهقي خراساني ، معارج نهج البلاغة ، ص ٢٤٩-٢٥٠ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٢٤٢/٣ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٤٨٨/٢ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٣٨٠/٢ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢١٢/٩-٢١٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٣-١٤/٦٥ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة واسانيده ، ٣٤١/٢ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٥٥/٢ ؛ المحمودي ، نهج السعادة ، ٢٤٨/٢ .

^٢ - هناك حديث يُروى عن الرسول محمد عليه السلام في هذا المعنى إذ يقول عليه السلام (ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تتفرجوا وداع يدعو من جوف الصراط فإذا أراد يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه فإنك أن تفتحه تلجه والصراط الإسلام والسوران حدود الله تعالى والأبواب المفتحة محارم الله تعالى وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم) ، ابن حنبل ، مسند أحمد ، ١٨٣/٤-١٨٤ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٧٣/١ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ١٨٢/١ .

^٣ - نهج البلاغة ، ص ٢١٨-٢١٩ .

أما فيما يخص رأي الشارحين فأشاروا إلى أن عدم الحصول على العلم والركون إلى الجهل والتسليم به والانقياد إلى الأهواء فإنه تكون النتيجة السقوط والانهيار لأنه يكون كالنازل على جانب جرف هار ضل وهلك وهذه النتيجة لا تقع على ذات الشخص وحده بل ينقل الجهل إلى الآخرين فهو هالك وينقل الهلاك إلى غيره ساع في الضلال ، يريد أن يلصق الأشياء ويجمع بين شتاتها فالجهال لا يعلمون الأسباب والنتائج وإنما يجمعون بين الجهالات والهوى، لهم كل يوم رأي في التوجيه^(١) .

ومع إصابة الشارحين وتوفيقهم في ما تقدم من الشرح لمقصد الإمام عليه السلام إلا أن كلام الإمام عليه السلام يفهم منه جانب آخر، حيث أن الجهل والأهواء أو الشهوات هنا جانباً إفراط وتفريط والنتيجة الحتمية من الإفراط والتفريط يكون كالنازل بمنزل على حافة الجرف معرض للسقوط والانهيار في أية لحظة لأنه لم يبن على أساس صحيح أو في جادة الطريق المستقيم ومن ثم فإن الإمام عليه السلام أراد إيصال قضية وهي أن العقل يكون وسطاً بين الجهل والشهوات اللذان يخلوان منه ، ولكي يتجنب الإنسان السقوط يجب أن يحكم عقله ولا يركن إلى الجهل أو ينقاد إلى الشهوات، وهو ما فات قوله عن الشارحين .

أن ما يفهم من هذا السياق أن الجهل والأهواء مصادر سلبية لا تمت إلى العقل، والاعتدال الميزان الثابت الذي لا يتأرجح مع الرضى، والغضب النزوات والأهواء بصفة بل تقع

^١ - ينظر : كيزري بيهقي ، حقائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٥١١/١ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٦٩/٧ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٢٧/٣ ؛ الارديبيلي ، شرح نهج البلاغة ، ص ٩٤ (فارسي) ؛ الكاشاني ، تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين ، ٤٩٧/١-٤٩٨ (فارسي) ؛ الانصاري ، شرح نهج البلاغة منظوم ، ٢٧٧/٢ (فارسي) ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ١٥٠/٢-١٥١ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٩٣/٢-١٩٤ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ١١٥/٢ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٥٢-٥١/١-٩ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٢٠١/١ ؛ الجعفري ، ترجمة وتفسير نهج البلاغة ، ٢١٩/١٨ (فارسي) .

في خانتي الإفراط والتفريط كما يقول تعالى واصفاً متبع الهوى ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۗ ﴾^(١) ، و يتقف الإمام عليه السلام إلى ممكن الخطر والانهيار والتطرف والانحراف والجهل والشهوات التي تمنع الإنسان من السمو الروحي والفكري والنفسي فلا يمكن أن تسمو الروح وتتوسع الآفاق الفكرية ما لم تتم الوقاية والتخلص من الجهل والأهواء بالعلم والعقل .

فضلاً عن أن هناك نتيجة مهمة وهي أن اتباع طريق الوسط والعدل وهو العلم والعقل لا بد أن يلازم السلوك فلا يناقض الفكر السلوك لأنه بذلك يكون أما مفراطاً أو مقسطاً فيكون العلم شيئاً والسلوك شيئاً آخر كان يكون ذا علم ومتبعاً الشهوات كما جاء في الحديث الشريف (من ازداد علماً ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعداً)^(٢) ، وبهذا لا يكون سبباً للنجاح بل زيادة في المفساد وسبباً للهلاك لذلك لا بد من أن يتلازم اتباع طريق الاعتدال الابتعاد الكلي عن جانبي الإفراط والتفريط فيلازم الفكر سلوك الإنسان ويكون جزءاً واحداً ، هذا إلى جانب النتيجة الأخرى التي يمكن التوصل لها وهي التأثير الإعلامي السلبي لهؤلاء الجهلة ومتبع الشهوات في الأفراد والجماعات الأخرى إذ ينقلون المعلومات الخاطئة إلى الآخرين ، فيكون كالموبوء ينتقل معه وباءه إلى كل مكان .

^١ - الكهف / ٢٨ .

^٢ - الكاشاني ، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ، ١٢٦/١ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ٣٧/٢ ، وورد هذا الحديث بلفظ آخر (من ازداد علماً ولم يزد في الدنيا زهداً لم يزد من الله إلا بعداً) ، ينظر : السيوطي ، الجامع الصغير ، ٥٦٤/٢ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ١٩٣/١٠ ؛ القاري ، شرح مسند أبي حنيفة ، ص ٩٣ .

المبحث الثاني

مسار القواعد الإرشادية

يتناول هذا المبحث مسار القواعد الإرشادية التي يضعها الإمام علي عليه السلام كي يسمو بالنفس الإنسانية مانعاً للفساد والانحراف برسم الطرق العملية في حياة الناس اليومية مع العلم أن الإرشاد الذي يقدمه الإمام عليه السلام يختلف عن إرشاد الآخرين ، لأن إرشاد الإمام عليه السلام مستمد من ناحية ومستكمل من ناحية أخرى لإرشاد النبوة الذي هو إرشاد قائم على التوسط والاعتدال والطريق المستقيم ، كما يقول تعالى عن حضرة المرشد الأعظم الرسول محمد صلى الله عليه وآله ﴿ وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(١) .

وقد اتسعت دائرة الإرشاد عند الإمام علي عليه السلام وتعددت صورته من أجل بقاء الأمة ضمن المسار الصحيح؛ لأن الوظيفة الإرشادية للإمام عليه السلام لا تختص ببيان طريق الهدى للناس وإنما الوصول بهم إلى الكمال وهناك فرقاً شاسعاً بين من إن يدل على الطريق وبين الأخذ باليد وإيصال السائر إلى الغاية، فنجد في بعض الأحيان يتقف ويرشد من أجل معرفة المعايير والالتزام بها أو قواعد إثبات المؤهل والكفاءة عبر الاحتكام للمعايير العلمية واتباع الآلية المعتمدة كما في قوله عليه السلام (الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يَقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَ لَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ وَ لَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ)^(٢) .

ثبت الإمام عليه السلام أن صفة الكمال والعلم الفقهي يجب أن تخضع لمعيار وقاعدة وهو التوسط في هداية الناس وإرشادهم بين أن لا يقنط الفقيه الناس من رحمة الله فيعاجلهم بالعقوبة

^١ - الشورى / ٥٢ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ٧٣٧ .

وبين أن لا يؤسيهم من العفو بل متوسطاً في ذلك فلا غضب ولا رحمة بل متوسطاً بينهما ومن فعل ذلك فهو الفقيه الكامل .

وقد انقسم الشراح في قولهم إلى قسمين :

القسم الأول : أشار إلى أن الفقيه الكامل هو الذي يترك الناس بين الخوف والرجاء إذ إن فهم الفقيه الشريعة ووعايتها وأدراك عمقها ومتطلباتها أن لا يقول الله كريم فافعلوا ما شئتم من السيئات ولا يوصد أبواب الرحمة عنهم ويخوفهم في النار بل سلوك طريق بين الخوف والرجاء^(١).

القسم الثاني : يرى أن الفقيه الكامل في فقه غرضه الأول جذب الناس إلى الله بوجه من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد ، إذ إن من ضرورته أن لا يقنط الناس من رحمة الله بآيات وعيده ونذارته ولا يؤسيهم بذلك من روحه لما يلزم اليأس من إغراء العصاة بالمعصية واتباع الهوى بل أن يكون متردداً بين الرغبة والرغبة^(٢).

وفي الحقيقة أن أقوال الشراح حتى وإن اختلفت لكنها في حقيقتها وإبعادها تحقق نتيجة واحدة في الرأيين ، فالتردد بين الخوف والرجاء كما في الرأي الأول أو بين الترغيب والترهيب كما في الثاني تؤدي إلى هدف واحد وهو الوسط والتوسط فلا خوف ولا رجاء وإنما وسط بينهما ولا رغبة ولا رهبة ، لكنهم لم يشاروا إلى الوسطية في كلامهم على الرغم أن بُعد كلامهم يفهم منه

^١ - ينظر: الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٩٩/٤-٣٠٠ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢٦٩/٥ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ١٧٠/٣ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢٦٩/٤ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٣٦/٢١ .

^٢ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٤٣/١٨ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٢٨٥-٢٨٦ ؛ شرح نهج البلاغة (المتوسط) ، ص٥٩٨ ؛ القمي ، شرح حكم نهج البلاغة ، ص١٥٥ ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص٣٦١ .

الوسطية أيضاً وهو ما أراد الإمام عليه السلام إيصاله والتثقيف والإرشاد له ، وهي أن القاعدة المعيارية لكمال الفقيه أن يكون متوسطاً بين عدم إحصاء أبواب الرحمة عنهم مهما عصوا ولا يدخلهم الجنة مهما أطاعوا فلا يأمن خير هذه الأمة عذاب الله ولا يقنطهم من رحمة الله .

في حين نجد أن الإمام عليه السلام في مكان آخر يرشد من أجل تثبيت قاعدة كما في قوله : (وَ لَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ، فَتَذْهَبَ بِكُمْ الرُّخْصُ مَذَاهِبَ الظُّلْمَةِ، وَ لَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجَمَ بِكُمْ الإِدْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ)^(١) ، وفي هذا الكلام تجلّى تثبيت القاعدة الإرشادية للإمام عليه السلام وهي تركز على عدة مرتكزات :

١- إن الاسترسال في الرخص للنفس والإباحة لها بفعل المحرمات والترويج لها أو الخروج بها (النفس) إلى ما ينبغي إفراط يؤدي إلى قاعدة ونتيجة حتمية وهي الانحراف والسلوك في سلك الظلمة .

٢- إن المداينة بإظهار خلاف ما يبطن مجاملة للعاصي تفريط يؤدي إلى قاعدة ونتيجة حتمية وهي المعصية لأنها فيها انحراف عن الاستقامة والنزاهة .

٣- إن التوسط بين الإفراط والتفريط هو المطلوب فلا يطلق العنان للنفس وراء الشهوات ولا عدم فعل الشهوات والمحرمات في داخل النفس وذاتها لكنها في الظاهر يوافق العصاة أو مرتكبيها بل التوسط بينهما هو الأسلم .

ويرى بعض الشراح أن الإمام عليه السلام في كلامه هذا نهى عن الأخذ برخص المذاهب لأنه لا يجوز للواحد من العامة أن يقلد كلاً من أئمة الاجتهاد فيما خف وسهل من الأحكام الشرعية ، ثم وضعوا احتمال أن يكون مقصد الكلام عدم الرخص للنفس في ارتكاب الصغائر والمحقرات من

^١ - نهج البلاغة ، ص ١٥٦ .

الذنوب^(١) ، فيما رأى آخرون أن الرخص معناه عدم تساهل الإنسان مع نفسه والإباحة على عمل المحرمات ويخيل أنها جائزة في الشريعة ويروج بها اتباعه فإن الإنسان يوجي إلى نفسه بالخير والشر والنفس تعمل بحسب تلك الإيحاءات فتسير كما يسير الظالمون في ارتكاب المحرمات وطرقهم العادلة عن العدول فتجر إلى الانحراف وتدخل مع الظالمين في انحرافهم كما أن المداهنة والرياء محرمة بذاتها وأيضاً تقود إلى العديد من المعاصي^(٢) . وهذا الرأي صحيح لكنهم فهموا مقصد الإمام عليه السلام الظاهري ولم يتعمقوا في الشرح .

وتارة نجد أن الإمام عليه السلام يثبت مفهوماً لا يبتعد موضوعه عن إرشاد الناس إلى أهميته وهذا ما نلمسه في قوله عليه السلام (إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النَّعْمِ فَلَا تُنْفَرُوا أَقْصَاهَا بِقَلَّةِ الشُّكْرِ)^(٣) ، وبالتأكيد انه عليه السلام أراد تثبيت مفهوم الشكر وكونه هو الوسط الذي يمنع من الانحراف أو الإفراط والتفريط ومن ثم فقدان ما تم الحصول عليه ، فهو الوسط بين بداية النعم وبين أواخرها فاذا انحرف عنه فقدت النعمة فدوام الشكر مستلزم لدوام النعم^(٤) .

^١ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٣٥٥/٦ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ١٤٨/١ .
^٢ - ينظر: البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٢٨٣/٢-٢٨٤ ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص١٣٢ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٨/٢-٩ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٤/٢ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤٢٦/١-٤٢٧ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٣٢/٦-١٣٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٧-٨/١١ ؛ التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٣٤٧/١١-٣٤٨ ؛ الطباطبائي ، مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة ، ٥٥٠/٢ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة واسانيده ، ١٢١/٢ .
^٣ - نهج البلاغة ، ص٧١٩ .
^٤ - ينظر: كيزري بيهقي ، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٦٠٥/٢ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٢٤٥/٥-٢٤٦ ؛ شرح نهج البلاغة (الصغير) ، ص٥٨٠ ؛ البحراني ؛ شرح مائة كلمة ، ٦٣/٢ ؛ القمي ، شرح حكم نهج البلاغة ، ص٣٣ ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص٣٥٤ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤/٢٦٥ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٥/٢١٦ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣١-٣٢/٨٧ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤/٢٢٤-٢٢٥ .

ومن ذلك يمكن القول أن كلام الإمام عليه السلام بلور وثبت مفهوم الشكر وفلسفته بمنع الانحراف الذي من نتائجه فقدان النعم سواء كانت مالا أم جاها أم علماً أم صحةً إلى آخرة من النعم في حين أن الشكر يؤدي إلى نتيجة الحصول على اقصى النعم ، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ أَنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١) ، فكأنما الشكر وسط يربط بين البداية والنهاية لا يمكن الاستقامة إلا معه وخير مصداق على هذا قوله تعالى عن نبي الله إبراهيم عليه السلام ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢) .

وقد توجه الإمام عليه السلام إلى مرحلة أخرى من مراحل تثبيت المفاهيم وهي بيان مفهوم العدل والجود والأفضلية الوظيفية لهما ، والذي نستطيع أن نسميه مفهوم المصلحة الكلية في النظام الكوني والمجتمع البشري فيقول عليه السلام :عندما سئل أيهما أفضل العدل أم الجود؟ فقال عليه السلام : (الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، وَ الْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتَيْهَا، وَ الْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، وَ الْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَ أَفْضَلُهُمَا)^(٣) .

فالمفهوم الإثباتي الذي ثقف له الإمام عليه السلام هو أن العدل أهم وافضل من الجود على الرغم من أن الجود صفة إيجابية ممدوحة إلا أن العدل أفضل، لأنه المرتبة المتوسطة بين طرفي الإفراط والتفريط ويعمل عمل القانون الذي يحفظ توازن المجتمع بوضع الأمور مواضعها ولو رفع العدل لطغى أحد الطرفين عن الآخر، ولم يترك الإمام عليه السلام الجواب أو التثقيف ناقصاً بل أحاط بالمفهوم ووضحه من كل جوانبه فلا تقتصر الأفضلية الوظيفية للعدل بكونه يضع الأمور مواضعها دون طغيان أو انحراف بل أن تلك الأفضلية تتعلق أيضاً بكون العدل سائساً عاماً أي

^١ - إبراهيم / ٧ .

^٢ - النحل / ١٢١ .

^٣ - نهج البلاغة ، ص ٨٣١ .

قائد يشمل جميع الأمور الدينية والدنيوية ويشمل جميع الناس فمن عدل سار عدله على الجميع وشمل كل شيء في حين الجود عارض خاص قد يخص ببعض الأفراد فهو أفضل لعموميته وأشرف لشموله وفائدته لكل الناس^(١) . وهذا الكلام يوحي أيضاً بجملة مفاهيم وهي :

١- القوانين التي يمكن أن تنطبق على العدل والجود فالعدل يتضمن القانون العام والجود يتضمن القانون الخاص والاستثنائي أو الطارئ .

٢- التكامل والشمول وهذه من صفة الاعتدال والتوسط إذ يتمحور فيها صفة التكامل والشمول بينما الجود يخلو من تلك الصفة .

٣- التمييز والاختيار للأفضلية الاجتماعية للعدل على الأفضلية الأخلاقية للجود .

وتارة أخرى وجدناه عليه السلام اتجه في الإرشاد إلى بلورة المفاهيم التصحيحية لكي تحقق استفادة عظمى وبشكل يلائم بعض الطروحات والأفكار التي تنهج التطبيق السلبي للمفهوم، فسلط الضوء عليها لكي لا نكون ضحية الجهل أولاً أو لكي تكون المفاهيم مواكبة للتغيرات الزمانية والمكانية ثانياً ، ومن أهم تلك المفاهيم التي بلورها الإمام علي عليه السلام في قوله في صفة المتقين (فَمَنْ عَلَّامَةٌ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَ حَزْمًا فِي لَيْنٍ، وَ إِيمَانًا فِي يَقِينٍ، وَ حِرْصًا فِي عِلْمٍ، وَ عِلْمًا فِي حِلْمٍ، وَ قَصْدًا فِي غِنَى، وَ حُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ، وَ تَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ)^(٢) ،

^١ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٨٥/٢٠ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٤٥٣/٥ ؛ الاردبيلي ، شرح نهج البلاغة ، ص٤٠٣ (فارسي) ؛ الكاشاني ، تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين ، ٨٢٥/٢ (فارسي) ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص٣٩١ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٥٢١/٥ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٧-٣٨/٧٧ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٧١/٤ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤٦٩/٤ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٥١٢/٢١ ؛ المطهري ، في رحاب نهج البلاغة ، ص٨٢ ؛ الجعفري ، ترجمة وتفسير نهج البلاغة ، ٢٠٣/١٩ (فارسي) ؛ الشرقي ، شرح نهج البلاغة ، ص٤٠٨ (فارسي) .

^٢ - نهج البلاغة ، ص٤٥٧ .

فالمتمتقون امتلكوا صفة الحزم في لين، أي إتقان الأمور لكن بدون عنف وكان المعنى أن لا يصير الحزم سبباً للخشونة فهو في حال حزمه يملك اللين ليس بالغلظ القاسي ولا الجلف الجافي^(١)، ومن ثم فهي فضيلة العدل والتوسط في المعاملة والقول والفعل وهذه كلها من مظاهر الحزم في اللين بحيث تألف وتؤلف وتطبق صفات ومقتضيات إنسانية الإنسان بالعدل من غير أن ينحرف مفهوم الحزم إلى الهمجية والوحشية أو الرفق إلى الذل والمهانة .

الصفة الأخرى التي يمتلكها المتمتقون هي القصد في غنى وهي المفهوم التصحيحي الثاني الذي بلوره الإمام علي عليه السلام فلا يحدث قصور في فهم مفهوم الاقتصاد أو القصد بحيث يأخذ جانب الزهد أو غيره من المفاهيم التي هي في حقيقتها انحراف عن مفهوم القصد أو الاقتصاد فيوقف الإمام عليه السلام إلى أنموذج الأمثل في تطبيقه ومسار تطبيقه، إذ أن المتقين من علاماتهم امتلاكهم منهج القصد لكن في غنى، بالمعنى انهم معتدلون من دون زيادة ولا نقصان^(٢).

ومن ثم يمكن أن نستخلص نتيجة مفادها أن مفهوم القصد في الغنى أي التوسط والاعتدال بدون إفراط وتفریط بما يتلاءم مع تغير الزمان والمكان وتطورهما حتى يأخذ القصد معناه أو مفهومه وبهذا فإن الإمام عليه السلام بلور مفهوم القصد .

^١ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٥٠/١٠ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٤١٩/٣-٤٢٠ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، ٣٥٦/٢ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٦٢/٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٩-٢٠ / ٧٩ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٣٥/١٢ .

^٢ - ينظر: انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، ٣٥٦/٢ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٩-٢٠ / ٧٩ .

النتيجة النهائية أن الإمام علي عليه السلام كون ثقافة الوسطية العاقلة للحيلولة دون التخبط والعشوائية في المفاهيم فضلاً عن الحيلولة دون انحراف مسار سالكيها، فصحح الإمام عليه السلام بعض المفاهيم وكان مفهوم الشح بالنفوس جزءاً منها إذ يقول عليه السلام في ذلك في وصية لمالك الأستر (فَأَمْلِكْ هَوَاكَ، وَ شُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ، فَأَنْ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ [الأنفس] الإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ).^(١)

أن سماع كلمة الشح غالباً ما يبعث الدماغ بإيعاز بأنها مرادفة للبخل والحرص أو هي في حقيقتها هي البخل والحرص لكن الإمام علي عليه السلام في النص المتقدم صحح هذا المفهوم بأن الشح بالنفوس ليس الحرص أو البخل ، بل الشح بالنفوس الإِنْصَافُ أي التوسط في الحب أو الكره من دون الزيادة أو النقصان في احدهما، وإنما الوقوف على حد العدل في المحبوب فلا تكون القيادة إلى الشهوات إلى حد المغالاة فيتم الوقوع في رذيلة الفجور ولا يقود المكروه ويدفعه غضبه إلى طرف التقصير في فضيلة العدل فيقع بذلك في رذيلة الظلم والتهور^(٢).

و نجد الإمام عليه السلام في أحيان آخر يثقف ويرشد إلى أنماط السلوك أو آداب السلوك والمعاشرة ، إذ أن الإمام عليه السلام يرشد إلى فن ممارسة الحياة اليومية بأفضل السلوك وأكثره رقبياً وجمالاً وتهذيباً يظهر احترامه لنفسه واحترامه للآخرين، وفي صلب أخلاق الدين الإسلامي المعتدلة بحيث يكون اتباعها قمة التدين أو كما وصفها الإمام عليه السلام صفات المتقين ، لأنها تصب في سلك ونتيجة السلوك السليم أو المستقيم الذي لا انحراف فيه أو كما قلنا استخدامها تحت مصطلح الإتيكيت في الوقت الحاضر ، فمن حيث المظهر الخارجي ارشد الإمام عليه السلام إلى أن ملبس الإنسان يجب أن لا يكون مبتذلاً ولا مبالغاً فيه بل التوسط بينهما بحيث يراعي التطور

^١ - نهج البلاغة ، ص ٦٥٠ .

^٢ - البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ١٤١/٥ .

الزمني والمكاني فيقول عليه السلام في هذا الاطار في خطبته في وصف المتقين (..و مَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ)^(١).

وبخصوص راي الشراح فقد كان شرحهم غاية الدقة والصواب وكان هناك اتفاق بينهم على أن مقصد الإمام عليه السلام هو فضيلة العدل في الملبوس فلا يلبس ما يلحقه بدرجة المترفين بلبس أجود القماش وأفضله ولا ما يلحقه بأهل الخسة والدناءة فتكون مبتذلة بالية بل معتدلة متوسطة بين الأمرين بالتجمل من دون إسراف في الأناقة ولا ابتذال بالمستوى الذي لا يليق^(٢) ، وقد شذ عنهم محمد جواد مغنية في القول أن مقصد الإمام عليه السلام بملبسهم الاقتصاد أي يلبسون ثوباً واحداً أو ثوبين بلا مضاهاة أو مباهاة^(٣) .

و ثقف الإمام عليه السلام إلى فن الحديث وآداب التصرفات في قوله عليه السلام عندما سئل عن صفات المتقين فقال: (..مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ)^(٤) ، لكي يدور الحديث في فلك الرقي والمنفعة والفائدة انه عليه السلام ثقف ورشد إلى فضيلة العدل المتعلقة باللسان لكي يكون الحديث متصفاً بالصفات السابق ، فلا ينبغي السكوت عما يجب أن يقال فيكون مُفْرطاً ولا يقول ما ينبغي أن يسكت عنه فيكون

^١ - نهج البلاغة ، ص ٤٥٤ .

^٢ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٤١/١٠ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٤١٤/٣ - ٤١٥ ؛ اللاهيجي ، شرح نهج البلاغة ، ص ١٧٦ (فارسي) ؛ الانصاري ، شرح نهج البلاغة منظوم ، ٦٦/٥ (فارسي) ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٥٧/٣ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١١٧/١٢ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٣٢/٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٩-٢٠ ، ٧٣ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، ٣٤٩/٢ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة واسانيده ، ٤٨/٣ .

^٣ - في ظلال نهج البلاغة ، ١٦٤/٣ .

^٤ - نهج البلاغة ، ص ٤٥٤ .

مفراطاً بل التوسط في ذلك بين الإفراط والتفريط ووضع كل من الكلام في موضعه المناسب بدون زيادة ولا نقصان لغو أو هذيان^(١).

وبذلك توصلنا إلى نتيجة أن الطريقة المثلى لإتقان فن الحديث واللياقة في الكلام والابتعاد عن العشوائية في إيصال الرسالة إلى الآخرين أن يكون الكلام صواباً متوسطاً ومعتدلاً بين الإفراط والتفريط لا سكوت عما يجب أن يقال ولا قول ما يجب السكوت عنه ، كما يقول تعالى في صفة المؤمنين ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾^(٢) ، وقوله ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾^(٣).

وفي الاطار نفسه أيضاً من إرشاد الإمام عليه السلام إلى فن الحديث قال عليه السلام (إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمُهُ صَمْتُهُ وَ أَنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْزُ صَوْتُهُ)^(٤) ، وهذا الكلام هو كذلك جزء من خطبته في صفة المتقين الذين من صفتهم إن سكت احدهم فانه لم يحزن لذلك الصمت لوضعه كلاً من الكلام في موضعه المناسب لما يستلزم الغم الصمت عما ينبغي من القول وهو صمت في غير موضعه فلم يسكت لعجز وإنما سكت لأنه يرى حسن السكوت فهو على معرفة بمواقع الكلام والسكوت ، وان ضحك فلا يفرط فيرتفع صوته أو يقهقه ولا يفرط بالعبوس بل يتبسم ومن ثم فلا يحج به الغيظ ولا يغلبه الهوى ويقهره الشح^(٥).

^١ - ينظر: البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٤١٤/٣ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١١٦/١٢ ؛ التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٤١٩/١٢ .

^٢ - المؤمنون/٣ .

^٣ - الفرقان/٧٢ .

^٤ - نهج البلاغة ، ص ٤٥٨ .

^٥ - ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٦٠/١٠ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٤٢٤/٣ ؛ التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ٤٠٩/١٢ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٦٧/٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٩-٨٤/٢٠ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٥٤/١٢-١٥٥ ؛

ومما مر من أبعاد ونتائج الوسطية في أدب الحديث يمكن أن نخرج بما يأتي :

١- تأصيل ثقافة معينة وهي الفائدة والقيمة في الحديث إن صح القول ، والابتعاد عن

العشوائية والحديث اللغوي الذي يخلو من الفائدة .

٢- فنية الحديث ورقية بالتوسط في السكوت وقت السكوت والكلام وقت الكلام بقي من

النتائج السلبية كالندم المتعلق بالإفراط أو التفريط في الصمت أو الكلام .

٣- التوسط والاعتدال في نبرة الصوت أو الملائمة الصوتية تدخل في سلك الآداب من

ناحية والرقي من ناحية ثانية وكلاً من الارتفاع أو الانخفاض العبوس المكفهر أو

القهقهة العالية تخرج منها .

وفي موضع الإشارة إلى أهل البيت عليهم السلام من الإمام يوضح فيه كيف انهم امتلكوا تلك

الميزة وهي الفائدة العلمية والقيمة من الكلام والصمت ووضع كل منهما في موضعه في قوله

عليهم السلام (فِيهِمْ كَرَامَةُ الْقُرْآنِ [الايمان]، وَ هُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ. أَنْ نَطَّقُوا صَدَقُوا، وَ أَنْ صَمَّتُوا لَمْ

يُسَبِّقُوا)^(١) .

فهم أعلم الناس بمواقع الكلام والصمت لا أطناب ولا إيجاز^(٢) ، على الرغم من أن بعض

الشارحين أشار إلى أن عدم سبق غيرهم لهم في حال صمتهم لانهم يهابون سكوتهم فلم يجراً أحد

على الكلام فيما سكتوا عنه فالإنسان اذا علم بوجود احد اعلم منه في المجلس لا يقدر على

انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، ٣٥٩/٢ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٤٢/٣ .

١ - نهج البلاغة ، ص ٣١٥ .

٢ - ينظر: كيزري بيهقي ، حقائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٦٧٥/١ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج

البلاغة ، ١٧٧/٩ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٢٤٩/٣ ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ١٨٧ ؛ الموسوي ،

شرح نهج البلاغة ، ٤٩٦/٢ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٣-١٤/٧٢ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح

نهج البلاغة ، ٢٤٠/٩ .

الكلام خوفاً منه^(١) ، وهذا كلام غير مناسب لأن سكوتهم ليس فيه إفراط أو تفريط حتى لا يجرؤ الآخريين على التكلم في حضرتهم خوفاً منهم أو لأنه يهابهم بل صمتهم في موضع لا بد فيه من الصمت و أن كلامهم في موضع لا بد فيه من الكلام ، وكما قلنا أننا ليس في موضع المقارنة أو التطبيق لأن أهل البيت عليهم السلام لا يمكن الوصول اليهم من ناحية ولا يفتقدون تلك الصفة حتى يرشدوا لتطبيقها من ناحية أخرى بل بيان المصداق من أجل الاقتداء بهم والحدو حذوهم .

وأيضاً لا نبتعد عن الجانب نفسه وهو أصالة امتلاك الرسول وأهل البيت عليهم السلام صفة الاعتدال في المنطق أو كما قلنا فنية الحديث بين الأطناب والإيجاز قال عليه السلام في صفة الرسول الأعظم عليه السلام (وَ اجْزِهِ مِنْ ابْتِعَاتِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وَ خُطْبَةٍ فَصْلٍ)^(٢) ، فهو عليه السلام ذو منطق عدل مستقيم لا ينحرف إلى الباطل^(٣) .

ومن ثم في نهاية المطاف نستدل كيف أن تلك الصفة تجذرت في سلوك الرسول عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام وما قول الإمام عليه السلام بها إلا لبيان وتوضيح عظمتهم وعصمتهم وأهليتهم لقيادة الأئمة من ناحية وللإرشاد لا تبايعهم وتنقيف أن المنطق الصواب وصواب المنطق وبعده عن الزيادة والنقصان هو أساس السلوك الإسلامي أو منهج الإسلام الأصيل من ناحية أخرى .

و في الوقت نفسه فإن الإمام عليه السلام يتقف إلى الأنموذج المعاكس والمغاير أي الإفراط والتفريط وعدم وضع الكلام في موضعه فكما عرفنا أن الإكثار في الكلام ثرثرة وضياح للهيبة والتفريط فيه انعزالية وشعور بالخيبة و أن الإكثار في النقاش وراء التفريط فيه ضياح للحق مع

^١ - ينظر: الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٣٩٠/٢ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٥٨/٢ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٣٨٩/٢ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ١٢٤ .

^٣ - ينظر: البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٢٠٢/٢ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٨٣/١ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٤٥/٦-٥ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٤٢٦/١ .

الالتفات إلى قضية ومسألة مهمة وهي أن الزمان أو المكان للنقاش يدخل ضمن الانحراف والمبالغة أو التقصير فهو محكوم بالمتغيرات الزمانية والمكانية، ومن ثم فهي (المتغيرات الزمانية والمكانية) ضابطة عامة تدرج ضمن الاستقامة والاعتدال والتوسط وعدم مراعاتها تعني انحرافاً ، إذ يقول سائل الى الإمام عليه السلام كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وانتم احق به فقال: (يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينَ تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ، وَ لَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصَّهْرِ وَ حَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَ قَدْ اسْتَعْلَمْتَ فَأَعْلَمْ...^(١)) وقبل الولوج لابد من معرفة جملة امور :

١- إن هذا السائل سأل الإمام عليه السلام كما تذكر المصادر وهو في أصعب موقف في صفين^(٢).

٢- إن قلق الوضين كما في معاجم اللغة وصف للخفة وقلة الثبات كالحزام إذا كان رخوياً ، لأن الوضين يشد به الرجل على البعير كالحزام على السراج^(٣) .

٣- إن كلمة سدد من السداد، الاستقامة والصواب والقصد في الأمر والعدل فيه وهو المسدد المؤوَّفُّ الذي لا يعاب فلا يفرط في إرساله أو تسميره^(٤) .

وما دنا بصدد الأنموذج المعاكس عندما يكون الحديث في غير محله فإن الإمام عليه السلام ثقف هنا لذلك إذ أن هذا السائل من بني أسد فقد الاستقامة في الكلام فأتى بغير الصواب أي تكلم اعتباطاً من دون تروٍ ودون مراعاة محل الكلام فكان سؤاله غير مستقيم أو معتدل لأنه في

١ - نهج البلاغة ، ص ٣٣٨ .

٢ - ينظر : الصدوق ، الامالي ، ص ٧١٦ ؛ ابن شهر اشوب ، مناقب ال أبي طالب ، ١٥/٣ .

٣ - ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ١٩٩/٥ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٥٠/١٣ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ٥٧٦/١٨ .

٤ - ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ٤٨٥/٢ ؛ ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٣٥٢/٢ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٢١٠/٣ .

غير موضعه في وقت صعب أو لأنه يحتاج إلى وقت أطول وتفصيل أكثر والوقت لا يتسع لذلك فهم في محل معركة لا المكان ولا الزمان مناسب لذلك^(١) ، وبذلك لا بد أن يكون السؤال في موقعه ووقته المناسب .

وليس هذا فحسب وإنما نجد الإمام عليه السلام يتقف ويرشد إلى طرف آخر من آداب السلوك المتعلقة بالطعام من دون إفراط وتفريط فيقول في ذلك : (كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ، وَ كَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِعْرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ. وَ كَانَ حَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ، فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ، وَ لَا يُكْتَبِرُ إِذَا وَجَدَ، وَ كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً، فَأَنْ قَالَ بَدُّ الْقَائِلِينَ، وَ نَفَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ... فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَلَائِقِ [الاخلاق] فَالزُّمُوهَا وَ تَنَافَسُوهَا فِيهَا، فَأَنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنْ أَخَذَ الْقَلِيلَ خَيْرٌ مِنْ تَرَكَ الْكَثِيرِ)^(٢) .

وقد أشار الشارحون الى أن مقصد الإمام علي عليه السلام أن لا يكون الإنسان أسيراً لشهواته فلا يهتم بأكلة ومشربه لذا فلا يشتهي من الأطعمة ما لا يجد فينشغل بالبحث عنها ولا يكثر من ما يشتهي^(٣) ، وقولهم هذا لا غبار فيه إذا نظرنا إلى الكلمات بالمعنى العام أو الظاهر لكن بالمعنى

^١ - ينظر: الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٢٢/٢ ؛ السرخسي ، اعلام نهج البلاغة ، ص ١٥٤ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٤٢/٩ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٢٩٣/٣ ؛ الاردبيلي ، شرح نهج البلاغة ، ص ١٥٨ (فارسي) ؛ الانصاري ، شرح نهج البلاغة منظوم ، ١٠٨/٤ (فارسي) ؛ الخوئي ، الدرّة النجفية ، ص ١٩٢ ؛ الغروي ، الامثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، ص ٩١-٩٢ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٤٦/٢ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٥٨/٣ ؛ عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٧٩/٢ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤٤٦/٢-٤٤٧ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٥-١٦/٢٦ ؛ الجعفري ، ترجمة وتفسير نهج البلاغة ، ١٨٦/٢٦ (فارسي) الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٠/٥ ؛ الشرقي ، شرح نهج البلاغة ، ص ٢٢٥ (فارسي) .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ٧٩٣-٧٩٤ .

^٣ - ينظر: الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٣٨٥/٣ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٨٤/١٩ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة (الكبير) ، ٣٩٠/٥ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٤٢٧/٥ ؛

الخاص والدقيق فهو لا يتلاءم مع طروحات ورمزية الإمام عليه السلام لأنه يريد وضع ثقافة معينة مفادها أن الإنسان لا يحرم من أطايب الطعام أو يتجنبها ولكن التعامل معها بروح التوسط والاعتدال بدليل قول الإمام عليه السلام أن وجد ما يشتهي فهو لن يكثر ، مع العلم أن هناك التفاتة جميلة من أنصاريان تصب في المعنى ، إذ يرى أن مفاد الكلام يراد به أما الاقتصار على ما دون الشبع أو ترك الإفراط في الأكل أو ترك الإسراف في تجويد المأكول والمشروب^(١) .

لقد خلق الإمام عليه السلام الوعي الأدبي والصحي بالاعتدال والتوسط في الأكل ، إذ أن آداب الطعام بهذه الرؤية الوسطية يتزاج مع الرؤية والأسلوب النبوي ليكون بذلك منهجاً يستقي معالمه منه إذ يقول الرسول محمد ﷺ مصداقاً لذلك (إياكم وفضول المطعم فإنها تصم القلب بالقسوة وتبطفء بالجوارح عن الطاعة وتصمّ الهمم عن سماع الموعظة...)^(٢) ، و أن الإمام عليه السلام ذكر الأنموذج المعاكس في قبال هذه الشخصية العظيمة فيقول عليه السلام : (أَمَّا إِنَّهُ سَيَطْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَ يَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَأَقْتُلُوهُ، وَ لَنْ تَقْتُلُوهُ!...)^(٣) .

وربما كان الوضع والتحول الذي عايشه الإمام عليه السلام بالإسراف والتبذير في موائد الطعام هو الذي جعله يشن حملة التثقيف هذه وعلى نطاق واسع جاعلاً من نفسه انموذجاً (وَ لَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَفُوتِ أَتَانِ دَبْرَةٍ... وَ لَوْ شِئْتُ لَأَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ، إِلَى مُصَفَى هَذَا الْعَسَلِ، وَ لُبَابِ هَذَا الْقَمَحِ،

الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤/٤٠٤-٤٠٥ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٥-٣٦/٧٣ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤/٣٩١ .

^١ - شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، ٣/٤٥٣ .

^٢ - ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ١/٤٢ ؛ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ٤/٥٤٣ ؛ الحلي ، عدة الداعي ونجاح الساعي ، ص ١٠٤ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٦٩/١٩٩ .

^٣ - نهج البلاغة ، ص ١٠٨-١٠٩ .

وَ نَسَائِحِ هَذَا الْقَرْ. وَ لَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَ يَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعَمَةِ - وَ لَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَ لَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبَعِ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَانًا وَ حَوْلِي بَطُونٌ عَرْتِي وَ أَكْبَادٌ حَرَى، أَوْ أَكُونَنَّ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَ حَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبَيَّتَ بِيْطْنَةً وَ حَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحْنُ إِلَى الْقَدِ^(١)

وكلامه هذا كان موجهاً إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف^(٢) عندما بلغه انه دعي إلى وليمة، ويمكن القول أن كلامه وأسلوبه في التثقيف في غاية الروعة والدقة إذ انه قدم الأنموذج، وربما أن الإمام عليه السلام لا يقصد شخصاً بعينه وهو ابن حنيف إنما جزء من أسلوب الإمام عليه السلام التثقيفي المؤدي إلى بعث إشارات إلى العقل من اجل البحث والتساؤل من ناحية أو لكي ينطبق على اكثر من شخصية تمتلك الصفات نفسها على مر الزمان من ناحية أخرى .

ولفت الانتباه إلى قضية النزاهة والشفافية في التعامل مع الآخرين لتنعكس في الاعتدال ، مع العلم أن الانحراف عن الاعتدال في أسلوب ومنهج التعامل مع الآخرين تعني التكبر أو النفاق الذي هو في جوهره انحراف وثغرة في السلوك الإنساني وغياب للنزاهة الفكرية ومن ثم فإن ذلك دال على وجود تصدع وانهيار في الجانب الأخلاقي والإنصاف والاستقامة في التعامل مع الآخرين فقال عن المتقين : (أَنْعَبَ نَفْسَهُ لِأَخْرَتِهِ، وَ أَرَّاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ

^١ - نهج البلاغة ، ص ٦٣٢-٦٣٤ .

^٢ - عثمان بن حنيف الأنصاري الأوسي يكنى أبا عمرو وقيل أبو عبد الله شهد أحداً والمشاهد بعدها واستعمله عمر بن الخطاب على مساحة سواد العراق فمسخه عامره وغامره فمسخه وقسط خراجه واستعمله على عليه السلام على البصرة فبقى عليها إلى أن قدمها طلحة والزبير مع عائشة في نوبة وقعة الجمل فأخرجوه منها ثم قدم على إليها فكانت وقعة الجمل فلما ظفر بهم على استعمل على البصرة عبد الله بن عباس وسكن عثمان بن حنيف الكوفة وبقي إلى زمان معاوية ، ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣/٣٧١ .

زُهْدٌ وَ نَزَاهَةٌ، وَ دُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِيْنٌ وَ رَحْمَةٌ. لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَ عَظَمَةٍ، وَ لَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَ خَدِيعَةٍ^(١).

فالمتقي عندما يبعد عن الناس ليس لتكبر وعندما يقترب ليس لمكر وخديعة قضاء حاجة أو تمرير أمر أو من أجل أن يخدعهم في أمر يريد الحصول عليه أو الوصول إليه^(٢) بالمعنى لا يبالغ ولا يقصر في العلاقات مع الناس بل أن بعده وقربه يقومان على النزاهة والزهد واللين والرحمة بالنتيجة فهو معتدل متوسط في علاقته مع الآخرين غير منحرف منافق فيها ، مع العلم أن الإمام عليه السلام في كلامه المتقدم بلور صيغة تميزية ومقياس علمي وأثر اجتماعي للمتقي وهذه الصيغة وذاك المقياس يتعلقان بالنزاهة والشفافية في التعامل، لكن في الحقيقة ليس أمر يخص المتقي لأن منهج الوسطية والاعتدال الذي ينهجه المتقي هو في حقيقته منهج إسلامي يخص كل المسلمين سار عليه المتقي وجعله جزءاً أساسياً في تعاملاته وعلاقاته الاجتماعية.

ولعل المعطى الإرشادي للإمام عليه السلام واضح المعالم لأنه يقوم على منهج وأسس علمية سليمة للعلاقات الإنسانية السوية المعتدلة وتأسيس قاعدة إرشادية ثابتة لا يمكن أن تتغير بتغير الزمان فمهما تغير الزمان تبقى سمة المصلحة والنفاق منطبقة على العلاقات في حال انحرافها عن الاستقامة والاعتدال ومن ثم فهي صالحة للتطبيق لكل زمان ومكان ، وأشار أيضاً إلى قضية الوهن أو الفساد في الروابط الاجتماعية والقيم الخلقية الذي هو بدوره ناتج عن انحرافات مرضية أما الكبر أو مكر وخديعة .

^١ - نهج البلاغة ، ص ٤٥٨-٤٥٩ .

^٢ - ينظر: البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٤٢٥/٣ ؛ الاردبيلي ، شرح نهج البلاغة ، ص ١٩٣ (فارسي) ؛ الكاشاني ، تنبيه الغافلين وتذكرة العرفين ، ٣١/٢ (فارسي) ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٦٧/٣-٣٦٨ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٩-٨٥/٢٠ ؛ الخوئي ، منهاج البلاغة في شرح نهج البلاغة ، ١٥٨/١٢ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٤٣/٣ .

وما دمننا بصد إرشاد الإمام عليه السلام إلى الشفافية والنزاهة في العلاقات والروابط الاجتماعية فإن الإمام عليه السلام ارشد إلى ضابطة أخرى تقوم عليها الروابط الاجتماعية من اجل السيطرة على إسراف غريزة الثأر والانتقام أو غريزة الحب وضبط الرغبات اللا مشروعة فقال عليه السلام في ذلك (في الزَّلَازِلِ وَفُؤْرٍ، وَ فِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وَ فِي الرَّخَاءِ شُكُورٌ لَا يَحِيفُ عَلَيَّ مَنْ يُبْغِضُ، وَ لَا يَأْتُمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ)^(١) .

يقول الإمام عليه السلام في هذا النص أن من صفات المتقي أنه لا يحيف على من يبغض ولا يَأْتُمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ، أي استقامة سلوكه ووسطيته بين التقصير أو التهور فلا يفرط في الحب فيذهب به مذهب الإثم باتباع الهوى مع قيام الداعي وهو المحبة، ولا يفرط في العدوانية فتذهب به مذهب الحيف على الرغم من قيام الداعي وهو البغض لمن يتمكن من ظلمه بل يكون عقلاً معتدلاً واضعاً الأمور موضعها مطلقاً المشاعر عن طريق الضابط الأساس وهو الاعتدال^(٢) .

وفي المحصلة النهائية يمكن القول أن الإمام عليه السلام تقف إلى قضية الاعتدال في الميول النفسانية وسلوك المسلك الوسطي فيها من غير انحراف والفلسفة من ذلك لكي لا يؤدي الحب إلى الإثم ولا يؤدي البغض إلى الظلم وهذا التثقيف ليس اعتباطياً بل قضية ممنهجة وموثقة في الدستور الإلهي إذ يقول تعالى في كتابه ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اِلَّا تَعَدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى﴾^(٣) ، كما يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوْ

^١ - نهج البلاغة ، ص ٤٥٨ .

^٢ - ينظر: الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢٧٩/٢ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٤٢٣/٣ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٦٦/٣ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٤٢/٣ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٩-٢٠ / ٨٣ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٥١/١٢-١٥٢ ؛ عبد الزهراء الخطيب ، مصادر نهج البلاغة واسانيده ، ٥٢/٣ .

^٣ - المائدة / ٨ .

الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ أَنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا»^(١) فالاعتدال جزء من الطباع والأخلاق والانحراف عدول عنها إلى الهوى .

وفي نهاية المطاف لكي يضع الإمام عليه السلام منهج الوسطية الإرشادية في نصابه الطبيعي بعد أن وضع المعايير وثبت القواعد والمفاهيم وصحح أخرى، بحيث تؤدي إلى النتيجة الحتمية أو النتيجة الإيجابية وهي الاستقامة في كل ما يخص الإنسان من أجل الحد ونفي سلبيته وضمان ايجابيته ، فإن الإمام علي عليه السلام قدم المصادر أو المناهج التي يمكن أن يستقى منها الاعتدال والاستقامة وتكون بمثابة المسار المعتدل الذي يسار فيه بعيداً عن الانحراف في قوله عليه السلام : (الْعَمَلُ الْعَمَلُ، ثُمَّ النَّهْيَةُ النَّهْيَةُ، وَالِاسْتِقَامَةُ الْإِسْتِقَامَةُ، ... قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ»^(٢) وَ قَدْ قُلْتُمْ: «رَبُّنَا اللَّهُ»، فَاسْتَقِيمُوا عَلَىٰ كِتَابِهِ، وَ عَلَىٰ مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَ عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ [طاعته] ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا، وَ لَا تَتَّبِعُوا فِيهَا، وَ لَا تُخَالِفُوا عَنْهَا. فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطِعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.)^(٣) .

فلكي تحدث الاستقامة على الطريق السليم الصحيح بدون انحراف إلى ذات اليمين أو ذات الشمال فلا بد من العمل بالكتاب الكريم وما جاء به فهو يهدي للتي هي أقوم فيحل حلاله ويحرم حرامه ، وعلى منهاج الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الطريق الصالحة من عبادته وهذه الطريقة المستقيمة ومصادرها لا يجوز للإنسان أن يخرج منها ولا يجوز أن يبتدع فيها بالزيادة أو

١ - النساء / ١٣٥ .

٢ - فصلت / ٣٠ .

٣ - نهج البلاغة ، ص ٣٧٤-٣٧٥ .

النقصان كما لا يجوز أن يخالف هذه الطريقة المستقيمة إلى غيرها من السنن المبتدعة أو الأمور الباطلة لأن نتيجة من تركها أو ابتدع فيها أو خالفها انقطاع وسائل وصوله إلى الله فلا يجدون بلاغا يوصلهم إلى المقصد فمع فوات جزء من الشرط ينتفي المشروط لا محالة^(١) . ومما مر يمكن القول :

١- من كلام الإمام عليه السلام خرجنا بنتيجة مفادها أن السير في طريق الاستقامة والوسطية محكوم بمصادر ثلاث لا غيرها وهي: كتاب الله، ومنهاج أمره، والطريق الصالح من عبادته .

٢- إن المصادر التي تؤدي إلى الاستقامة (كتاب الله، والمنهاج، والطريقة الصالحة من عبادته) هي بمثابة نص إلهي لا يمكن التلاعب فيه بالزيادة أو النقصان ولا يجوز مخالفته واتباع غيره .

٣- إن هناك عملية ترابط بين المصادر الثلاثة بحيث أن الخروج أو مخالفة إحدها يؤدي إلى الانحراف .

٤- إن سياق كلام الإمام عليه السلام يوحي إلى أن الإقرار بالربوبية والوحدانية على مرحلتين واحدة مكملة للأخرى الأولى مرحلة الإقرار القولي أو يمكن القول الإقرار القلبي وهو القول ربنا الله، والمرحلة الثانية الإقرار الفعلي أو العملي بكتاب الله، وسنة نبيه، وطريق الصالحه من عبادته .

^١ - ينظر: البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٣/٣٥٧-٣٥٩ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣/١٤٥-١٤٧ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٠/٢٠٦-٢٠٧ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٣/٦٢-

٥- إن كلام الإمام عليه السلام في النص هو تفسير للآية القرآنية التي جاءت توضح نتائج ومميزات اتباع الطريق المستقيم من النعم المادية والمعنوية كالفوز بالجنة أو الطمأنينة من الخوف والحزن .

٦- إن الإمام الرضا عليه السلام فسر الاستقامة بالولاية^(١) وبذلك قد يقول قائل أن هناك اختلافاً بين الأئمة عليهم السلام وحاشاهم من ذلك بل أن الإمامة وقبول قيادة أئمة أهل البيت هي جزء من الاستقامة وبقاء خط التوحيد والوسطية بين الانحراف والضلال، لكن الإمام علي عليه السلام عبر عنها بتعبير غير مباشر وهي الطريقة الصالحة من عبادته ودليل ذلك القول أن الطريقة الصالحة من عبادته هي الإمامة بدليل توثيق الإمام عليه السلام النص ذاته بكونها (كتاب الله، ومنهاج أمره، والطريق الصالحة من عبادته) نص لا يمكن الابتداع فيه أو مخالفته أو المروق عنه .

^١ - عن محمد بن فضيل قال : سألت الإمام الرضا عليه السلام عن معنى قوله : (ثم استقاموا) قال : هي والله ما أنتم عليه ، الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ٢١/٩ ؛ المازندراني ، شرح اصول الكافي ، ٧٤/٧ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ١٤٨/٦ .

المبحث الثالث

الغاية الفلسفية وطابعها الشمولي

لا ريب أن الوسطية أو مشتقاتها كالقصد والكفاف ليست منهجاً أو مساراً فحسب بل فلسفه ولعل الفلسفة التي وراء ذلك تتعلق بغاية حتمت تلك الفلسفة ، وعلى هذا الأساس فإن الغايات الفلسفية التي ذكرناها لا تمنع من أن هدف الإمام عليه السلام هو هدف توعوي تنقفي بيد أن طبيعة الطرح هو ذو بعد فلسفي إن صح القول يتعلق مثلاً ببيان مكانة بعض الأشخاص أو سبب الدعاء لهم ومصداق ذلك مثلاً ترحم الإمام علي عليه السلام على خباب بن الارت^(١) في قوله: (يَرْحَمُ اللَّهُ خَبَابَ بْنَ الْأَرْتِّ، فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِبًا، وَ هَاجَرَ طَائِعًا، وَ قَنَعَ بِالْكَفَافِ، وَ رَضِيَ عَنِ اللَّهِ، وَ عَاشَ مُجَاهِدًا)^(٢) .

فالإمام عليه السلام هنا يترحم على خباب مع العلم أن الإمام عليه السلام كان أعلم الناس بالناس لذلك فإن ترحمه على أحد الأشخاص ليس من باب الترحم الذي يقوله الناس في حق الشخص

^١ - اختلف في نسبه فقيل خزاعي وقيل تميمي وهو الأكثر وهو خباب بن الارت بن جندلة بن سعد بن خزيمه بن كعب بن سعد بن زيد مناه بن تميم يكنى أبا عبد الله وقيل أبو محمد وقيل أبو يحيى وهو عربي لحقه سبأ في الجاهلية فبيع بمكة وقيل هو حليف بني زهرة وقال ابن منده وأبو نعيم قيل هو مولى عتبة بن غزوان وقيل مولى أم أنمار بنت سباع الخزاعية وهي من حلفاء بني زهرة فهو تميمي النسب خزاعي الولاء زهري الحلف لان مولاته أم أنمار كانت من حلفاء عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة والد عبد الرحمن بن عوف وهو من السابقين الأولين إلى الاسلام وممن يعذب في الله تعالى كان سادس ستة في الاسلام قال مجاهد أول من أظهر اسلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وسمية أم عمار فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب وأما أبو بكر فمنعه قومه وأما الآخرون فألبسوهم أدرع الحديد ثم صهر وهم في الشمس فبلغ منهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ من حر الحديد والشمس قال الشعبي ان خبابا صبر ولم يعط الكفار ما سألوا فجعلوا يلصقون ظهره بالرضف حتى ذهب لحم ممته مرض ومات ودفن بالكوفة سنة ٣٧ هـ ، ابن الاثير ، اسد الغاية في معرفة الصحابة ، ٩٨/٢-١٠٠ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ٧٢٩ .

المتوفى بل أن هناك غاية فلسفية حتمت ذلك وهذه الغاية الفلسفية هي جملة الأوصاف والمميزات التي كان يمتلكها خباب بن الارت ومن ضمن هذه الأوصاف قناعته بالكفاف أي بما يكفيه من غير زيادة أو نقصان وهذه فضيلة من اعظم الفضائل لأنه بهذا قدم خباب خدمة كبرى للمعوزين ولو أخذ الزائد عن حاجته وتمتع به لكان قد حرم المحتاجين قوتهم الضروري^(١) ، بالمحصلة النهائية أن خباب كان ممن يطبق منهج الوسطية والاستقامة بالكفاف في كل وسيلة وحاجة من الحاجات الدنيوية .

لذا يمكن القول أن النتائج ذات الأبعاد الفلسفية تهدف في الغالب للإثبات والاستدلال على الغاية والأهمية من الوسطية وهو الأمر الذي نلاحظه في خطب الإمام علي عليه السلام التي تقع في هذا الإطار فيقول عليه السلام في صفة الضال : (وَهُوَ فِي مُهَلَّةٍ مِنَ اللَّهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ ، وَ يَغْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ ، بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ ، وَ لَا إِمَامٍ قَائِدٍ)^(٢) ، فالغاية الفلسفية من السبيل القاصد المتوسط الذي يوصل إلى المطلوب والإمام القائد هو الوقاية من الضلال فسقوط الضال وانخراطه في سلك الغافلين والمذنبين بسبب جهله وغفلته وفقدانه طريق الاستقامة الذي يوصله إلى الله وسبيل الحق والإمام القائد الذي يأخذ بيده ويهديه ومن ثم فمن غفل عن سبيل الهدى وسلك سبيل الضلال باء بغضب من الله^(٣) .

^١ - ينظر: مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢٤٣/٤ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٢٣٩/٥ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٣-٢١/٣٤ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٨١/٤ ؛ الشرقي ، شرح نهج البلاغة ، ص ٤٣٥ (فارسي) .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ٣١٢ .

^٣ - ينظر: البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٢٣٩/٣ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٣٨٠/٢ ؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٣٧٩/٢-٣٨٠ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٤٨٧/٢ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٣-٦٤/١٤ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٢١٠-٢١١ .

ويبدو أن تفسير هذا الأمر أصبح واضحاً فمنهج القصد منهج في غاية الأهمية وترتب على تاركة نتائج خطيرة لذا لا غرابة عندما نجد أن الإمام عليه السلام يدعو على أصحابه عندما حثهم على الجهاد في غارات أهل الشام على أطراف العراق عند انقضاء صيفين (٣٧هـ) والنهروان (٣٨هـ)^(١) فرفضوا الخروج إلا أن يخرج معهم فقال عليه السلام: (مَا بِالْكُمْ! لَا سُدَّدْتُمْ لِرُشْدٍ! وَ لَا هُدَيْتُمْ لِقَصْدٍ! أ فِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ؟ وَ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَ دَوِي بِأَسْكُمْ...)^(٢) ، إذ يقول الإمام عليه السلام لهم عندما أصروا على خروجه لا سدّدتم لرشد ولا اهتديتم لقصد أي لا يوفقوا للصواب ولا يهتدوا للقصد الأمر المعتدل الذي لا يميل إلى اليمين أو الشمال^(٣) ، مع العلم أن الإمام عليه السلام هنا لا يقصد الدعاء بمعنى الدعاء السلبي بل هو في حقيقته بيان لواقع الحال في صيغة الدعاء والقصد منه اللوم والتوبيخ^(٤) ، فلم يهتدوا بإصرارهم على الرشاد وطريق الوسط والاستقامة الذي ليس فيه إفراط أو تفريط بل كانوا منحرفين عنه.

وبذلك نخلص إلى نتيجة أن القصد الذي هو الاعتدال والتوسط والاستقامة له غاية فلسفية تتعلق بالنتائج الإيجابية المترتبة عليه للحيلولة دون الانحراف أو الشطط في كل أمر من الأمور الدنيوية والآخروية مع العلم أن القصد هو أمر وسنة نبوية إذ يقول الإمام عليه السلام مصداقاً لذلك في وصف النبي محمد ﷺ (وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، شَهَادَةَ إِيْمَانٍ وَ إِيْقَانٍ، وَ إِخْلَاصٍ وَ إِذْعَانَ.

^١ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٨٧/٧ ؛ وينظر : الثَّقَفِي ، الغارات ، ٦٢٥-٦٢٦ .

^٢ - نهج البلاغة ، ص ٢٥٥-٢٥٦ .

^٣ - ينظر: الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٠٥/٨ ؛ انصاريان ، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، ٤٠٥/١ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٣٦/٢ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣١٨/٢ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣٠/١٢-١١ .

^٤ - مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢١٠-٢٠٩/٢ .

وَ أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وَ أَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةً، وَ مَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةً، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ؛ وَ نَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَ هَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَ أَمَرَ بِالْقَصْدِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ^(١).

فيشير هذا النص إلى أن الرشد والقصد من مرتكزات السنة النبوية وأول مضامين هذا المرتكز أن الرشد قام على الهداية في حين أن القصد قام على الأمر من النبي ﷺ أن يسلك الناس سلوكاً وسطاً في جميع أمورهم لأنه السبيل الموصل إلى مرضاة الله^(٢).

وعلى العموم فإن ما يريد الإمام ﷺ توضيحه هو أن القصد والاقتصاد ليس منهجاً وسطياً فحسب وإنما هو امر صادر من النبي ﷺ ، ويقول الرسول ﷺ في هذا الإطار (اسمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة)^(٣) ، كما يلاحظ ترادف مفردتي الرشد والقصد في كلام الإمام ﷺ إذ نلاحظ في النص الذي سبق في دعائه على أصحابه (لَا سُدُّنُكُمْ لِرُشْدٍ! وَ لَا هُدَيْتُمْ لِقَصْدٍ) وفي ذكره للنبي ﷺ (، وَ هَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَ أَمَرَ بِالْقَصْدِ) وربما هذا الترادف لأنها متكافئة في المعنى لكن الرشد أكثر فضاخ بحيث ينطبق على السداد والهدى والبر والتقوى والقصد في حين أن القصد ينطبق على الاعتدال والتوسط فقط.

أيضاً من جملة ما يمكن الخروج به أن كلام الإمام ﷺ جاء لتشخيص مظاهر الفساد التي كان سائدة قبل البعثة المحمدية وامتيازات البعثة التي تمثلت بالنصيحة والهداية والأمر ، فضلاً عن ذلك يقول الإمام علي ﷺ للإمام الحسن ﷺ (... وَ أَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ تَأْوِيلِهِ، وَ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَ أَحْكَامِهِ، وَ حَلَالِهِ وَ حَرَامِهِ، لَا أَجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ. ثُمَّ

^١ - نهج البلاغة ، ص ٤٦٣ .

^٢ - ينظر: الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٥١/٣ ؛ الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٨٢/٣ ؛ الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٨٩/١٢ ؛ دخيل ، شرح نهج البلاغة ، ١٩-٩٥/٢٠ .

^٣ - الترمذي ، سنن الترمذي ، ٢٤٧/٣ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٢٤٧/٣ .

أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَ آرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي التَّبَسَّ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَيَّ أَمْرٌ لَا أَمْنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ، وَ رَجَوْتُ أَنْ يُؤَفِّقَكَ اللَّهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَ أَنْ يَهْدِيكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهَدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ.^(١)

وكما قلنا في مرات عديدة أن الكلام موجه إلى الإمام الحسن عليه السلام لكن المقصود به غيره ، وفي هذا النص المتقدم يقول فيه الإمام علي عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام أن يوفقك الله لرشدك وان يهديك لقصديك أي وسط الطريق لا يمينه ولا شماله المائلان عن الحق^(٢) ، والفلسفة من هذا الكلام أن الرشد والقصدي جزآن ومرتكزان أساسيان من مرتكزات النبوة والإمامة فهما منهجان في غاية الأهمية لما يترتب عليهما من نتائج خطيرة على المستويات كافة.

^١ - نهج البلاغة ، ص ٥٩٥ .

^٢ - الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٥١/٤ .

الختامة

وفي نهاية الدراسة يمكن الخروج بجملته من النتائج :

١. إبراز الإمام علي عليه السلام للجانب المميز من الوسطية الذي يتمثل بكونها منهاجاً عملياً وعلمياً متكامل وليس موقف أو كلمات هذا من ناحية وجانب الموازنة في الأمور كلها من ناحية أخرى .
٢. إن الوسطية ليست مصطلح حديث طارئ على المجتمع الإسلامي بل هي سمة الأمة المسلمة ومن المصطلحات الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية استخدمت بكثرة في الخطابات المعاصرة .
٣. المحافظة على المفهوم الاعتدالي المتوازن للحيلولة دون تحوله إلى مفهوم تطرف وتكفير وما ينتج من آثار كارثية على المستويات كافة .
٤. تشخيص الإمام عليه السلام للعديد من المظاهر التي تعد انحرافاً عن الوسطية وانطباقها بطابع الغلو والتطرف .
٥. المسارات الوسطية التي ذكرها الإمام عليه السلام فيها الدعائم الأساسية لثبات كيان المجتمع ووضع أسس الدولة المتحضرة .
٦. إن المسارات الوسطية التي طرحها الإمام عليه السلام قابلة للثبات والاستمرار ومواكبة لحياة الإنسان في كل زمان ومكان .
٧. يتنوع المفهوم الوسطي بتنوع الأطر والجوانب الحياتية كافة فهو ليس مفهوماً عبادياً بل هو منهج حياة .
٨. إن المفهوم الوسطي هو مفهوم تكاملي ليس فيه ميل مطرد نحو اليمين أو نحو الشمال وإنما هو حالة الموازنة التي تتناغم مع الآثار البناءة .
٩. تشخيص المفهوم الوسطي في فكر وسلوك الإمام علي عليه السلام عكس ذلك التطابق بين الجانب النظري والعملي وعد هذا المفهوم كمنهج للأئمة عليهم السلام .
١. ربط الإمام عليه السلام بين الإيمان والوسطية بشكل يفضي إلى نوع من العلاقة الطردية بين الأمرين فكلما كان الإنسان متوازناً ومتوسطاً في عبادته ومعاملاته كان قريباً من الإيمان والعكس صحيح في التطرف لأحد الجانبين .

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر الأولية

*القران الكريم

* ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ت (٥٦٠٦ / ١٢٠٩ م) .

- النهاية في غريب الحديث ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط٤ ، قم - إيران ، ١٣٦٤ - ١٩٦٣م.

* ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم ت (٥٦٣٠ - ١٢٣٢ م) .

اسد الغابة في معرفة الصحابة ، د.ط ، بيروت - لبنان ، د.ت .

* أحمد بن حنبل ، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني الوائلي ت (٥٢٤١ / ٨٥٥ م) .

- المسند ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.

* الأزدي ، الفضل بن شاذان ت (٥٢٦٠ / ٨٧٤ م) .

- الإيضاح ، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي ، مؤسسة انتشارات وچاب دانشگاه تهران ، ١٣٦٣ش.

*الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ت (٥٥٠٢ / ١١٠٨ م) .

المفردات في غريب القرآن ، ط٢ ، د.م ، ١٤٠٤ هـ .

* البحراني، كمال الدين ميثم بن علي ت (٥٦٩٩ / ١٢٩٩ م) .

- اختيار مصباح السالكين شرح نهج البلاغة (المتوسط)، المصحح محمد الهادي الأميني، ط١، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٠٨ هـ.

- شرح نهج البلاغة (الكبير)، ط٢، د.م ، ١٤٠٤ هـ .

شرح مائة كلمة ، تحقيق : مير جلال الدين الحسيني ، قم ، ١٣٩٠ هـ .

* البخاري ، إسماعيل بن إبراهيم ت (٥٢٥٦ / ٨٧٠ م) .

صحيح البخاري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، طبع بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستنبول ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

*البرسي ، رجب بن محمد بن رجب ت (بعد ٨١٣هـ / ١٤١٠م) .

مشارك انوار اليقين في اسرار أمير المؤمنين عليه السلام ، تحقيق : علي عاشور ، ط ١ ، بيروت ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

* البرقي: أحمد بن محمد بن خالد ت (٢٧٤هـ / ٨٨٧م) .

-المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني ، طهران، ١٣٧٠هـ .

*البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد ت (٤٢٩هـ / ١٠٤٠م) .

الفرق بين الفرق ، اعتنى بها وعلق عليها : الشيخ إبراهيم رمضان ، الأولى ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥ - ١٩٩٤ م .

*البغوي ،الحسين بن مسعود بن محمد ت (٥١٦هـ / ١١٢٢م) .

معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ، تحقيق خالد بن عبد الرحمن العك ، دار المعرفة -بيروت ، د.ت .

* البيهقي ، أحمد بن الحسين ت (٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) .

- السنن الكبرى ، دار الفكر ، د.ت .

* بيهقي خراساني، ظهير الدين أبو الحسن علي ت (٥٥٢هـ / ١١٥٧م) .

معارج نهج البلاغة ، المصحح محمد تقي دانش، ط ١، قم ، ١٤٠٩هـ .

* الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي ت (٢٧٩هـ / ٨٩٢م) .

السنن ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

* ابن تيميه ، تقي الدين أحمد ت (٥٧٢٨ / ١٣٢٨ م) .

مجموعة الفتاوى ، طبعة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، د.ت.

* الثقفى ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفى الكوفى ت (٥٢٨٣ / ٨٩٦ م) .

الغارات ، تحقيق: السيد جلال الدين الحسينى الأرموى المحدث ، طبع على طريقة أوفست في مطابع بهمن ، د.ت.

* ابن الجوزى ، أبو الفتح عبد الرحمن بن علي ت (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) .

الموضوعات ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، ط ١ ، المكتبة السلفية - المدينة المنورة ، ١٣٨٦ هـ .

* الجوهرى ، أبو نصر إسماعيل بن حماد ت (٥٣٩٣ / ١٠٠٣ م) .

الصاح ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

* الحاكم النيسابورى ، أبو عبد الله ت (٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م) .

المستدرك على الصحيحين ، بإشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلى ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت.

* ابن حجر العسقلانى ، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلانى الشافعى ت (٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) .

فتح الباري في شرح صحيح البخارى ، ط ٢ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت.

* ابن أبى الحديد ، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعتزلى ت (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) .

شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، قم ، ١٣٧٨ هـ.

الروضة المختارة (شرح القصائد العلويات السبع) ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت ، د.ت .

* الحلبي ، أحمد بن فهد ت (٨٤١هـ - ٤٣٧م) .

عدة الداعي ونجاح الساعي ، تحقيق : أحمد الموسوي القمي ، مكتبة وجداني - قم ، د.ت .

* الحلبي ، جمال الدين أبو منصور الحسين بن يوسف ت (٧٣٦هـ - ١٣٣٥م) .

نهاية الاحكام في معرفة الأحكام ، تحقيق: مهدي الرجائي ، ط ٢ ، قم ، ١٤١٠هـ .

* الحلبي ، حسن بن سليمان ت (ق) ٩ .

مختصر بصائر الدرجات ، ط ١ ، قم ، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م .

* ابن حمدون ، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي البغدادي ت (٥٦٢هـ -

١١٦٧م .

التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس ، ط ١ ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ،

١٩٩٦م .

* ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي ت (٣١١هـ / ٩٢٤م) .

صحيح بن خزيمة ، تحقيق : محمد مصطفى الاعظمي ، ط ٢ ، المكتب الاسلامي ، ١٤١٢هـ -

١٩٩٢م .

* الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ت (٢٥٥هـ / ٨٦٩م) .

سنن الدارمي ، مطبعة الاعتدال ، دمشق ، طبع بعناية محمد أحمد دهمان ، ١٣٤٩هـ .

* أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ت (٢٧٥هـ / ٨٨٩م) .

سنن أبو داود ، تحقيق: سعيد محمد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ -

١٩٩٠م .

* الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت (٧٤٨هـ /

١٣٧٤م) .

سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

* الرازي ، فخر الدين ت(٥٦٠٦ / ١٢١٠م).

تفسير الرازي ، ط٣ ، د.ت ، د.م .

* الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت(٧٢١/١٣٦٩م) .

مختار الصحاح ، تحقيق أحمد شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤ م .

* الراوندي ، ضياء الدين أبو الرضا فضل الله بن علي الحسني ت (٥٧١ هـ / ١١٧٤م) .

النوادر ، تحقيق: سعيد رضا علي عسكري ، ط١ ، دار الحديث ، قم ، د.ت .

* الراوندي، قطب الدين أبو الحسين بن هبة الله قطب الدين ت(٥٧٣ هـ/١١٧٧م) .

الخرائج والخرائج، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي(عليه السلام)، الطبعة الأولى، قم، ١٤٠٩ هـ .

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تحقيق : السيد عبد اللطيف الكوهكمري ، قم ١٤٠٦ هـ .

* الزبيدي ، أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ت (١٢٠٥ هـ / ١٧٩١م) .

تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

* الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ت(٥٣٨ هـ / ١١٤٣م) .

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م.

* الزيعلي ، الحافظ أبي محمد عبد الله بن يوسف ت(٧٦٢ هـ/١٣٨٨م)

تخريج الأحاديث والآثار ، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، ط ١ ، لرياض - دار ابن خزيمة ، ١٤١٤ هـ .

* السرخسي ، المحقق علي بن ناصر ت (القرن السادس الهجري - القرن الثالث عشر الميلادي).

أعلام نهج البلاغة ، تحقيق : عزيز الله عطار ، ط ١ ، مؤسسة الطبع والنشر ، طهران ، ١٤١٥ هـ .

* ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري ت (٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م).

الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.

* السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) .

الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، ط ١ ، دار الفكر - بيروت ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

* ابن شهر آشوب : محمد بن علي ت (٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م).

مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، النجف ، ١٣٧٦ هـ .

* الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبو بكر أحمد ت (٥٤٨ هـ /) .

الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة - بيروت - لبنان ، د.ت .

* الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ت (٣٨١ هـ /

٩٩١ م) .

الأمالي ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة ، قم ، ط ١ ، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ، ١٤١٧ هـ .

التوحيد ، تحقيق : السيد هاشم الحسيني الطهراني ، بدون طبعة ، قم ، د.ت .

الخصال ، تحقيق : علي أكبر غفاري ، بدون طبعة ، قم ، ١٤٠٣ هـ .

- عيون أخبار الرضا(ع) ، تحقيق : الشيخ حسين الاعلمي، ط ١ ، بيروت، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- الهداية في الأصول والفروع ، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهادي (عليه السلام)، ط ١ ، قم ، ١٤١٨ هـ .
- * الصفار : أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ ت(٢٩٠هـ/٩٠٢م) .
- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد ، تحقيق: الحاج ميرزا محسن ، طهران، ١٤٠٤ هـ .
- *الصنعاني ، عبد الرزاق بن همام ت(٢١١هـ / ٨٢٦هـ) .
- تفسير القرآن ، تحقيق : مصطفى مسلم محمد ، ط ١ ، الرياض ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
- * ابن طاووس: رضي الدين علي(٦٦٤هـ / ٢٦٥م) .
- إقبال الأعمال ، تحقيق: جواد القيومي ، ط ١ ، قم، ١٤١٤ هـ .
- * الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي ت(٣٦٠هـ / ٩٧١م) .
- المعجم الكبير ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، دار إحياء التراث ، د.ت.
- *الطبرسي ، أحمد بن علي ت (٥٦٠هـ / ١١٦٤م) .
- الاحتجاج ، تحقيق: محمد باقر الخراسان ، دار النعمان ، النجف الاشرف ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- * الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل ت(٥٤٨هـ / ١١٥٣م) .
- تفسير مجمع البيان ، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والأخصائيين ، ط ١ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- مكارم الأخلاق ، ط ٦ ، منشورات الشريف الرضي ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ .
- * الطبري ، عماد الدين أبو جعفر ت(٦٠٠هـ / ١٢٠٠م) .
- بشارة المصطفى لشيعه المرتضى، تحقيق: جواد القيومي ، ط ١ ، قم، ١٤٢٠ هـ .

* الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد ت(٣١٠ هـ / ٩٢٣ م).

تاريخ الطبري، تصحيح: لجنة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، د.ت.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تقديم: الشيخ خليل الميس ضبط وتوثيق وتخرير صدقي جميل العطار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

* الطريحي ، فخر الدين بن محمد بن علي بن أحمد بن طريح الرمحي النجفي ت (١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م).

مجمع البحرين ، تحقيق: السيد أحمد الحسيني ، ط ٢ ، ناشر مرتضوي ، طهران ، ١٣٦٢ ش.

* الطوسي: محمد بن الحسن بن علي بن الحسين(٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م)

الامالي، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة ، ط ١ ، قم، ١٤١٤ هـ.

تهذيب الأحكام، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان ، ط ٣ ، طهران، ١٣٦٤ ش . .

مصباح المتجهد ، ط ١ ، بيروت ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

* ابن عربي ، محمد بن علي ت(٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) .

الفتوحات المكية ، دار صادر - بيروت ، د.ت .

* ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي الشافعي ت(٥٧١ هـ / ١١٧٦ م).

تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: علي شيري ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

* علي بن ابي طالب عليه السلام ، الإمام ت(٤٠ هـ / ٦٦٠ م).

نهج البلاغة ، ضبط صبحي الصالح ، ط ٣ ، دار الحديث للطباعة والنشر ، ١٤٢٦ ق - ١٣٨٤ ش .

* علي بن الحسين عليه السلام ، الإمام ت (٩٤ هـ / ٧١٢ م) .

- الصحيفة السجادية ، تحقيق ، ط ١ ، قم ، ١٤١٨ هـ .

* العياشي ، أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي ت ٣٢٠ هـ .

تفسير العياشي ، تحقيق : هاشم الرسولي ، المكتبة العلمية الإسلامية - طهران ، د.ت .

* الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) .

إحياء علوم الدين ، بيروت ، د.ت

* ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ت (٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) .

معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام هارون ، مكتبة الإعلام الإسلامي ، ١٤٠٤ هـ .

* الفتال النيسابوري: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م)

روضة الواعظين ، تحقيق: محمد الخراسان ، قم ، د.ت .

* ألفراهيدي ، الخليل بن أحمد ت (١٧٥ هـ / ٧٩١ م) .

العين ، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي ، ط ٢ ، مؤسسة دار الهجرة ، قم ، ١٤٠٩ هـ .

* القاري ، علي ت (١٠١٤ / ١٦٠٥ م) .

شرح مسند أبي حنيفة ، دار الكتب العلمية - بيروت ، د.ت .

* القاضي عياض ، أبي الفضل عياض اليحصبي ت (٥٤٤ هـ - ١١٤٩ م) .

الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، د.ط ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

- * القاضي النعمان ، أبو حنيفة محمد بن منصور ت (٣٦٣هـ/٩٧٣م) .
دعائم الإسلام، تحقيق: اصف بن علي، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣ م .
- *القالبي ، اسماعيل بن القاسم ت (٣٥٦هـ/٩٦٧م) .
الامالي ، منشورات المكتب الاسلامي ، د.ت .
- * القرطبي: أبو عبدالله محمد الأنصاري ت (٦٧١هـ / ١٢٧٢م) .
الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: أحمد عبد العليم، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
- *القمي ، أبو الحسن علي بن إبراهيم ت نحو (٣٢٩هـ / ٩٤٠م) .
تفسير القمي ، تحقيق : طيب الموسوي الجزائري ، ط٣ ، قم ، ١٤٠٤ هـ .
- *الكاشاني ، محمد محسن ت (١٠٩١ هـ / ١٦٨٠م) .
التفسير الصافي ، تحقيق: حسين الاعلمي ، ط٢ ، قم ، ١٤١٦ هـ .
المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء ، تحقيق : علي اكبر الغفاري ، ط٢ ، قم ، د.ت .
- الوافي ، تحقيق : مركز التحقيقات الدينية والعلمية في مكتبة الامام امير المؤمنين علي (ع) ،
ط١ ، اصفهان ، ١٤١٢ هـ .
- *ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي ت (٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
تفسير القرآن العظيم ، تحقيق وتقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، مكتبة دار التراث ، القاهرة
، ١٤١٢ - ١٩٩٢ م .
- * الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ت (١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م) .

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، اعداد الطبع ووضع الفهارس : د. عدنان درويش-محمد المصري ، ط ٢ ، بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

* الكليني ، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي ت(٥٣٢٩ / ٩٤٠م) .

الكافي ، تحقيق: علي أكبر الغفاري ، ط ٣ ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٨٨هـ .

* كيزري بيهقي ، الشيخ أبو محمد بن الحسين ت (القرن السادس الهجري / القرن الثاني عشر الميلادي).

حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، المصحح: عزيز الله العطاردي ، ط ١ ، مؤسسة نهج البلاغة نشر عطار ، قم ، ١٤١٦هـ .

* ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت(٥٢٧٣ / ٨٨٧م) .

سنن بن ماجة ، تحقيق وتعليق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت .

* المازندراني ، محمد صالح ت(١٠٨١/١٦٧٠م) .

شرح أصول الكافي ، تحقيق: الميرزا أبي الحسن الشعراني ، تصحيح السيد علي عاشور ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

* المتقي الهندي ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين ت(٥٩٧٥ / ١٥٦٧م).

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ضبط وتفسير الشيخ بكري حياني ، تصحيح وفهرسه: الشيخ صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

* المجلسي ، محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني ت(١١١١هـ / ١٦٩٨م).

بحار الأنوار ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، تحقيق : مرتضى العسكري - هاشم الرسولي ، ط ٢ ، طهران ١٤٠٤ هـ .

* مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري ت (٥٢٦١ / ٨٧٥ م) .

صحيح مسلم ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .

* المشغري ، جمال الدين يوسف حاتم بن فوز ت (٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م) .

الدر النظيم ، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين - قم ، د.ت .

* ابن المغازلي ، أبو الحسن علي بن محمد ت (٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م) .

مناقب علي ابن أبي طالب (عليه السلام) ، ط ١ ، مطبعة سيمان اشارات سبط النبي ، ١٤٢٦-١٣٨٤ ش .

* المفيد ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري ت (٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) .

الأمالى ، تحقيق: حسين أستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري ، ط ٢ ، دار المفيد للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

* المناوي ، محمد عبد الرؤوف ت (١٠٣١ هـ / ١٦٢١ م) .

فيض القدير شرح الجامع الصغير من احاديث البشير النذير ، تحقيق : أحمد عبد السلام ، ط ١ ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

* ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي ت (٧١١ هـ / ١٣١١ م) .

لسان العرب ، نشر أدب الحوزة، قم ، ١٤٠٥ هـ .

* النباطي ، علي بن يونس العاملي ت (٨٧٧ هـ / ١٤٧٢ م) .

الصراط المستقيم الى مستحقي التقديم ، تحقيق: محمد الباقر البهبودي ، ط ١ ، المكتبة
المرتضوية لإحياء الاثار الجعفرية ، ١٣٨٤ هـ .

* النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن
دينار ت (٥٣٠٣ / ٩١٥ م) .

السنن الكبرى ، حقيق : عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، ط ١ ، بيروت -
لبنان ، ١٤١١ - ١٩٩١ م .

سنن النسائي ، ط ١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م .
* نصر بن مزاحم المنقري ت (٥٢١٢ / ٨٢٧ م) .

وقعة صفين ، تحقيق: عبد السلام هارون ، ط ٢ ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع ، مطبعة
المدني ، مصر ، ١٣٨٢ هـ .

* الهيثمي ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبو بكر بن سليمان المصري ت (٨٠٧ هـ /
١٤٠٤ م) .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبع بإذن حسام الدين مؤسس
مكتبة القدسي ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

المراجع

* أنصاريان ، علي ت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ، المصحح: مرتضى حاج علي فرد ، ط ١ ،
مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة ، طهران ، ١٤٠٨ .

* الامين ، محسن .

ايعان الشيعة ، تحقيق : تحقيق وتخريج : حسن الأمين ، د.ط ، بيروت - لبنان ، د.ت .

* بازمول ، محمد بن عمر بن سالم .

أدلة الوسطية من القرآن العظيم والسنة النبوية ، جامعة ام القرى ، د.ت .

* البحراني: السيد هاشم ت ١١٠٧هـ-١٦٩٥م .

مدينة المعاجز، تحقيق: عزة الله المولائي ، ط ١ ، قم، ١٤١٣هـ .

* البروجردي :اقا حسين الطباطبائي ت ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

جامع أحاديث الشيعة، قم، ١٣٩٩هـ .

* بيضون ، لبيب.

تصنيف نهج البلاغة ، ط ٣ ، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤١٧ .

* التستري ، الشيخ محمد تقي ت ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م .

بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ط ١ ، دار أمير كبير للنشر ، طهران ، ١٤١٨ .

* جابر ، حميد سراج.

الفكر الاختباري في نهج البلاغة ، ط ١ ، دار البصائر للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ،

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م .

* جرداق ، جورج.

روائع نهج البلاغة ، ط ٢ ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ١٤١٧ .

* حسيني الشيرازي ، السيد محمد ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

توضيح نهج البلاغة ، دار تراث الشيعة ، طهران ، د.ت .

* الحكيم ، محمد باقر ت ١٤٢٥هـ .

دور أهل البيت (ع) في بناء الجماعة الصالحة ، ط ٢ ، مركز الطباعة والنشر للمجمع

العالمي لأهل البيت (ع) ، ١٤٢٥هـ .

*الحكيم ، محمد تقي .

الاصول العامة للفقهاء المقارن ، ط ٢ ، مؤسسة ال البيت للطباعة والنشر ، ١٩٧٩م .

*حنون ، د.مفيد .

أساسيات علم وظائف الأعضاء ، ط ١، عمان ، ١٩٩٩ .

* الخراساني ، السيد محمد تقي النقوي القابلي.

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة ، مكتبة المصطفوي ، طهران ، د.ت.

* الخطيب ، عبد الزهراء الحسيني .

مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، ط ٤ ، دار الزهراء ، بيروت ، ١٤٠٩.

* الخوئي ، إبراهيم بن حسين.

الدرة النجفية ، تم التأليف ١٢٩١ق ، د.ت.

* الخوئي ، حبيب الله الهاشمي .

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، المصحح: السيد إبراهيم الميانجي ، ط ٤ ، المكتبة

الإسلامية ، طهران ، ١٤٠٠.

* دخيل ، علي محمد علي.

شرح نهج البلاغة ، دار المرتضى ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ .

*رزاق ، خليل .

العرفان الشيعي رؤى في مرتكزاته النظرية ومسالكه العملية تقرير بحث للسيد كمال الحيدري

، التنزيه: محمد البديري المراجعة اللغوي: عبد الرضا عبد الحسين ، ط ١ ، قم ،

١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م .

* الريشهري ، محمد .

موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة السيد محمد كاظم الطباطبائي ، السيد محمود الطباطبائي ، ط ٢ ، دار الحديث للطباعة والنشر ، قم ، ١٤٢٥ هـ .

* الزركلي ، خير الدين ت ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

الأعلام ، ط ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

* السبحاني ، جعفر .

لب الاثر في الجبر والقدر تقريراً لمحاضرات آية الله العظمى السيد الإمام الخميني ، ط ١ ، قم ، ١٤١٨ هـ .

* شمس الدين ، محمد جعفر .

دراسات في العقيدة الإسلامية ، دم ، د.ت .

* شمس الدين ، محمد مهدي .

دراسات في نهج البلاغة ، ط ٢ ، دار الزهراء للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

* الصلابي ، علي محمد .

الوسطية في القرآن الكريم ، ط ١ ، القاهرة ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

* الطباطبائي ، حسن الميرجهاني .

مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة ، دم ، ١٣٨٨ هـ .

* الطباطبائي ، محمد حسين .

الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين ، قم ، د.ت .

* الطبرسي ، حسين النوري ت ١٣٢٠ هـ .

مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .

* عبده ، الشيخ محمد .

نهج البلاغة ، المصحح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، د.ت .

* العجلوني ، اسماعيل بن محمد ت ١١٦٢ .

كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس ، ط ٣ ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

* ابن عجيبة ، أحمد بن محمد بن المهدي ت ١٢٢٤ هـ - ١٨٠٩ م .

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي ، د.ط ، القاهرة ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

* الغروي ، محمد .

الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤٠٧ هـ .

* القرضاوي ، يوسف .

كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها ، ط ٢ ، مصر ، ٢٠١١ م .

* القزويني ، محمد كاظم .

شرح نهج البلاغة ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

* قطب ، محمد .

في ظلال القرآن ، ط ٣٢ ، مصر ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

* القمي ، عباس بن محمد رضا ت ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م.

شرح حكم نهج البلاغة ، مؤسسة نهج البلاغة ، ط ١ ، طهران ، ١٤١٧هـ .

* مجلس ، عادل عبد الله.

الله والإمام بحوث فكرية في الأسلوب الإلهي لإقامة الدين في الأرض ، ط ١ ، بغداد ، ٢٠٠٦.

* محمد ، حامد حفني داود .

نهج الحياة ، ط ١ ، طهران ، د.ت .

* المحمودي ، محمد باقر.

نهج السعادة في مستدرك البلاغة ، تصحيح: عزيز آل طالب ، ط ١ ، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، ١٤١٨هـ .

* المطهري ، مرتضى .

في رحاب نهج البلاغة ، ط ١ ، بيروت ، ١٤١٣هـ .

* مغنية ، محمد جواد.

في ظلال نهج البلاغة ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤٠٠هـ .

التفسير المبين ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

* مكارم الشيرازي ، ناصر.

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، دم ، د.ت.

* الموسوي ، السيد عباس علي.

شرح نهج البلاغة ، ط ١ ، دار الرسول الأكرم ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ١٤١٨هـ .

*المياحي ، شكري ناصر .

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دراسة في فكره العسكري ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٣٤هـ-٢٠١٢م .

* النوري الطبرسي ، ميرزا حسين ت ١٣٢٠هـ .

مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

* هاربر ، هارولد ، الكيمياء الفلسفية ، ترجمة أعضاء هيئة تدريسي كلية الطب ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٨٦هـ .

المصادر الفارسية

*الآملي ، عز الدين جعفر بن شمس الدين ت بعد ٩٤٤هـ .

ترجمة وشرح نهج البلاغة ، د.م ، ١٣٩٧هـ .

*الاردبيلي ، حسين بن شرف الدين .

شرح نهج البلاغة ، د.م ، د.ت .

*الانصاري ، محمد علي ت ق ١٤

ترجمة غرر الحكم ودر الكلم ، ط ٨ ، طهران ، د.ت .

شرح نهج البلاغة ، طهران ، د.ت .

شرح نهج البلاغة منظوم ، طهران ، د.ت .

*التبريزي ، المولى عبد الباقي ت ١٠٣٩هـ -

منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة ، تحقيق : حبيب الله العظيمي ، ط ١ ، طهران ، ١٤٢٠هـ .

*الجعفري ، محمد تقي .

ترجمة وتفسير نهج البلاغة ، ط ٧ ، طهران ، ١٤١٨ هـ .

* الخوانساري ، جمال الدين محمد ت ق ١٢ .

ترجمة غرر الحكم ودرر الكلم ، تحقيق: مير جلال الدين الحسيني ، ط ٤ ، طهران ، ١٤٠٨ هـ .

*الدامغاني ، محمود المهدي .

جلوه تاريخ در شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ، ط ٢ ، طهران ، ١٤١٧ هـ .

*الدشتي ، محمد .

فرهنگ معارف نهج البلاغة ، ط ١ ، د.م ، ١٤١٨ هـ .

*زادة القمي ، اصغر ناظم .

جلوه های حکمت ، ط ٢، قم ، ١٤١٧ هـ .

*الشرقي ، محمد علي .

شرح نهج البلاغة ، ط ١ ، طهران ، ١٤٠٥ هـ .

*الكاشاني ، فتح الله بن شكر الله ت ٩٨٨ هـ - ١٥٨٠ م .

تفسير كبير منهج الصادقين في الزام المخالفين ، طهران ، ١٣٣٣ ش .

تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين ، تحقيق : محمد جواد الذهني ، ط ١ ، طهران ، ١٤٢٠ هـ .

*المحلاتي ، هاشم الرسولي .

ترجمة غرر الحكم ودرر الكلم ، ط ٢ ، طهران ، ١٤٢٠ م .

*نواب اللاهيجي ، محمد باقر ق ١٣ .

شرح نهج البلاغة ، طهران ، د.ت .

*الوحيد ، أحمد المدرس .

شرح نهج البلاغة ، ط ١ ، قم ، د.ت .

المصادر الأجنبية

Davidson . principls and practice of medicine . London . 1999 .

البحوث والدراسات

*أحمد ، حسين علي .

الوسطية من منظور إسلامي ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الموصل ، العدد ١ ، لسنة ٢٠٠٧ .

*الحسيناوي ، عبد الرضا حسن جواد .

البعد التاريخي لحركة الزهد الاسلامي ، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة ، مجلة علمية فصلية محكمة تصدر عن الكلية الاسلامية الجامعة في النجف الاشرف ، العدد ٢ ، لسنة ٢٠٠٧م .

*حلومي ، وضاح كافي .

مفهوم الوسطية ومضمونها في القرآن الكريم (دراسة موضوعية) ، مجلة كلية العلوم الاسلامية ، مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الاسلامية جامعة بغداد ، العدد ٢٣ ، لسنة ٢٠١٠ .

* الشمري ، يوسف كاظم جفيل ، وآخرون .

البذخ والتترف عند الخلفاء في العصر العباسي ١٣٢-٦٥٦ هـ ، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية ، مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها جامعة بابل ، العدد ٤ ، لسنة ٢٠١٠ .

*الشوبكي ، ايمان سامي محمد .

ألفاظ الفلك والهيئة في نهج البلاغة (دراسة معجمية) ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح في نابلس ، فلسطين ، ٢٠٠٨ م .

*عبد الحسن ، شكري ناصر .

دلالات امامة أهل البيت (عليهم السلام) في روايات الزهري ، مجلة ابحاث البصرة ، مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية التربية جامعة البصرة ، العدد ٢ ، لسنة ٢٠١٤ م .

*الغيساوي ، محمود خلف جراد .

الوسطية في ضوء السنة الشريفة ، مجلة الجامعة العراقية ، مجلة محكمة يصدرها مركز الدراسات والبحوث الاسلامية في الجامعة العراقية ، العدد ٢١/١ ، لسنة ٢٠٠٨ .

*فندي ، احتراس شاكر .

تفسير اية الوسطية دراسة موضوعية - تحليلية ، مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة ، مجلة علمية انسانية محكمة نصف سنوية متخصصة بنشر العلوم العربية والاسلامية وبالتخصصات العامة والدقيقة ، العدد ١٦ ، لسنة ٢٠١٣ .

*الفهداوي ، محمد عزيز مخلف الفهداوي ، خلف أحمد خلف الفهداوي .

الاعجاز الالهي في العبادات البدنية (الصلاة انموذجاً) ، مجلة الاستاذ ، مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية ابن رشد ، العدد ٢١٥ ، لسنة ٢٠١٥م-١٤٣٧ هـ .

*القيسي ، علاء صالح .

الوسطية القرآنية بين الإفراط والتفريط ، مجلة الجامعة العراقية ، مجلة محكمة يصدرها مركز الدراسات والبحوث الإسلامية في الجامعة العراقية ، العدد ٢٤/١ ، لسنة ٢٠١٠ .

*نعمة ابراهيم .

الوسطية في التصور الاسلامي ، مجلة كلية الامام الاعظم الجامعة ، مجلة علمية انسانية محكمة نصف سنوية متخصصة بنشر العلوم العربية والاسلامية وبالتخصصات العامة والدقيقة ، العدد ٢ ، لسنة ٢٠٠٦ .

شبكة المعلومات العالمية (الانترنت)

* اضرار السمنة على الصحة والرجولة

<https://www.webteb.com>

*غالاجر - محرر الصحة بي بي سي ، ساعة الذروة والتغيرات التي تصاحبها في جسم الإنسان ، ٢٨ اكتوبر-تشرين الاول ٢٠١٤

www.bbc.com.

* معجم المعاني الجامع ،

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>.

* محمد جبرون ، نحو فقه جديد لمفهوم الوسطية .

http://tawary.com/article_ar_impr.php?id_article=2095 .

Ministry of Higher Education and Scientific Research
university of Basrah
college of Education for Human Sciences
Department of history

*The Moderation Trends in
Imam Ali's Intellect: A Study
in Nahjul-Balagha*

A Dissertation submitted to the Council of the college of Education for
Humanities as partial fulfillment of the Requirements for the degree of Doctor of
Philosophy in Islamic history

By:

Arwa Abdul-Wahid Raheem

Supervised by:

Prof. Dr. Hameed Siraj Jaber

2018 A.D

Abstract

In the middle of the challenges that the Islamic nation passes through during the modern times which affected the presence of the communities and their future, moderation appeared as an important approach to build a sound society. The intellectual visions of the Prince of Believers (peace be upon him) described moderation as a vital cure.

This thesis entitled (**The Moderation Trends in Imam Ali's Intellect: A Study in Nahjul-Balagha**) is divided into three chapters preceded by an introduction and followed by conclusions. The prelude is entitled (The Concept of Moderation and Its Intellectual Implications), it defines moderation and shows its linguistic and terminological significances. It also shows intellectual accommodation of the concept of moderation and then studies the developing expression of moderation from Islamic perspective which basically depends on the Holy Qura'n and prophetic sunnah and its application by the Imams of Ahlu-el-Bayyt (peace be upon them).

Chapter one is devoted to the study of (The Perfection Paths in Belief and Intellect). Including the status of integration, whether in ideological thought and knowledge or legislation or educational rules that the Imam shows in the worship paths in order to move to the path of integration and perfection through moderation. Section two studies the importance of moderation in the belief in the position of Imamship and its dimensions of loyalty.

Chapter two which is entitled (Organizational Paths and Strategic Orientation) is divided into three sections. Section one studies the organizational path of the social framework and its sort of philosophy. Section two deals with the economic path. While section three deals with the organization of the military framework and its relationship with the leadership.

Chapter three displays (The Educational Paths and Their Inclusive Nature). Imam Ali (peace be upon him) put some protective regulations, this is studied in section one. In section two, the guiding rules, as they were proposed by Imam

Ali (peace be upon him), are displayed. In section three, the philosophical purpose, which emphasizes the concept of comprehensive education, is studied.

The thesis ends with the most important results that the study concluded.

The study consulted many resources that enriched it with the sufficient and beneficial information in its different aspects. The book of Nahjul-Balagha and its explanations were the main sources of the study.